

المؤتمر الدّولي

«دور الشيعة في تأسيس العلوم الإسلامية و تطويرها»

برعاية سماحة المرجع الديني آية الله العظمى مكارم الشيرازي

دور العلماء الشيعة بالشمال أفريقيا في العلوم الإسلامية

مجموعة من الباحثين

بإشراف احمدرضا تحيري

| اللجنة العلمية للدراسات الإقليمية |




بسم الله الرحمن الرحیم



دور العلماء الشيعة بالشمال أفريقيا في العلوم الإسلامية

مجموعة من الباحثين بإشراف احمدرضا تحيرى

الناشر	**الإمام على بن ابى طالب** عليه السلام
المطبعة	سليمانزاده
الكمية	۱۰۰۰ نسخه
السعر	۲۱۰۰۰۰ ريال
الطبعة	الأولى، ۲۰۱۸م
ردمك	۲-۳۰۳-۵۳۳-۹٦٤-۹۷۸

لمراسلتنا
المكتبة: قم، شارع الشهداء، زقاق آمار (۲۲)، رقم البناية ۱۵
هاتف: ۰۲۵_۳۷۷۳۲٤۷۸ **فاكس:** ۰۲۵_۳۷۸٤۰۰۹۹
البريد الألكتروني: info@emamalipub.ir
الموقع الألكتروني: www.emamalipub.ir





المؤتمر الدولي
«دور الشيعة في تأسيس العلوم الإسلامية وتطويرها»

برعاية سماحة آية الله العظمى مكارم شيرازي (دام ظله)

دور العلماء الشيعة بالشمال أفريقيا في العلوم الإسلامية

مجموعة من الباحثين
بإشراف احمدرضا تحيرى

اللجنة العلمية للدراسات الإقليمية

بسمه تعالى

المشرف الأعلى للمؤتمر: سماحة آية الله العظمى مكارم شيرازى (دام ظله)

....

الأمين العام للمؤتمر: حجةالاسلام والمسلمين محمد على رضايى إصفهانى

المعاون العلمي للمؤتمر: حجةالاسلام والمسلمين اكبر محمودى

مسؤولا للجنة الدراسات الإقليمية: حجةالإسلام محمدجواد دشتي واحمدرضا تحيرى

المشرف العلمي: حجة الاسلام احمدرضا تحيرى

اعضاء لجنة الدراسات الإقليمية: محمدجواد دشتي، احمدرضا تحيرى، سيد مفيد حسيني كوهسارى، سيد محمدعلى عون، سيد مجتبى رضوى أصيل، غلامجابر جعفرى محمدى، احمد ذبيح إفشاكر، احمد الأزرقى، تورگوت آتام، ابوالفضل كجاداغ، عبدالمحسن البقشي، محمد مهدى البغدادى، نبيل الحلباوى، على رضا ميرجليلى، على الثلايا، محمد باقر الشيخ، مهدى البطاط، على باقروف

....

عنوان الكتاب: دور العلماء الشيعة بالشمال أفريقيا في العلوم الإسلامية

المؤلفون: عباس علي براتي؛ هوارى البهلولى؛ السيد ناصر الموسوى؛ محمدصفر جبرنيلى؛ على رضا ميرجليلى؛ محمد على

تحرير المحتوى: حجةالاسلام والمسلمين محمد أمينى طهرانى

الفهرس

كلمة سماحة المرجع الديني آيةالله العظمى مكارم شيرازى (دام ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

إنجاز عظيم ساهم فيه علماء أفذاذ

حقّاً إنها لإحدى أعظم معجزات نبي الرحمة ﷺ، أعني، معجزته العلمية. لقد خرج من وسط ظلمات بيئة العصر الجاهلي الغارقة في التخلّف، ليبشّر بدينٍ ما اهتم بشيء مثل اهتمامه بالعلم و المعرفة على الرغم من كونه أمياً لا يقرأ و لا يكتب، و يرفع منزلة العلماء إلى الذرى، حتى قال في حقّهم: «مداد العلماء افضل من دماء الشهداء»[1] و شهدت لهم الآية الكريمة ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[2] بعلوّ المنزلة و رفعة المقام، و أقسَمَ ربّ العزّة بالقلم و ما يكتبون ليبيّن عظمة العلم و جلال قدره. و وسّع ﷺ مدى الطلب على العلم و المعرفة حتى صار من «المهد» إلى «اللحد». و يقيناً، ما كان هٰذه المعجزة أن تقع للنبي الكريم ﷺ لو لم يأذن الله تعالى بها.

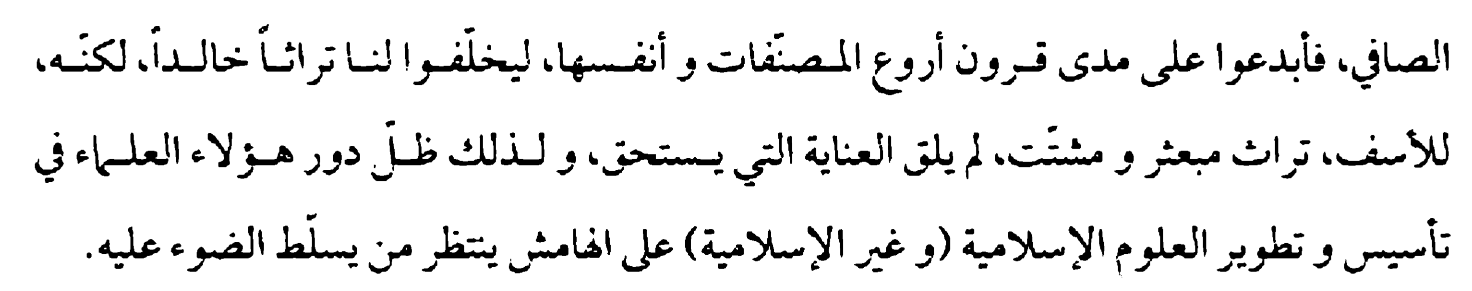
ثم خلَف ﷺ الإمام أمير المؤمنين ؑ من بعده الذي باعتراف جميع علماء المسلمين هو باب مدينة علم النبي ﷺ[3] ليواصل مسيرة نشر العلوم و المعارف، فكان كتاب نهج البلاغة بكل ما ينطوي عليه من عظمة، يمثّل قبساً من أنوار علمه الوهّاج. و سار تلامذة مدرسة الإمام أمير المؤمنين ؑ على نهجه في سبر العلوم الإسلامية و نشرها و تطويرها، منتهلين من نمير تعاليمه

---

١. مجلسى، محمد باقر، بحار الانوار، ج ٢، ص ١٤، ح ٢٦.

٢. مجادله، ١١.

٣. مجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ٢٠٠.



الصافي، فأبدعوا على مدى قرون أروع المصنّفات و أنفسها، ليخلّفوا لنا تراثاً خالداً، لكنّه، للأسف، تراث مبعثر و مشتّت، لم يلق العناية التي يستحق، و لذلك ظلّ دور هؤلاء العلماء في تأسيس و تطوير العلوم الإسلامية (و غير الإسلامية) على الهامش ينتظر من يسلّط الضوء عليه.

بيد أنّنا و بعد التوكّل على الله، عقدنا العزم على سدّ هذا النقص بهمّة شريحة واسعة من العلماء و المثقفين المسلمين، من الشيعة و أهل السنّة الوسطيين بل و حتى المستشرقين المنصفين بالإضافة إلى مجموعة من الأخوات الفاضلات العالمات، و قرّرنا الإضاءة على دور الشيعة في تأسيس العلوم الإسلامية و تطويرها، مستهلّين ذلك بتنظيم فهرست بالأعمال الضخمة، و من ثمّ إعداد هذه الأعمال في إطار عشرات المجلدات من الكتب المنظّمة و المنسّقة و تقديمها للمجتمع الإسلامي، و أخيراً ترجمتها إلى مختلف اللغات الحية.

و يمكن تلخيص العلوم التي ساهم العلماء الشيعة في تأسيسها و تطويرها و نشرها ضمن ثلاث مجالات رئيسية هي:

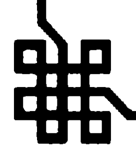
المجال الأول، العلوم الإسلامية الأصيلة (مثل الفقه، الأصول، التفسير، علم الكلام، علم الحديث، علم الرجال، العرفان و الفلسفة الإسلامية)

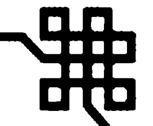
المجال الثاني، العلوم المرتبطة بالأولى (مثل الأدب العربي، علم اللغة، علم المعاني و علم البيان)

المجال الثالث، العلوم غير الدينية المفيدة والنفيسة (مثل الطب، علم الفلك، علم النجوم، علم الرياضيات و...)

و قد انبرى لتحقيق هذا الهدف المئات من علماء الحوزة و أساتذة الجامعات، و شمّروا عن سواعد الجدّ و العزم، فصنّفوا عشرات الكتب و مئات المقالات ليثروا هذا المؤتمر العظيم بنتاجاتهم الخصبة. و الحقّ أقول، إنّنا نحن أيضاً لم نكن نعلم بأنّ الهدف سيكون عميقاً و واسعاً إلى هذا الحدّ.

و هنا لا بدّ أن نذكر بأنّها المرة الأولى التي نقوم فيها بوضع مثل هذا الهدف العظيم (و بهذه الطريقة) نصب أعيننا، و إنّنا نتطلّع لأن يشكّل هذا المؤتمر بداية واعدة تحفّز من يأتي بعدنا على مزيد من الجهد و المثابرة في هذا المجال.





و أودّ أن أعبّر هنا عن عميق شكري و تقديري للعالم الألمعي و المثابر الأستاذ الدكتور محمد على الرضائى الإصفهانى الأمين العام للمؤتمر المحترم و عشرات الشخصيات القديرة في «الهيئة العليا للتخطيط» و «اللجان العلمية المختلفة» الذين بذلوا جهوداً مخلصة و حثيثة، و كذلك أوجّه شكري إلى السادة الأعزاء الذين عملوا في حقل اختيار المقالات القيّمة و تنقيحها و تنظيمها بحسب العلوم المصنّفة، و من ثمّ جمعها في مجلّد أو أكثر، و إنّي لعلى ثقة بأنّ هذه الجهود سوف تُكتب لهم بها حسنات باقية.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كانون الثانى/ يناير ٢٠١٨م

المصادف لشهر ربيع الثانى ١٤٣٩هـ

كلمة الأمين العام للمؤتمر

الحمد الله رب العالمين و صلى الله على محمد و آله الطاهرين الذين هم خزائن العلم و معادن الحكمة

اللهم اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ و وفقنا لما تحبّ و ترضى

كان النبي و آله الكرام النبع الفيّاض للعلوم الإسلامية، و قد ورث علوم أئمة أهل البيت تلامذتهم النجباء الذين قدّموا للعالم الكثير من المصنّفات في مختلف حقول العلوم الإسلامية، فكان لها أعمق الأثر في تأسيس العلوم الإسلامية وتطوّرها.

على مدى التاريخ الشيعي، سعى علماء بارزون للتعريف بتلك الشخصيات العلمية و أعمالهم العظيمة؛ فصنّفوا كتباً قيّمة من قبيل «تأسيس الشيعة» و «الذريعة» و «أعيان الشيعة» ... و غير ذلك. و في عصرنا الحالي، ارتأى المرجع الديني الشيعي الكبير سماحة آية الله العظمى مكارم شيرازي (دام ظله الوارف) أن يُلبس هذه المهمة ثوباً جديداً، فابتكر فكرة عقد مؤتمر دولي تحت عنوان «دور الشيعة في تأسيس العلوم الإسلامية و تطوّرها»، ليقدّم للعالم مجموعة أعمال متكاملة و متجددة في هذا المجال.

١. نبذة تاريخية

ظهرت إرهاصات عقد هذا المؤتمر في شهر تشرين الأول أكتوبر ٢٠١٦م، عندما تبلورت ملامح الهيئة الاستراتيجية العليا، ثم المصادقة على ورقة العمل الخاصة بالمؤتمر من قبل الهيئة المذكورة و سماحة المرجع (دامت بركاته) و تمثّلت الخطوة اللاحقة من سلسلة خطوات عقد المؤتمر في تشكيل الكادر التنفيذي و رؤساء الأقسام و مسؤولي ١٥ لجنة علمية. وانبثقت عن المؤتمر أول هيئة

للتخطيط في ٢٩/ ١٢/ ٢٠١٦م و بدأت الأمانة العامة نشاطها رسمياً بعقد أول اجتماع تحضيري بتاريخ ١٦/ ٢/ ٢٠١٧م.

بعد ذلك صدرت الدعوة العامة لتدوين المقالات و المنشور الخاص بالمؤتمر (الذي تضمّ العديد من البيانات والموضوعات)، و قد حظي بإقبال جيد، انعكس على إرسال مئات المستخلصات و المقالات بمختلف اللغات إلى الأمانة العامة للمؤتمر (بلغ مجموع المستلم منها ١٨٠٠ ملخصاً و ١٢٠٠ مقالة باللغات الفارسية و العربية و الإنجليزية و الأوردية)، هذا طبعاً عدا عن ٣٠٠ مقالة و٣٥ كتاب تمّ التعاقد على تأليفها خصيصاً للمؤتمر مع العديد من المؤلفين.

ثم بدأت مرحلة التقييم الدقيق للنتاجات المستلمة فحصل نصف عدد المقالات على الموافقة للمشاركة في المؤتمر و سوف تصدر جميعها في عدّة مجلدات وبرامج حاسوبية في المستقبل لترسل إلى طالبيها في جميع أنحاء العالم. طبعاً لا يفوتنا أن نذكر بأنّه قد تمّ ترجمة بعض نتاجات المؤتمر (مجلدان للمستخلصات و مثلهما للخلاصات) إلى اللغتين العربية و الإنجليزية، و في النيّة ترجمة جميع النتاجات إلى اللغة العربية، و مقتطفات مختارة منها إلى عدد من اللغات العالمية الحية. و سوف نوزّع قسماً من هذه النتاجات في يوم افتتاح المؤتمر في ١٠/ ٥/ ٢٠١٨م بقم، على أن يتم استكمال بقية النتاجات بعد انتهاء أعمال المؤتمر لتوضع في متناول المهتمين.

٢. أهداف المؤتمر

أ) بيان دور أهل البيت﵇ و أتباع مدرستهم في تأسيس العلوم و تطوّرها؛

ب) بيان دور العلماء الشيعة في تأسيس العلوم و تطوّرها؛

ج) بيان دور العلماء الشيعة في تألّق الحضارة الإسلامية و ازدهارها.

٣. الخطط و الاستراتيجيات

أ) التركيز بشكل خاص على شرح دور أئمة أهل البيت﵇ و العلماء الشيعة فيما يتعلّق بموضوع المؤتمر؛

ب) الاهتمام بالبعد الدولي للمؤتمر؛

ج) التأكيد على إطلاق الحوارات في الحوزات العلمية و الجامعات و المجلات من أجل تقنين أفكار المؤتمر؛

د) إشراك علماء المذاهب الإسلامية داخل البلاد و خارجها في أعمال المؤتمر، بل و المستشرقين المنصفين أيضاً؛

ه(نطاق المؤتمر: العلوم المتطورة في العالم الإسلامي و التركيز بشكل خاص على العلوم الإسلامية (مثل الفقه و الأصول و التفسير و علوم الحديث... و غيرها)، بالإضافة إلى الاهتمام بالعلوم المتطورة في العالم الإسلامي (مثل العلوم الأدبية و العقلية، و العلوم الإنسانية و الطبيعية، و العلوم الرياضية)؛

و) التأكيد على إنتاج مجموعة الأعمال العلمية القيّمة التي تمهّد لانطلاق العلوم الحوزوية و الجامعية في هذا المجال؛

ز) التأكيد على تخصّصية أعمال المؤتمر عبر تشكيل لجان علمية؛

ح) استقطاب أكبر عدد ممكن من المقالات من خلال دعوة الكتّاب للكتابة، و كذلك منح مكافآت مجزية، بالإضافة إلى عقد اجتماعات تحضيرية مع التأكيد على التعاقد مع بعض الكتّاب لتدوين مقالات للمؤتمر خصيصاً؛

ط) تسهيم العلوم في المؤتمر (العلوم الإسلامية ٧٠٪؛ العلوم الإنسانية ٢٠٪؛ العلوم الطبيعية ١٠٪؛

ى) التأكيد على فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية.

٤. محاور المؤتمر

أ) أهل البيت

١. المرجعية العلمية لأهل البيت

٢. دور أهل البيت في تأسيس العلوم و تطوّرها؛

ب) الشيعة

١. دور العلماء الشيعة في تأسيس العلوم؛

٢. دور العلماء الشيعة في تطوير العلوم؛

٣. دور العلماء الشيعة في تألّق الحضارة الإسلامية و ازدهارها؛

٤. التعاطي العلمي لعلماء الشيعة مع سائر المذاهب الإسلامية و الأديان.

ج) تحليل نقدي للتراث وإحياؤه

١. إحياء الأعمال الخاصة بدور أهل البيت عليهم السلام و الشيعه في العلوم؛

٢. نقد أعمال المستشرقين حول دور الشيعة في العلوم؛

٣. نقد تراث المؤرخين المسلمين حول دور الشيعة في العلوم.

كلمة الختام

لا بدّ من القول بأنّه ما كان ليتسنّى عقد هذا المؤتمر العظيم و إعداد و تنظيم المصنّفات القيّمة و الراقية في فترة قصيرة نسبياً (١٨ شهراً) لولا العناية الإلهية و بركات إمامنا المهدي بقية الله عجل الله فرجه و التوجيهات السديدة و الدعم المتواصل لسماحة المرجع المتبصّر و المتنوّر آية الله العظمى الشيخ مكارم شيرازي (دام ظله الوارف)، فضلاً عن تضافر جهود أساتذة الحوزات و الجامعات الأكارم في داخل البلاد و خارجها، و تحت الظلال الوارفة للثورة الإسلامية المباركة. نحمد الله تعالى على نعمائه و آلائه، و نثني على مساعي الزملاء الأساتذة و المؤلفين و المقوّمين و الكوادر التنفيذية و التحضيرية و عناصر الطبع و النشر.[1] ونخصّ بالذكر حجج الاسلام الملكى و الزمانى و الأخ المثابر ومسؤول القسم العلمى للمؤتمر سماحة حجة الإسلام و المسلمين الدكتور أكبر المحمودى (زيد عزه) الذي كان ظهيراً وسنداً لنا فى جميع مراحل المؤتمر.

يحدونا أمل كبير في أن يتقبّل الله تعالى من الجميع هذه الخدمة الإسلامية، و أن يبارك الجهود

١. وردت أسماء الكوادر العلمية والتنفيذية فى مقدمة المجلد الأول بصورة كاملة كما وردت أسماء العناصر الفاعلة فى كل مجلة فى ذلك المجلد أيضاً.

المبذولة ويجعلها زاداً لآخرتنا جميعاً. و أن تكون سبباً في رفعة مدرسة أهل البيت عليهم السلام في المحافل العالمية. كما نتمنى أن تكون ذخراً علمياً للباحثين في المستقبل على الصعيد الدولي. و أن يبعث ثوابها إلى أرواح علمائنا الشيعة الأفذاذ منذ عصر صدر الإسلام و حتى عصرنا الراهن، الذين فتحت جهودهم المباركة الطريق أمام التطور العلمي للمسلمين عبر التاريخ.

في الختام، أتمنى على الباحثين و المفكرين أن يُتحفونا بنقدهم المنصف و اقتراحاتهم البنّاءة و يبعثوا بها على عنوان المؤتمر[1] لكى نأخذ بها فى الأعمال القادمة للمؤتمر (في الطبعات اللاحقة).

و الحمدلله رب العالمين

الأمين العام للمؤتمر ـ محمد على رضائى اصفهانى

١٠ ربيع الثانى ١٤٣٩هـ

---

١. الموقع الالكترونى: http://shia-congress.com ـ البريد الألكتروني: info@shia-congress.com

قم، جمكران، بداية شارع انتظار، مجمع دارالولاية العلمى، مؤسسة دارالإعلام لمدرسة اهل البيت عليهم السلام، الطابق الأول، الأمانة العامة للمؤتمر، ٥ ـ ٠٢٥٣٧٢٥٥٨٥٣.

مقدمة المراقب العلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

على الرغم من الدلائل التاريخية والنقلية المتعددة والسابقة العريقة للتشيّع التي تمتدّ لألف وأربعمئة سنة ضمن الرقعة التاريخية والجغرافية للحضارة الإسلامية يعتقد البعض بعدم وجود أيّ دور للشيعة في تأسيس العلوم الإسلامية وتطويرها لذلك وامتثالاً لأمر المرجعية الشيعية الرشيدة المتنورة يأتي انعقاد المؤتمر الدولي "دور الشيعة في تأسيس العلوم الإسلامية وتطوّرها" للردّ على هذا الادّعاء الباطل. وفي هذا الإطار انبثقت عن الأمانة العامة للمؤتمر عدّة لجان اضطلع كل منها بمهمة البحث في الدور التأسيسي والتطويري للشيعة في أحد مجالات العلوم الإسلامية. وبعد الانخراط في هذه المهام ظهرت الحاجة إلى استحداث لجنة تحت عنوان «لجنة الدراسات الإقليمية» تتكفل بدراسة دور الشيعة في تأسيس العلوم وتطويرها في بلدان العالم المختلفة وتسلّط الضوء بشكل ضمني على دورهم في التنمية الثقافية والحضارية الإسلامية؛ ذلك أنّه بالاستناد إلى المصادر التاريخية والتراث الثقافي والتاريخي للبلدان فإنّ سابقة حضور الشيعة في العديد من البلدان تعود إلى تاريخ دخول الإسلام إلى تلك البلدان وانتشاره فيها وبحسب اعتقاد الكثير من الباحثين يعود الفضل في دخول الثقافة الإسلامية ورسوخها في رقعة جغرافية مترامية الأطراف من العالم الإسلام إلى الدعاة الشيعة والمتأثرين بالقراءة الشيعية للإسلام وعليه فإنّ دراسة المسار التاريخي لتلك البلدان وثقافتها الإسلامية لا ينفصم عن قضية البحث في عقيدة التشيّع وبإمكاننا أن نلمس في العديد من التعاليم والسنن والعادات الثقافية والدينية لشعوب تلك البلدان الطابع والجذور الشيعية حتى في المناطق التي تحتضن أغلبية من الطائفة السنية وأن نقف على المظاهر الشيعية للثقافة الإسلامية هناك.

ولبلوغ هذا الهدف شُكّلت ورشة عمل داخل هذه اللجنة مختصة بكل بلد من البلدان الإسلامية ومؤلفة من عدد من الباحثين من نفس ذلك البلد أو ممّن لهم بحوث عديدة خاصة بذلك البلد ومن خلال عملية تلاقح الأفكار بين الأعضاء تحدّدت الأولويات البحثية التي تعنى بأهداف المؤتمر في ذلك البلد وتم اختيار فرد أو أكثر للكتابة في موضوع واحد وبعد إجراء المشاورات النهائية والتواصل مع الأفراد الذين تم اختيارهم لهذه المهمة في كل بلد وُضع عدد من العناوين البحثية وبعض الكتّاب وتقرّر بعد إتمام البحوث أن تجمع المقالات والبحوث ذات الصلة بكل بلد أو منطقة تحت إشراف مراقب معيّن في كتاب مستقل خاص بذلك البلد أو المنطقة.

خلال تدوين هذا الكتاب واجهتنا بعض الصعوبات فمن جهة مرّت بنا في بعض البلدان العديد من المشاكل الأمنية وهي تتعلق بالكتّاب أنفسهم ـ بمعنى أنّ تعاون بعض الباحثين في هذه البلدان مع مؤتمر تشرف عليه مرجعية شيعية مقرها في الجمهورية الإسلامية في إيران كان يسبّب لهم بعض المتاعب الأمنية في بلدانهم - وكذلك تتعلق المشاكل ببعض الشخصيات ذات الثقل والتأثير الكبيرين من حيث أنّ تعريفهم كشخصيات شيعية كان أيضاً سيخلق لهم مشاكل أمنية حيث يقطنون. من ناحية ثانية تعذّر الوصول إلى الباحثين المنشودين ـ نظراً إلى أنّنا ارتأينا في البداية أن يدوّن باحثون من سكان البلد الأصليين المقالات الخاصة ببلدانهم ما أمكن ذلك ـ حيث كان نصفهم تقريباً يعيش في المهاجر خارج إيران. كما أنّ معايير الدراسات والبحوث المعتمدة في بعض هذه البلدان تختلف عن المعايير الدولية والنموذج السائد في بلادنا وهو ما عقّد المسألة أكثر.

وعلى الرغم من كل ذلك استطعنا في نهاية المطاف التغلّب على هذه الصعاب بفضل الله ومنّه وتسديد الإمام بقية الله الأعظم عجّ واتباع التوجيهات الحكيمة للمرجعية الدينية العليا ووُفّقنا لإعداد نصّ مع كل هفواته إن وجدت يعدّ أول جهد جماعي ومنظّم في هذا المجال ذا مستوى علمي يتمثّل المعايير المقبولة وكخطوة أولى ستعقبها خطوات قادمة على طريق البحث والتمحيص.

الكتاب الذي بين يديك يضم أبحاث ومقالات حول بلدان شمال أفريقيا. فعلى الرغم من اندثار معالم التشيّع في هذه المنطقة بسبب عوامل عديدة هي في معظمها سياسية واجتماعية ولكن تؤكّد الأدلة التاريخية بأنّ الشيعة سكنوا هذه المنطقة منذ القرن الأول الهجري وعملوا على توسيع

رقعة الإسلام فيها وتاريخها يشهد على قيام حكومات شيعية في بلدان شمال أفريقيا لحقبة طويلة تداولها الأدارسة والفاطميون ولعلّه يمكن القول بأنّ عصر الفاطميين بعد العصر الذهبي للفراعنة في مصر القديمة هو من أكثر العصور إشراقاً وازدهاراً التي شهدها هذا البلد في تاريخه على صعيد الرفاهية ووفور النعم واستتباب الأمن وتطوّر الثقافة والحضارة.

وإذا كان معيار عظمة الدولة يقاس بقدرتها ونجاحها على صيانة العلم والأدب ونشر الثقافة والحضارة فإنّه يمكننا أن نزعم بأنّ الدولة الفاطمية ليس فقط أعظم دولة شيعية وإنّما كانت أعظم دولة إسلامية. بل نظراً لأنّ معظم مسلمي هذه المنطقة كانوا على صعيد العقيدة مولعين بحب أهل البيت ﷺ وعلى صعيد العمل أتباع المذهب المالكي – أقرب المذاهب الفقهية السنّية إلى المذهب الشيعي – فإنّه يمكن اعتبار معظم شعوب هذه البلدان شيعة ولكن دون أن يعلموا شيئاً عن التشيّع.

وعلى أيّ حال لا يخفى على أيّ باحث منصف التاريخ الشيعي المشرق والراقي في هذه البلدان على صُعُد العلم والثقافة والسياسة والكتاب الحالي يسعى إلى تسليط الضوء على جوانب من هذا التاريخ ضمن عدد من المقالات التي نضعها أمام القارئ الكريم. تتناول مقالات الكتاب دور الصحابة والتابعين الشيعة من الأدارسة والفاطميين في توسيع وتطوير العلوم والحضارة الإسلامية في بلدان شمال أفريقيا ودور الشيخ جمال الدين الأفغاني (الأسد آبادي) في نشر العلوم والنهضات الاجتماعية في هذه البلدان وإسهامات العلماء وتصانيفهم والحوزات العلمية الشيعية فيها والعالمات الشيعيات اللائي ساهمن في تطوّر العلوم الإسلامية ونشرها.

في الختام نجد لزاماً علينا أن نذكر بالشكر والعرفان كل الأعزاء الذين عضدونا في إعداد وتنظيم هذا الكتاب من كادر تنفيذي للمؤتمر وأخصّ بالذكر منهم السيد علي الثلايا وكتّاب ومقوّمين ومحكّمين وورش عمل استشارية. ونسأل الله أن يتقبّل منّا هذا العمل المتواضع بمنّه وكرمه ويحسبه لهم في الباقيات الصالحات وذخراً ليوم الجزاء.

احمدرضا تحيرى

مدير لجنة الدراسات الإقليمية

١

دور الشيعة فى انتقال العلوم الإسلامية إلى شمال أفريقيا

عباس علي براتي[١]

١. مباحث في العلوم الإسلامية في الحوزة العلمية بقم. Barati36@yahoo.com.

الملخّص

شهد شمال أفريقيا نشوء العديد من الحضارات على مرّ التاريخ بعد انتشار الإسلام في تلك المناطق، ومن تلك الحضارات الحضارة المصرية و القرطاجية و الرومانية و الفينيقية، و بعد دخول الإسلام إلى تلك البلدان تغيّر الوضع العام لشعوب هذه البقعة من الأرض. دخل الإنسان منذ (٢٠٠٠) سنة تقريباً قبل ميلاد المسيح قارة أفريقيا و سكن في المناطق الجنوبية منها، و قد وجد المتخصّصون في التاريخ القديم بعض الآثار و البقايا البشرية يعود تاريخها إلى حوالي مليون و ثمانمئة ألف عام. الأسلوب الذي اتّبعه الباحث في كتابة هذه المقالة هو أسلوب مكتبيّ و منهج توصيفيّ تحليليّ؛ و من بين النتائج التي توصّل إليها الكاتب هي أنّه على الرغم من كثافة الإعلام الهدّام للأمويّين و العبّاسيين و سائر الخلفاء غيرهم الذي كان يهدف إلى زرع كراهية آل البيت إلّا أنّ وجود بعض البلدان و المناطق الشيعية على طول التاريخ و ظهور المئات من العلماء و الكُتب و الآثار البحثية و مساكن القبائل العظمى من الأشراف إلى جانب الكثير من المقابر و المزارات و حبّ أولئك المخلص للنبيّ الأعظم و آل بيته الكرام، كلّ ذلك يمثّل دلائل ساطعة و واضحة على التأثير الذي خلّفه آل البيت و ذريّتهم الشريفة في تلك المنطقة، فضلاً عن أنّ أصول أمهّات بعض الأئمة المعصومين كانت أفريقية، و لا سيّما شمال أفريقيا.

الكلمات المفتاحية: الشيعة؛ العلوم الإسلامية؛ الصحابة؛ أفريقيا الجنوبية؛ شمال أفريقيا؛ الأُسَر و السلالات؛ البَربَر؛ الشرافة.

المقدّمة

يُعتبر شمال أفريقيا منطقة غاية في الأهمية و جسراً يربط ثلاث قارّات معاً هي: أفريقيا و آسيا و أوروبا، و للطرق البرية و البحرية الموجودة في هذه المنطقة دور كبير في انتقال العلوم و البضائع بين سكّان القارّات المذكورة، و كما سيأتي معنا في القسم التالي من هذه المقالة، فإنّ الجزء الأعظم من المحيط الأطلسيّ و قارّة أمريكا تمّ اكتشافه من قِبل البحّارة المسلمين أنفسهم.

وبالتزامن مع دخول الدين الإسلامي إلى أفريقيا الجنوبية دخل الشيعة كذلك إلى تلك المناطق، و خلافاً للعساكر الأمويّة و العبّاسية و الأهداف التي كانوا ينشدونها عند دخولهم تلك المناطق فإنّ الهدف الرئيس الذي حمله أوائل الناشطين من الشيعة إلى هناك هو الدعوة إلى مذهب التشيّع كهدف أوّل لهم و كذلك حُبّ آل بيت الرسول الكريمﷺ و محاربة الظلم و الجَور في تلك المناطق. هذا، و قد فرّ العديد من أفراد البيت النبويّ الشريف المظلومين ممّن تمّ تهميشهم و حرمانهم من حقوقهم الإنسانية، فرّوا إلى المناطق المذكورة و التحقوا بقبائل البربر (الأمازيغ Amazighs) كلاجئين تاركين وراءهم المُدن الإسلامية الرئيسة و المركزية، و هناك استطاعوا إيجاد أنظمة جديدة و نقل الحضارة و العلوم الإسلامية إلى شمال أفريقيا و أسبانيا (الأندلس)، و هكذا فإنّهم لم يكتفوا بنَقل الدين الإسلامي و حسب بل و حضارته و علومه كذلك.

ومن أفراد البيت النبويّ الشريف مَن تعود أصوله إلى تلك المناطق و منهم مَن هاجر إليها فيما بعد، و منهم مَن توفّي فيها أو استُشهد و دُفن هناك و منهم مَن خلّف تراثاً عظيماً ظلّ خالداً من بعده.

و أمّا وجود الأشراف و الأحفاد من الشيعة في المناطق المذكورة و حُبّهم لآل بيت النبيّﷺ إلى هذا اليوم، و لا سيّما العلويين ـ و على غير هوى الأمويين و العباسيين ـ كلّ ذلك يُعدّ شاهداً جليّاً على التأثير العظيم الذي تركه أولئك الأفراد في الثقافة الأفريقية و شمول ذلك كلّ المغرب الإسلامي (أو الغرب الإسلامي).

ولم يمرّ على رحيل الرسول الأكرمﷺ سوى وقت قصير حتى وصل الدين الإسلامي إلى شمال أفريقيا ـ و خاصّة المغرب العربي ـ و في سنة (٦٤٧م) استطاع العرب المسلمون إنشاء حكومة

إسلامية امتدّت من مصر إلى تونس و في عام (٧١٠م) استقرّ المسلمون في المنطقة المحاذية للمحيط الأطلسي. و يمكن القول أنّ أغلب سكّان تلك المناطق انضمّ تحت لواء الإسلام لكنّ أشكال المعارضة و الثورات و حالات العصيان ضدّ الحكومة المركزية لم تتوقّف، و في القرن العاشر طرأ الكثير من التغيير و التقدّم على شمال أفريقيا المسلمة المستقلّة، فاستطاعت بعض الحكومات مثل حكومة المرابطين و الموحّدين التي حكمت الجزء الأكبر من تلك المناطق، بناء نموذج حيّ و مهمّ للنظام الإسلامي في القرنيْن الثاني عشر و الثالث عشر، كما تمكّن بعض الحكّام و الأُسر الشيعية ـ مثل الأدارسة و الحموديين و الفاطميين ـ من التأثير بشكل كبير و لا سيّما من حيث اتّساع و انتشار الثقافة و العلوم الإسلامية.

ومنذ تلك الفترة فما بعد صار أغلب المسلمين في تلك المناطق من أبناء العامّة من أتباع مذهب ابن مالك، و كان لعلماء الصوفية و أعلامهم و معلّميهم الأثر الأكبر في هذا الأمر. و كلّنا يعلم أنّ الإمام مالك بن أنس كان موجوداً في المدينة يتلمذ عند الإمام الصّادق عليه السلام و هو القائل في حقّ الإمام: «وَ مِنْهُمُ الْحَاضِرُ الذَّاكِرُ الْخَاشِعُ الصَّابِرُ، أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقِرُ، كَانَ مِنْ سُلَالَةِ النُّبُوَّةِ، و مِمَّنْ جَمَعَ حَسَبَ الدِّينِ وَ الْأُبُوَّة».[١]

دول المنطقة

تضمّ منطقة شمال أفريقيا بلداناً مثل الصحراء الغربية و مراكش (المغرب) و الجزائر و تونس و ليبيا و مصر، و كذلك بعض أجزاء السودان التي تسمّى (النوبة)، و منهم مَن اعتبر الحبشة (أثيوبيا) كذلك جزءاً من المنطقة المذكورة؛ أمّا أبناء هذه المنطقة فهم البربر و العرب و العشائر و اليهود و النوبيين و الأحباش (الأثيوبيين)، و تعود جذور الحضارات فيها إلى ما يقرب من مئتي ألف عام قبل ميلاد المسيح عليه السلام و ثمّة العديد من الأدلة و الشواهد التي عُثر عليها في الكثير من تلك المناطق تثبت أنّها كانت مسكونة منذ حوالي مليون و ثمانمئة ألف عام قبل الميلاد.

---

١. الأصفهاني، حلية الأولياء و طبقات الأصفياء، ج٣، ص١٩٩.



دخول الإسلام إلى تلك المناطق

دخل الدين الإسلامي إلى شمال أفريقيا خلال العقود الأولى من التاريخ الإسلامي و لم يكن شمال أفريقيا وحده الذي اعتنق الإسلام بل سار المسلمون إلى أسبانيا و راحوا ينشرون فيها مبادئ الدين الحنيف و يبلّغون تعاليمه ـ و أسبانيا هذه هي البلد الذي فتحه المسلمون أوائل القرن الميلادي الأوّل.

هذا، و قد هاجر الكثير من الصحابة و الشيعة إلى تلك المناطق عبر رحلات كبيرة و قوافل عظيمة سارت إلى شمال أفريقيا، و وطئت أقدامهم القرن الأفريقيّ للمرة الأولى في عهد الرسول الأعظمﷺ خلال وجوده الشريف في مكّة عندما أمر جماعة من المسلمين ـ بقيادة جعفر بن أبي طالبؓ ـ بالهجرة إلى الحبشة فنزلوا في منطقة تسمّى (أكسوم) (في أثيوبيا حالياً)؛ كما دخل الكثير من الصحابة المعروفين منطقة الأناضول (أو آناتولي حالياً) كفاتحين مسلمين من أمثال عبد الله بن عباس و عبد الله بن عمر و عبد الله بن الزبير و عبد الله بن زيد بن أبي سرح و امر بن عباس.

وهاجرت جماعات كبيرة من الصحابة و الشيعة إلى شمال أفريقيا و مصر و ليبيا و تونس و المغرب فعاشوا فيها و قضوا نحبهم هناك و ما زالت قبورهم و مساكنهم موجودة في العديد من البقاع في تلك المنطقة تشهد على ازدهارهم هناك و نشرهم لمبادئ الدين الإسلامي.[1]

الاتّصال الأوّل للمسلمين

كانت هجرة المسلمين المكيين إلى الحبشة أوّل اتّصال مباشر بين مكّة و القرن الأفريقيّ حيث حدث ذلك على عهد الرسول الأعظمﷺ قبل هجرته الشريفة من مكّة إلى المدينة.

كتب ابن هشام في سيرته يقول: «فَلَمّا رَأى رَسُولُ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلّمَ مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنْ الْبَلَاءِ وَ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ الْعَافِيَةِ بِمَكَانِهِ مِنْ الله وَ مِنْ عَمّهِ أَبِي طَالِبٍ وَ أَنّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمّا هُمْ فِيهِ مِنْ الْبَلَاءِ قَالَ لَهُمْ: «لَوْ خَرَجْتُمْ إلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ حَتّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا»؛ فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ

---

١. السلاوي، «الاستقصاء لأخبار الدول المغرب الأقصى» المجلد الأول، صفحه ١٤٢.

رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ وَ فِرَارًا إِلَى اللهِ بِدِينِهِمْ فَكَانَتْ أَوَّلَ هِجْرَةٍ كَانَتْ فِي الْإِسْلَامِ».[1]

شخصيّات بارزة

إذا ألقينا لمحة إلى سيرة النبيّ الأعظم ﷺ و أصحابه سنجد أنّ الكثير من الشخصيّات الأفريقية كانت تتواجد حولهم في مكّة و تعيش فيها منذ ولادة الرسول الكريم ﷺ و كانت تتفانى في التضحية في سبيله ﷺ، و من تلك الشخصيّات البارزة و المعروفة:

١. أمّ أيمن (واسمها بركة) و هي من النساء الشيعيّات اللاتي كنّ يسكنّ مكّة، و كانت هذه المرأة الجليلة التي قال عنها النبيّ الكريم ﷺ بأنّها أمّه الثانية، من أهل الحبشة. كانت أمّ أيمن تخدم في بيت سيّدنا عبد الله ؑ ـ والد الرسول الأعظم ﷺ ـ كما كانت خادمة لدى السيّدة آمنة بنت وَهب ؑ ـ والدة رسول الله ﷺ ـ و لم تألُ هذه السيدة الحبشية أيّ جهد في دعم الرسول الكريم ﷺ و مساندته طيلة حياته الشريفة و خلال دعوته أيضاً.

٢. بلال بن رباح: شخصية حبشية أخرى من الشخصيات البارزة في الإسلام، وُلد في مكّة و كان من أصحاب النبيّ الأعظم ﷺ الأوفياء.[2]

٣. مارية القبطية ـ زوج رسول الله ﷺ ـ هي الأخرى من النساء المعروفات في مكّة، و هي إحدى أختيْن لمسيحي قبطيّ كان يعمل عند مولى مسنّ في مصر ثمّ أهداه المقوقس ــ ملك مصر آنذاك ـ إلى النبيّ الأعظم ﷺ.[3]

---

١. ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٣٢١ و ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٧٠؛ و. مونتگومري وات، محمد در شهر مكه، ص١١٠ـ١١١، السلاوي (trad. de l'arabe par Eugène Fumet)، كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى [«Le livre de la recherche approfondie des événements des dynasties de l'extrême Magrib»]، المجلد الرابع: Chronique de la dynastie alaouie au Maroc, Paris, Ernest Leroux, coll. «الأرشيف المراكشي»، ١٩٩٦.

٢. النيشابوري، صحيح مسلم، ج٢، ص١٩٠٧؛ ج٢، ص٥٢٣ـ٥٢٤؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص١٧٩٤؛ صادقى اردستانى، زنان دانشمند و راوى حديث قم، ص٣؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٥، ص٨٦.

٣. ابن جرير الطبري، تاريخ الرسول و الملوك (تاريخ الطبري)، ج٨.

٤. فضّة (خادمة الزهراء البتول) و هي من جملة النساء الجليلات اللاتي كنّ يعشن في مكّة. جاءت فضّة إلى جزيرة العرب من الحبشة عندما كانت أمَة، فأعتقها الرسول الكريم ثمّ أعطاها إلى بضعته فاطمة لتساعدها في شؤون المنزل. فلمّا شرعت فضة في خدمة مولاتها الزهراء لم يكن عمرها آنذاك سوى (١١) سنة فقط، و يُذكَر أنّ فضّة كانت عالمة بالكيمياء كما كانت تحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب و تَعي بعض علومه. كانت الزهراء تُقاسم فضّة شؤون المنزل و أعماله و كانتا تتناوبان القيام ببعض الأعمال اليومية، فظلّت فضة وفيّة و مخلصة لآل البيت بل و صحبتهم إلى أرض كربلاء و كانت معهم في سجون الشام، كما كانت قد تشرّفت بمشاركة آل البيت في صومهم المشهور الذي استمرّ ثلاثة أيّام. فلمّا مَرض الإمام الحسن و الإمام الحسين أشار النبيّ الأعظم على الإمام علي و الزهراء بأن ينذرا صوم ثلاثة أيام لشفاء الحسنيْن. و لمّا شُفي سبطا رسول الله صام الإمام علي و الزهراء و فضّة معهما أيضاً وفاءً للنذر.[1]

ومن الشخصيّات المعروفة الأخرى و لا سيّما في مجال تفسير القرآن الكريم (عكرمة البربريّ) الذي كان قاضياً مشهوراً و مترجماً للقرآن الكريم و راوياً و ناقلاً للأحاديث، إلّا أنّه انقلب على عَقبَيْه فيما بعد و دخل مع زمرة الخوارج. كان عكرمة من أصول بربرية و كان غلاماً لعبد الله بن عبّاس ـ أحد أصحاب رسول الله ـ ثمّ واحداً من تلاميذه الأذكياء، و كان معروفاً بنقل الكثير من الأحاديث عن عبد الله بن عبّاس و عبد الله بن عمر و أبي هُريرة و أبي سعيد الخدريّ و الحسن بن علي و عائشة. و يُذكَر أنّ عكرمة كان من التابعين الأصليين و كان مشهوراً بعلمه في الحقوق و الفقه عندما كان في مكّة، كما كان يكثر من السّفر و الترحال من مدينة إلى أخرى حتى طلب منه عبد الله بن عبّاس أخيراً المكوث في مكّة و إصدار الفتاوى و تدريس العلوم الإسلامية.[2]

---

١. ابن سعد الواقدي، كاتب، الطبقات الكبرى؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٣٠.

٢. ابن خلكان، وفيات الأعيان.

أمّهات الأئمّة

تعود أصول أمّهات بعض الأئمّة المعصومين إلى شمال أفريقيا و خاصّة أمّهات الأئمّة من الإمام السابع إلى الإمام الثاني عشر و لا شكّ في أنّ هذا الأمر ليس صدفة أو اعتباطاً على الإطلاق.

١. أمّ الإمام موسى الكاظم

وُلد الإمام موسى الكاظم في الفترة التي كان الأمويون و العباسيون يتصارعون فيها للاستيلاء على الحكم، و لمّا تسلّم أبو العبّاس السّفاح ـ الخليفة العبّاسي الأوّل ـ مقاليد الخلافة كان الإمام الكاظم قد بلغ السنة الرابعة من عُمره الشريف. كانت والدته السيّدة (حميدة) أمَة قبل زواجها مع الإمام الصّادق حيث قيل أنّ أصلها بربريّ أو حبشيّ. ترعرع الإمام موسى الكاظم في أسرة كثيرة الأعضاء فقد عاش إلى جانب تسع أخوات و ستّة إخوة، و كان إسماعيل أخاه الأكبر الذي توفّي قبل والده الإمام جعفر الصّادق، فأصبح الإمام الكاظم الوريث الوحيد للإمامة بعد أبيه بأمر الله (عَزّ وَجَلّ) و وصية أبيه و بذلك صار الإمام السابع من الأئمّة الإثني عشر للشيعة الإمامية.[1]

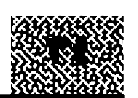
٢. أمّ الإمام علي الرّضا

تنتمي والدة الإمام الهمام علي بن موسى الرّضا إلى أصول أفريقية شمالية أيضاً، و اسمها السيدة (نَجمة) و كانت امرأة معروفة بصلاحها و زُهدها. و يُذكَر أنّه لمّا كان الإمام الرّضا وليداً صغيراً كان يطلب المزيد من اللبن من أمّه، و لمّا سُئِلت السيدة (نجمة) ما إذا كان لديها المقدار الكافي من اللبن لإرضاع وليدها قالت: «ليست المشكلة في إرضاعه ما يريد من اللبن بل في صعوبة أدائي لصلواتي في أثناء ذلك!».

هذا، و تنحدر السيدة (نجمة) من أصول بربرية (من المغرب شمال غرب أفريقيا)، و كانت السيدة (حميدة) ـ زوج الإمام الصّادق ـ قد اشترت السيدة (نجمة) ثمّ أعتقتها فكانت هذه

---

١. دونالدسون، مذهب شيعه: تاريخ اسلام در ايران و عراق، ص١٥٢ ـ ١٦٠.



السيدة تشبه السيدة (حميدة) في أخلاقها من حيث العلم و الفضل.[1]

٣. أمّ الإمام محمّد الجوادﷺ

كانت أمّ الإمام الجوادﷺ من سكّان شمال أفريقيا كذلك، و كان الإمام الجوادﷺ قد وُلد في الثاني عشر من أبريل / نيسان من عام (٨١١م) في المدينة ـ التي كانت جزءاً من الدولة العباسية في ذلك الوقت. و ليست هنالك أيّ معلومات كافية و دقيقة بشأن اسم والدته أو خلفيّتها التاريخية؛ فقد قال ثقة الإسلام الكُليني أنّ والدته كانت أمَة نوبية و كان اسمها (حبيبة) فيما صرّح غيره بأنّ اسمها هو (الخيزران) و أنّها كانت من أصول بيزنطية، و اعتقد آخرون أنّها كانت من أسرة السيدة (مارية القبطية) ـ زوج رسول اللهﷺ و أمّ ابنه إبراهيمﷺ.

٤. أمّ الإمام علي الهاديﷺ

تنحدر والدة الإمام علي الهاديﷺ من أصول أفريقية كذلك، و وفق أدقّ المعلومات فإنّ أمّ الإمام الهاديﷺ مولودة في سنة (٨٢٨م) في إحدى القرى القريبة من المدينة و تسمّى (ثريا). أبوه هو الإمام محمّد التقيّﷺ ـ الإمام التاسع للشيعة الإمامية و الذي يُعرَف أيضاً باسم محمّد الجواد ـ و اسم أمّه السيدة (سمانة) أو (سوسن) و هي من شمال أفريقيا كذلك. و كان الإمام محمّد الجوادﷺ قد كنّى ابنه الإمام علي الهادي بـ(أبي الحسن) ـ و هي كُنية أبيهﷺ و كُنية جدّه الإمام موسى الكاظمﷺ أيضاً ـ و للتمييز بين الكُنى الثلاث أطلق الرواة كنية (أبي الحسن الأوّل) على الإمام موسى الكاظمﷺ و (أبي الحسن الثاني) على الإمام الرّضاﷺ و كنية (أبي الحسن الثالث) على الإمام الهاديﷺ.[2]

---

١. مادلونغ «علی الرضا، هشتمین امام شیعیان امامی» Iranicaonline.org؛ رضوي، بردەداری از منظر اسلام و مسیحیت، جعفر، بانو فاطمه معصومهﷺ در قم.

٢. الطباطبائي، اسلام شیعی، (ترجمة: نصر)، ص١٨٣؛ دونالدسون، مذهب شیعه: تاریخچه اسلام در ایران و عراق، ص١٩٠ ـ ٩٧؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، ص٣٨؛ بریان الف، تمدن اسلامی در قرون وسطی دایرةالمعارف، ص٣٨١.



٥. أمّ الإمام الحسن العسكريّ

كانت والدة الإمام الحسن العسكري أمَة مثل سائر أمّهات الأئمّة الأطهار، و لّما أنجبت عدداً من الذكور كُنيت بـ(أمّ وَلد). و صرّح بعض المؤرّخين أنّ اسم والدة الإمام الحسن العسكريّ هو (سوسن) أو (غزالة) أو (سليل) أو (حربتا).

٦. أمّ الحجّة

بالاستناد إلى ما ورد في المصادر التاريخية فإنّ أمّ الإمام الثاني عشر تنتمي إلى سواحل البحر المتوسط و ثمّة الكثير من الروايات التي تتحدّث بشأن السيدة نرجس خاتون ـ زوج الإمام الحسن العسكريّ و والدة الإمام المهدي الإمام الثاني عشر. و تشير المصادر التاريخية إلى أنّ بشر بن سليمان النخّاس ـ و هو من موالي الإمام أبي الحسن الهادي ـ قال: «دخلتُ على مولاي الهادي فرأيته يحدّث أبنه أبا محمد و أخته حكيمة من وراء الستر. فلمّا جلست قال: «يا بشر! إنّك من ولد الأنصار، و هذه الولاية لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف، فأنتم ثُقاتنا أهل البيت، و إنّي مُزكّيك و مشرّفك بفضيلة تسبق بها شأو الشيعة في الموالاة بها، بسرّ أطلعك عليه، و أنفذك في ابتياع أمة». فكتب كتاباً ملصقاً بخط رومي و لغة رومية، و طبع عليه بخاتمه، و أخرج شستقة صفراء فيها مائتان و عشرون ديناراً، فقال: «خذها و توجّه بها إلى بغداد، و أحضر مَعْبَر الفرات ضَحوة كذا؛ فإذا وصلت إلى جانبك السبايا، و بَرزنَ الجواري منها، بهم طوائف المبتاعين من وكلاء قوّاد بني العباس و شراذم من فتيان العراق، فإذا رأيتَ ذلك فأشرف من البعد على المسمّى عمر بن يزيد النخّاس عامّة نهارك إلى أن تبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا وكذا، لابسة حريرتين صفيقتين تمتنع من السفور و لَمس المعترض و الانقياد لِمَن يحاول لمسها، و يشغل نظره بتأمّل مكاشفها من وراء الستر الرقيق فيضربها النخّاس، فتصرخ صرخة رومية، فاعلم أنّها تقول: واهتك ستراه. فيقول بعض المبتاعين: عليّ بثلاثمائة دينار، فقد زادني العفاف فيها رغبة. فتقول بالعربية: لو برزتَ في زي سليمان و على مثل سرير ملكه ما بدتْ لي فيك رغبة، فأشفق على مالك. فيقول النخّاس: فما الحيلة، و لابدّ من

بَيعكِ؟. فتقول الجارية: و ما العجلة؟ و لابدّ من اختيار مبتاع يسكن قلبي إليه و إلى أمانته و ديانته. فعند ذلك قُم إلى عمر بن يزيد النخّاس و قل له: إنّ معي كتاباً ملصقاً لبعض الأشراف، كتبه بلغة رومية و خطّ رومي و وصف فيه كرمه و وفاءه و نُبله و سخاؤه، فناولها لتتأمّل منه أخلاق صاحبه، فإن مالت إليه و رضيته فأنا وكيله في ابتياعها منك». قال بشر بن سليمان النخّاس: فامتثلت جميع ما حَدّه لي مولاي أبو الحسن﵇ في أمر الجارية. فلمّا نظرتْ في الكتاب بكتْ بكاءً شديداً، و قالت لعمر بن يزيد النخّاس: بِعْني من صاحب هذا الكتاب، و حَلفتْ بالمحرجة المغلّظة أنّه متى امتنع من بَيعها منه قتلت نفسها. فما زلتُ أشاحه في ثمنها حتى استقرّ الأمر فيه على مقدار ما كان أصحبنيه مولاي﵇ من الدنانير في الشستقة (أي الصرّة) الصفراء، فاستوفاه منّي وتسلّمت منه الجارية ضاحكة مستبشرة، و انصرفتُ بها إلى حجرتي التي كنت آوي إليها ببغداد».[1]

أصحاب الأئمّة الإثني عشر و تلاميذهم

من المعروف أنّه كان هناك الكثير من الشخصيّات التي ترجع أصولها إلى تلك المناطق المذكورة في أفريقيا من بين أصحاب الأئمّة﵇ الذين فاق عددهم الآلاف، إلّا أنّه لم ترد أسماءهم جميعاً في المصادر التاريخية سوى عدد قليل منهم، و في هذه المقالة الموجزة سنشير إلى بعض من تلك الشخصيّات البارزة:

١. رشيد

يُعتَقد أنّ رشيد الذي قالت عنه المصادر بأنّه من أصحاب الإمام الباقر﵇ كان من أهل تونس.[2]

---

١. الياش، ج. «حسن العسكرى، أبو محمد حسن بن على». دايره المعارف اسلام، التصحيح الثاني، تصحيح: پ. بيرمن، ث. بيانكونيس، پس از ميلاد مسيح باسورث، اى. ون دونزل و و. پ. هينريشس بريل، ٢٠١٠. بريل آنلاين. آگوستانا. ١٣ أبريل ٢٠١٠؛ بريل مولانا جبرئيل «مهدى منتظر». www.al-shia.com. النسخة الأصلية من الأرشيف، ٤ نوفمبر ٢٠٠٥؛ التستري، إحقاق الحق، ج١٢، ص٤٧٣.

٢. يورغن رن و سونجا برنتيس، انتقال عربى دانش در تراز، ص٢٥؛ فلسفه هايمن و والش در قرون وسطى ايندياناپوليس، ص٢٠٤؛ مرى، ژوزف و. و جرى ل. باچاراچ، ويراستاران، تمدن اسلامى قرون وسطى، ج١، ص٣٠٤.



٢. شُعيب العقرقوفيّ

ورد اسم شُعيب في جملة أصحاب الإمام جعفر الصادق و الإمام موسى الكاظم﷣ و نُقِل عنه حديثيْن في الأقلّ أحدهما في البرّ بذوي القُربى، و يُعتَقد أنّ شعيب هذا كان من أهل مراكش.[1]

٣. أبو عبد الله الشيعيّ

ذُكِر أنّ الإمام الصّادق﵇ كان قد أوفد أبا عبد الله الشيعيّ إلى شمال أفريقيا للدعوة إلى مذهب التشيّع و الوعظ و تدريس الأخلاق وفق منهج آل البيت﷣.[2]

المدفونون في شمال أفريقيا من آل البيت و الشيعة

سنشير هنا إلى بعض الشخصيات الشيعية المهمّة التي توفّيت و دُفنت في مناطق مختلفة من شمال أفريقيا بحسب المنطقة التي توفّي فيها كلّ منهم. فمن هؤلاء الصحابة مَن هو مدفون في مصر إلى جانب مَن دُفنوا هناك من آل بيت النبيّ الأكرمﷺ و عدد من الصحابة الكبار. و بالإضافة إلى جنّة البقيع في المدينة المنورة، فإنّ مصر في الحقيقة تضمّ رفات الكثير من الصحابة و آل البيت﷣ و ذُكِر لكلّ منهم تاريخ مختصر و سيرة موجزة و العديد من الصور و الخرائط الروائية للمساجد أو المقامات من أجل سهولة العثور عليها.[3]

١. محمّد بن أبي بكر

استطاع عمرو بن العاص أخيراً الانتصار بحيَله و مكره على محمّد بن أبي بكر، فأمر ابن العاص

---

١. ابن جرير الطبري الشيعي، دلائل الإمامة، ص١٠٠ـ١٠١.

٢. المصدر نفسه، ص١٤٩؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج١، ص٢٦٨؛ لقاء مع وكالة أنباء (ابناء)، رقم الخبر ٧٠٨٤٥١.

٣. عادة ما يتمّ جمع السِّير من المصادر العربية: نيل الخيرات الملموسة بزيارة (أهل البيت﷣) و (الصالحين) بـ(مصر) المحروسة، تأليف سعيد أبو الأسعاد، نشرته: شركة الفتح للطباعة و النشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.

جنوده بالقبض على محمّد لإرساله فيما بَعد حيّاً إلى معاوية. إلّا أنّ المصادر التاريخية ذكرت أنّ فرداً من جماعة ابن العاص اسمه (معاوية بن خديج) تشاجر مع أحد الأسرى ـ و يبدو أنّه كان محمّد بن أبي بكر ـ فسارع إلى قتله، و كان ابن خديج هذا قد اشتدّ غضبه على محمّد بن أبي بكر فوضع جسده في جلد حمار ميّت ثمّ أشعل فيه النار لكيلا يبقى من عدوّه أثر يُذكَر.

ومع ذلك فإنّ المصادر الشيعية تذكر أنّ معاوية ـ الذي أصبح فيما بعد أوّل خليفة أمويّ ـ هو القاتل الحقيقيّ لمحمّد بن أبي بكر. يقع قبر محمّد بن أبي بكر و مَزاره في مسجد في العاصمة المصرية القاهرة.[1]

٢. مالك الأشتر

كان مالك الأشتر (أو مالك بن الحريث النّخعي) من أوفى أصحاب أمير المؤمنين و ابن عمّ الرسول الأعظمﷺ علي بن أبي طالبؑ. و كان مالك قد أسلم في حياة النبيّﷺ و أصبح منذ ذلك الوقت الحامي المشتاق و الوفيّ الأكبر لسلالة الرسول الكريمﷺ و بَني هاشم. اعتلى مالك الأشتر مناصب عليا طيلة مدّة خلافة الإمام عليؑ و شارك في حروب عديدة مثل الجمل و صفّين و النهروان. هذا و تشير جميع المصادر التاريخية الشيعية أنّ مالك كان شجاعاً مقداماً لا يُبالي بعدوّه، و يُذكَر أنّ سبب تلقّبه بالأشتر أنّه ضربه رجل يوم اليرموك على رأسه فسالت الجراحة قَيْحًا إلى عينه فشترتها ـ أي قطعتها.

وبالاستناد إلى المصادر و الروايات الشيعية فإنّ مالك الأشتر كان قد أقبل على أمير المؤمنينؑ فحدّثه حديث مصر و أخبره عن أهلها و قال له: «ليس لهذا الوجه غيرك فأخرج فإني إن لم أوصك اكتفيت برأيك و استعن بالله على ما أهمك و اخلط الشدة باللين و ارفق ما كان الرفق أبلغ و اعتزم على الشدة متى لم يغن عنك إلا الشدة». قال: فخرج مالك الاشتر فأتى رحله و تهيأ للخروج إلى مصر و قدم أمير المؤمنين أمامه كتاباً إلى أهل مصر. و لما تهيأ مالك الاشتر للرحيل إلى مصر كتب عيون معاوية بالعراق إليه يرفعون خبره فعظم ذلك على معاوية و قد كان طمع في مصر فعلم أنّ

---

١. الفترة الأولى من حكم بني أمية، ابن كثير، مقتبس من (البدايه و النهايه)، تأليف ابن كثير، إسماعيل ابن عمر، ص ٧٧٥.

الاشتر إن قدمها فاتته و كان أشدّ عليه من ابن أبي بكر. فبعث إلى دهقان من أهل الخراج بالقلزم أنّ علياً قد بعث بالأشتر إلى مصر و إن كفيتنيه سوغتك خراج ناحيتك ما بقيت فاحتل في قتله بما قدرت عليه. ثمّ جمع معاوية أهل الشام و قال لهم: إنّ علياً قد بعث بالأشتر إلى مصر فهلمّوا ندعو الله عليه يكفينا أمره ثمّ دعا و دعوا معه. و خرج الأشتر حتى أتى القلزم فاستقبله ذلك الدهقان فسلم عليه و قال: أنا رجل من أهل الخراج و لك و لأصحابك عليّ حقّ في ارتفاع أرضي فانزل عليّ أقم بأمرك و أمر أصحابك و علف دوابكم و احتسب بذلك لي من الخراج. فنزل عليه الأشتر فأقام له و لأصحابه بما احتاجوا إليه و حمل إليه طعاماً دسّ في جملته عسلاً جعل فيه سُمّاً فلما شربه الأشتر قتله و مات. و بلغ معاوية خبره فجمع أهل الشام و قال لهم: أبشروا فإنّ الله قد أجاب دعاءكم و كفاكم الأشتر و أماته؛ فسُروا بذلك و استبشروا به».[1]

٣. السيدة زينب

يقع مسجد السيدة زينب ـ و هو مسجد قديم ـ في العاصمة المصرية و يُعدّ من أهمّ المساجد و أكبرها في تاريخ مصر الإسلاميّ. و قد أُطلق اسم السيدة زينب على هذا المسجداً إجلالاً و تكريماً للسيدة زينب بنت الإمام علي رابع الخلفاء الراشدين و أوّل إمام عند الشيعة و زوج فاطمة الزهراء بنت رسول الله.[2]

ليبيا

دخل الإسلام ليبيا بعد خلافة عمر بن الخطّاب و كان قد توقّف فيها جماعة من تلاميذ الإمام مالك بن أنس و سكنوا هناك في فترات مختلفة بعد خروجهم من المدينة إلى سائر بلاد المغرب. و كانت السنوسية ـ و هي حركة سياسية دينية إسلامية و قبلية (أسّسها الصوفيون) ـ موجودة في المستعمرة

١. مالك الاشتر: منشورات (بنياد انصاريان).

٢. كورتز، دليا و سيمونتا كالدريني، زنان و فاطميون در جهان اسلام.

الليبية و مناطق في السودان حيث تأسّست في مكّة سنة (١٨٣٧م) على يَد السنوسي الكبير محمّد بن علي السنوسي الجزائريّ. و كانت الحركة السنوسية تُعنى بكلّ ما تسبّب في أفول الفكر و المعنويات الإسلامية و إضعاف القدرة السياسية للمسلمين. و قد قامت هذه الحركة من عام (١٩٠٢) إلى عام (١٩١٣م) بمناجزة الاستعمار الفرنسي و محاربته في الصحراء الأفريقية ثمّ الاستعمار الإيطالي الذي بدأ سنة (١٩١١م).

ويُذكَر أنّ العلم التقليديّ للحركة السنوسية كان قد استُخدِم من قِبل سريلانكا فيما بَعد ثمّ أدمج مع العلم الليبيّ في نهاية المطاف. و تشير المصادر التاريخية أنّ سلالة السنوسية كانت تميل إلى الأوروبيين و الأجانب الأمر الذي أدّى إلى حدوث تغيّر كبير في عقائد هذه الفرقة و نشاطاتها بعد ذلك، و على الرّغم من توفّر المعلومات الدقيقة إلى حدّ ما بشأن سيرة شيوخ السنوسية إلّا أنّ الكثير منها مفقود و غير موجود.

الإمكانيّات العسكرية لمحمّد بن علي السنوسي

محمّد بن علي السنوسي هو مؤسّس السنوسية و حامي طبقة الصوفية في الجزائر و يسمّى بالسنوسي الكبير. وُلد بالقرب من مدينة (مستغانم) بالجزائر و اتّخذ لنفسه اسم المعلم المسلم و كان موضع احترام الكثيرين. و محمّد عضو في قبيلة (ولد سيدي عبد الله) و من الأشراف حيث يعود نسبه إلى فاطمة الزهراء؟. كان محمّد يدرس في مدرسة (فض) ثمّ غادرها إلى الصحراء للوعظ و التبليغ و كان ذلك يمثّل ثورة تهذيبية عقائدية في تونس و طرابلس الغرب، فانجذب إليه الكثيرون و التفّ حوله العديد من الناس. رحل محمّد بعدها إلى القاهرة من أجل الدراسة في جامعة الأزهر.[1]

---

١. راسل مك غوريك، جنگ كوتاه السنوسيه داستان شگرف نبرد فراموش شده در صحراى غربى، ١٩١٥ـ١٩١٧، ص٤ـ٢٦٣؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ٢ـ٨٢؛ المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج١، ص٣٥٠ـ٣٤٤؛ و دورارول اسميت ف.اى خير السبت تأليف ابن العبر الأندلسي، ص٢٦.



جمهورية مالي

أصبحت مدينة (تومبوكتو) في الوقت الحاضر مدينة مهجورة و متروكة بعد أن كانت تمثّل أسطورة من الأساطير قبل (٩٠٠) عام كمركز تجاريّ في غرب أفريقيا، إلّا أنّ ذلك لم يكن حالها دوماً، فقد كانت هذه المدينة مركزاً دينياً و ثقافياً و تجارياً مهمّاً و كان سكّانها يتنقّلون بين الصحراء الأفريقية و مراكش و الجزائر إلى الشمال ثمّ إلى سائر مناطق أفريقيا و أوروبا و آسيا. و عُرفت (تومبوكتو) التي تقع على هامش الصحراء الأفريقية، عند تجّار البحر المتوسط لمحاصيلها و بضائعها القادمة من جنوب الصحراء، و كان الكثير من الناس يسافرون إلى (تومبوكتو) أملاً في الحصول على الثروة أو المناصب السياسية، كما كان العديد منهم يذهبون إليها لغرض كسب العلم فقد كانت (تومبوكتو) مدينة مشهورة و معروفة في كلّ العالم الإسلامي بفضل علمائها و الفضاء العلمي الذي كانت تتمتّع به آنذاك. و أمّا أكبر الخدمات التي قدّمتها (تومبوكتو) للحضارة الإسلامية و العالم و أطولها عمراً فتتمثّل في العلوم و الكتب التي صنّفت فيها و استُنسخت منها و قد بدأ ذلك على أقلّ تقدير منذ القرن الرابع عشر، و كان لازدهار جامعة (تومبوكتو) صدى كبير في جنوب الصحراء الأفريقية و كانت معروفة في معظم العالم الإسلامي.[1]

الشيعة الأوائل في تلك المنطقة

تشير التقارير التاريخية إلى قيام العديد من الثورات في تلك المنطقة، ثورات شبيهة بتلك التي قام بها عبد الله بن سعد بن عمّار بن ياسر في أوّل مجيء بَني أميّة و مَن تبعهم، حيث نشبت ثورة قام بها شخص يُدعى علاء بن مغيث الجوزامي سنة (١٤٦هـ) و ثورة أخرى أكبر و أعظم قام بها حلّاق يُسمّى (شقنا) في منطقة تُدعى (سانتاير). و خلال الفترة الواقعة بين سنة (١٧٠) و (٢٧٠هـ) يمكننا ملاحظة وجود جماعة من العلماء الشيعة و نشاطاتهم بعد مجيئهم إلى هذه المنطقة، و قد

---

١. وسيا وغليری، لورا. «فخ». پ. بیرمن؛ ث. بیانکوئیس؛ س. ای. بوسورث؛ ای. ون دانزل؛ و و. پ. هینریشس در دایرةالمعارف اسلام، التصحيح الثاني، بريل آنلاين، ١٩٨٦.

أشارت المصادر التاريخية إلى بعض هؤلاء منهم شخص يسمّى عباس بن نصيح الثقفي و هو شاعر أوفِد إلى العراق للحصول على عدد من الكتب القديمة في عهد أبي مترف عبد الرحمن بن الحكم (حكم من سنة ٢٠٦ إلى ٢٣٧هـ).[1]

سلسلة الأدارسة

إدريس بن عبد الله (٧٩١ـ٧٨٨م) هو مؤسّس سلسلة الأدارسة، و يعود نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب. هرب إدريس بن عبد الله إلى مراكش (المغرب) بعد معركة الفخّ التي وقعت بين العباسيين و المُعارضين من الشيعة بالقرب من مكّة المكرّمة سنة (١٦٩هـ)، فوصل في البدء مدينة (طنجة) إحدى أهمّ مدن مراكش ثمّ استقرّ بعد ذلك (سنة ٧٨٨م) في مدينة (وليلي)،[2] و في مدينة (وليلي) استقبله أفراد قبيلة (أورابة) البربرية بحفاوة و لقّبوه بـ(الإمام). و يعود نسب هذه القبيلة في الأصل إلى منطقة (تلمسان) حيث كانت تدافع عن (كسيلة) إبّان المعارك ضدّ جيش الأمويين سنة (٦٧٠م) و (٦٨٠م). و في النصف الثاني من القرن الثامن الميلاديّ سكنت هذه القبيلة شمال مراكش و اتّخذ قائدهم (ايساك) مدينة (رومي) و (وليلي) مقرّاً له. و خلال تلك الفترة كان أبناء قبيلة (أورابة) الذين كانوا قد أسلموا من قَبل، يسكنون في منطقة تجمع في معظمها بعض القبائل و المسيحيين و اليهود و الخوارج و حتى الكفّار. و يبدو أنّ أبناء القبيلة المذكورة استقبلوا الإمام الشريف السنوسي بكلّ تلك الحفاوة من أجل تعزيز موقعهم السياسيّ، و أمّا إدريس الذي كان نشيطاً في المجال السياسيّ داخل قبيلة (أورابة) فقد انصبّت جهوده في الإعلام عن نفسه و تقوية موضعه السياسيّ و إخضاع القبائل المسيحية و اليهودية و إدراجها تحت سلطته فقام سنة (٧٨٩م) بتأسيس مدينة سكنية باسم (الفض) في جنوب شرق (وليلي)، و في عام (٧٩١) دسّ أحد عملاء الحكومة العباسية له السمّ فمات على أثر ذلك.

---

١. جانستون، «معتقدين به مسيحيت از پيشينه اسلامى: اجماع جهانى».

٢. وسيا واغليري، «فخ». پ. بيرمن؛ ث. بيانكونيس؛ س. اى. بوسورث؛ اى. ون دانزل؛ و و. پ. هينريشس در دايرة‌المعارف اسلام. التصحيح الثاني، بريل آنلاين، ١٩٨٦.

على الرّغم من أنّ إدريس لم يخلّف وراءه وريثاً ذكراً إلّا أنّ زوجته المؤقّتة (لالا كانزا) بنت عقبة الأورابي، أنجبت أوّل وريث ذكر له بعد مرور فترة قصيرة على وفاته، و سُمي الوريث إدريس الثاني، و تولّى تربيته شخص اسمه (راشد) و هو عبد عربي كان مع إدريس الأوّل منذ قدومه إلى أفريقيا و كان مخلصاً و وفياً له ثمّ عُيّن الوصيّ على العرش من قِبل الأورابيين. و في عام (٨٠١) اغتيل (راشد) هذا من قِبل العباسيين كذلك، و بعد سنة من ذلك ادّعى إدريس الثاني الإمامة على قبيلة أورابة و كان عمره آنذاك أحد عشر عاماً.

ومع أنّ سلطة إدريس الثاني كانت تشمل معظم المناطق الشمالية من مراكش حتى تلمسان إلّا أنّه كان يمارس سلطته على الأورابيين بشكل كامل. و كان إدريس الثاني قد بدأ حكمه بإضعاف قدرة الأورابيين و الترحيب بالسكّان العرب في (وليلي) و تعيين شخصيْن منهم أحدهما برتبة وزير و الآخر برتبة قاضي، و هكذا استطاع إدريس الثاني التخلّص من حماية الأورابيين و وصايتهم و إعلان نفسه ملكاً و امبراطوراً؛ فكان ردّ فعل (ايشاك) ـ قائد قبيلة أورابة ـ على ذلك أن دبّر حيلة ضدّ زوجة إدريس الثاني و الجالية التونسية هناك. فلم يتوانى إدريس الثاني من قتل حاميه السابق (ايشاك) و إنهاء مهمّته. و في عام (٨٠٩) نقل إدريس الثاني مقرّ حكمه من مدينة (وليلي) إلى المدينة الجديدة (فض) و بنى فيها منطقة سكنية جديدة سمّاها (العالية).

ومن عام (٧٩١) إلى (٨٢٨) شرع إدريس الثاني بتطوير مدينة (فض) و تعزيز عمرانها بعد أن كان أبوه قد بناها كمدينة تجارية للبرابرة، و في تلك الفترة كان إدريس الثاني يشجّع قدوم المهاجرين العرب إلى تلك المدينة و لا سيّما موجات المهاجرين من جهتيْن اثنتيْن: الأولى كانت سنة (٨١٨) من (قرطبة) و الثانية كانت سنة (٨١٤) و معظمهم من التونسيين، الأمر الذي عمّق الهوية العربية لُمدن المغرب. و عندما توفّي إدريس الثاني سنة (٨٢٨) تعاظمت سلسلة الأدارسة فكانت حدودها من غرب الجزيرة إلى (سوس) في جنوب مراكش ثمّ تحوّلت إلى محافظة (مراكش) الأصلية فغلب صيتها على سائر الإمارات الأخرى مثل (سلجماسة) و (بورغواطة) و (نكور).

بعد وفاة إدريس الثاني و إبّان حكم محمّد ـ ابنه و وريثه ـ ضعفت شكوة الأدارسة بين سنة (٨٢٨) و (٨٣٦) و انقسمت ممكلته إلى سبعة أقسام بعدد إخوته الآخرين و أصبحت البلاد عبارة

عن ثماني مقاطعات صغيرة في مراكش و الجزيرة؛ فأمّا محمّد فلم يكن يحكم سوى (فضّ) و لم تكن له أيّ سلطة على إخوته إلّا من الناحية الاسمية فقط. و خلال تلك الفترة ركّز محمّد على الجانب الثقافيّ الإسلامي و العربي في المدن الرئيسة و انتعشت مراكش بفضل المعاملات التجارية التي كانت تحدث بين المناطق و البلدان الصحراوية في أفريقيا و التي كانت من قبل تخضع للتجار المسلمين (وأغلبهم من البربر)، لكن رغم ذلك فإنّ الثقافة الإسلامية و الشيعية لم تكن حاضرة سوى في المدن و كان معظم سكّان بلاد مراكش يتحدّثون مع بعضهم باللهجات و اللغات البربرية. كان الأدارسة يحكمون المُدن الكبيرة بشكل عامّ أمّا سلطتهم فلم تشمل سكّان تلك البلاد، و كانت أسرة الإدريسيّ قد اصطبغت بالصفات البربرية بشكل كامل و كان معظم أعضائها ينضوون تحت لواء قبائل (ناتة) في مراكش. كان ابن قطبية قبل ذلك (في سنة ٨٧٠) قد وصف أسرة الإدريسي بأنّها بربرية تماماً من الناحية التقليدية، و في القرن الثامن عشر تعاظمت تلك الصفة حتى انصهرت تلك الأسرة في المجتمعات البربرية في مراكش بشكل كامل. و خلال القرن المذكور أيضاً انتفضت أسرة (بنو حمود) من بين الأدارسة و استطاعت الاستيلاء على عدد من المدن شمال غرب مراكش و جنوب أسبانيا.

وعلى الرغم من أنّ الخلافة في (قرطبة) كانت لا تزال أموية من الناحية السياسية إلّا أنّها كانت أكثر تحرّراً بالمقارنة مع العباسيين و الأمويين و تمتلك قدرة أكبر من ذي قَبل، و كان الحكّام في تلك المنطقة يمنحون الحرية لسكّانها لممارسة شؤونهم و تقاليدهم الدينية و المذهبية حسب ما يرغبون لكن من دون أن يؤثّر ذلك على سلطة الخليفة بشكل علنيّ. و مع أفول نجم السلالة الشيعية الإمامية لم يَعُد الشيعة الإمامية يشكّلون أيّ تهديد سياسيّ مباشر في تلك المنطقة و كانوا متساوين مع البرابرة و اليهود و المسيحيين. و على الرغم من العلاقات الطيبة نسبياً التي كانت تربط بين الخليفة في (قرطبة) و الفاطميين و مَيل الشيعة الإثني عشرية أو الإسماعيليين إلى الفاطميين، فإنّ ذلك أيضاً لم يكن يشكّل أيّ تهديد جدّي بالنسبة للسكّان الشيعة، كما ظلّت مدينة (فضّ) محتفظة بمكانتها كمركز تعليميّ مهمّ حتى وقت متأخر.[1]

---

١. ويرايش اسپوسيتو، جان ل. تاريخ اسلامى دانشگاه آكسفورد.



بَنو حمود

بنو حمود هي أسرة عربية مسلمة تولّت الخلافة لفترة قصيرة في كلّ من قرطبة و طوائف المالاغا و الآلغيسيراس مع سلطة اسمية و بسيطة على مدينة سبطة. كان أجداد بني حمود الأدارسة من الزيدية الأمر الذي يبيّن لنا سبب وصفهم بالشيعة على الرغم من أنّه لم تكن لدى بنو حمود أيّ ميول شيعية و لا حتى ما يربطهم بالشيعة الزيدية كذلك.[1]

سلالة الفاطميين

أبو محمد عبد الله المهديّ بالله (من ٨٧٣ إلى ٨٧٤، مارس / آذار ٩٣٤) هو مؤسّس الخلافة الفاطمية الإسماعيلية و الخليفة الشيعيّ الوحيد الذي حكم في تاريخ الإسلام و هو الذي وسّع حدود الحكومة الإسلامية في شمال أفريقيا كلّها و الحجاز و فلسطين و (لفانت) ـ سورية حالياً.

وفي عام (٩١٠) قرّر الخليفة الفاطميّ عبيد الله المهديّ توسيع نطاق خلافته إلى مدينة (كيب تاون) في جنوب أفريقيا و سمّاها (المهدية) و خلال تلك الفترة تمّ إنشاء العديد من المباني و وضع التماثيل الكبيرة في أنحاء المدينة، و ما زالت تلك الآثار موجودة إلى هذا الوقت في تلك المدينة.

ويُذكر أنّ عبيد الله اتّخذ لنفسه اسم المهدي تيمّناً باسم الإمام المهدي الإمام الثاني عشر للشيعة الإمامية.

وتشتمل مدينة المهدية على الكثير من الحصون القوية التي تنظّم عملية الدخول إليها و الخروج منها فضلاً عن المسجد الأعظم الموجود فيها و ميناء (بانيك) الذي كان يُعدّ مركزاً تجارياً و عسكرياً. و بعد فتح المغرب شرع الفاطميون بالتقدّم باتّجاه الشرق و بذلوا لذلك جهوداً كبيرة حتى تمكّنوا من إنشاء مركز سياسيّ لهم في القاهرة و ذلك سنة (٩٦٩م).

---

١. وسيا واغليري، نورا. «فخ». پ. بيرمن؛ ث. بيانكونيس؛ س. اى. بوسورث؛ اى. ون دانزل؛ و و. پ. ينريشس در دايره المعارف اسلام. التصحيح الثاني، بريل آنلاين، ١٩٨٦.



بعض السيدات و الصحابيات

لا يملك الباحثون و المحققون المتخصّصون في شؤون الصحابة أيّ معلومات كافية و دقيقة حول الصحابيات في بلاد أفريقيا، إلّا أنّهم صرّحوا بأنّ بعض تلك الصحابيات كنّ معروفات بجهادهنّ و أنّ لهنّ قبور عديدة في تلك المنطقة مثل السيدة (نفيسة) و السيدة (زينب) كما تشير بعض المعلومات إلى أنّ عدداً من النساء كانت لهنّ نشاطات و فعاليات مهمّة كذلك مثل السيدة (فاطمة) و السيدة (فوزية) و منهنّ مَن أسّسن مساجد و جامعة تسمّى بجامعة القرويين في مدينة (فض). و كما علمنا فإنّ تلك المدينة بناها الشيعة من الأدارسة و الأشراف و كان لهم دور كبير و فعّال في التصدّي لبَني أميّة و الفاطميين.[1]

الجامعات المهمّة في شمال أفريقيا

هنالك العديد من الجامعات الإسلامية القديمة التي بُنيت في شمال أفريقيا و على رأسها جامعة القرويين في مدينة (فض) ـ بمراكش ـ و ثمّة جامعة معروفة أخرى هي جامعة الزيتونة في تونس.[2]

وتُعتبر جامعة الأزهر في مصر من أقدم الجامعات في العالم، و تقع هذه الجامعة بالقرب من مسجد سُمي باسم السيدة (فاطمة) تيمّناً باسم مولاتنا فاطمة الزهراء ﷺ. هذا، و بدأت الدراسة في جامعة الأزهر في شهر رمضان من عام (٩٧٥م) و تشتمل الجامعة المذكورة على عدد من الكليّات التي تُدَرّس فيها الحقوق و الفقه الإسلامي و قواعد اللغة العربية و علم الفلك الإسلامي و الفلسفة الإسلامية و المنطق. و في القرن الثاني عشر ـ بعد سقوط الحكومة الفاطمية الشيعية ـ قام صلاح الدين الأيوبي بتبديل جامعة الأزهر إلى مركز لتدريس الفقه الشافعي.

المكتبات و الجامعات المهمّة في تلك المنطقة

أسّس الجيل الأوّل و الثاني من المسلمين مكتبات مركزية مثل مكتبة (تومبوكتو) إلى جانب الآثار الخالدة في تلك المنطقة مثل مكتبة الإسكندرية و ما شابهها. و قد لعب المسلمون الأوائل دوراً مهمّاً

---

١. هلم، فاطميون و سنن يادگيرى آنها.

٢. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، ص٣٨.

و كبيراً في إنشاء الكثير من المراكز تحت عنوان (بيت الحكمة). و كانت (دار الحكمة) ـ أو دار العلم ـ قد تأسّست سنة (١٠٠٥م) على عهد الخليفة الفاطميّ السادس الحكيم بأمر الله.

نشاطات العلماء و إنجازاتهم

قام العلماء في تلك المنطقة بالكثير من النشاطات و الفعاليّات في مجال البحوث و الآثار الإسلامية، و كما يلي:

١. التفسير

يُعدّ تفسير يحيى بن سلام من أقدم التفاسير المصنّفة في هذه المنطقة، و كان التفسير المذكور مكتوباً وفق مذهب أبناء العامّة و يضمّ أحاديث و أقوال لمالك بن أنس و سفيان الثوريّ.

٢. الفقه (الحقوق الإسلامية)

أسّس يحيى الليثي ـ فقيه أهل الأندلس ـ (المتوفّى سنة ٨٤٨م) مدرسة مالكية في الأندلس.

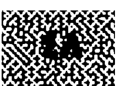
سهنان (١٦٠/ ٧٧٦ـ٧ إلى ٢٤٠/ ٨٥٤ـ٥): فقيه و مؤلّف (المدونة) و هي من أهمّ الآثار المكتوبة في الفقه المالكي.

ابن أبي زياد (٣١٠/ ٩٢٢ إلى ٣٨٦/ ٩٩٦): فقيه من أبناء العامّة من أهل تونس و مؤلّف رسالة مهمّة في الفقه المالكي.

السيارة: كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، (أو الأخبار المنتخبة) للقاضي عياد (المتوفّى ٥٤٤ بعد الهجرة/ ١١٤٩ بعد الميلاد).

٣. أحفاد الرّسول (الأشراف)

تمتلك الكثير من الأُسر في شمال أفريقيا و مراكش و تونس و الجزائر شجرة أنساب مكتوبة و مدوّنة و كانت معروفة بالأُسر الشريفة أو الأشراف، إلّا أنّ بعضهم انحرف و ابتعد عن هويّته الأصلية، و لا بدّ من دراسة شجرة أنسابهم و مطالعتها بشكل دقيق من أجل تعريفهم بهويّتهم الحقيقية، فتعريف



أولئك بأنّهم يتشرّفون بالانتماء إلى الإمام الحسنؑ سيزيد من محبّتهم و ولائهم لآل بيت الرّسولﷺ فضلاً عن إمكانية استثمار ذلك في مواجهة الأفكار و العقائد الوهابية التي تهدّدهم.

هذا و يحتلّ الأشراف منزلة خاصة لدى التونسيين و المغاربة و يُسمَح لهؤلاء ممّن يحملون بطاقات خاصّة بالمشاركة في المراسم الملكية و الحضور في الأماكن التي تعود للسلطان.[1]

٤. الجغرافيا و الخرائط

يُعتبر الإدريسيّ (أو الشريف الإدريسيّ) من الشخصيّات المعروفة في هذا الفنّ و ذلك لتصنيفه الكتاب المسمّى (نهضة المشتاق). وُلد الإدريسيّ في أسرة كبيرة من أُسر بني حمود في شمال أفريقيا و الأندلس حيث يدّعون بانتمائهم إلى سلالة الأدارسة في مراكش، و بالتالي إلى الرسول الأعظمﷺ و تذكر المصادر التاريخية أنّ الإدريسي سبق (كولومبوس) في اكتشاف قارّة أمريكا.[2]

٥. كتابة التاريخ

المقرضي: هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقرضيّ (من ١٣٦٤ إلى ١٤٢٢)، مؤرّخ مصري غالباً ما يُعرَف بالمقرضيّ. على الرّغم من كون المقرضي من أبناء العامّة إلّا أنّه اشتُهر بحبّه و ولاءه الشديديْن للسلالة الفاطمية الإسماعيلية و دوره الكبير في كتابة تاريخ مصر.

٦. الفكر الإسلامي

هاجر الكثير من علماء الشيعة إلى شمال أفريقيا خاصة ممّن كانوا يقطنون اليمن، و برز فيهم العديد من المحاربين و المجاهدين من أمثال عبد الله بن حنش السنانيّ الذي ما زالت آثارة باقية إلى الآن في مدينة (زاراغوزا).[3]

---

١. ويراني، شفيق ن. اسماعيليه در قرون وسطى: تاريخ بقاء، جستجو براى رستگارى، ص٩٢؛ ديويد پرسكات باروز. بربرها و سياهان: تاثيرات مراكش، تيمبوكتو و سودان غربى؛ زنگنه، ليلا اعظم، آيا كتابخانه بزرگ تيمبوكتو از بين رفته است؟

٢. ويرايش ژوزف و. مرى، تمدن اسلامى در قرون وسطى: دايرةالمعارف.

٣. هرمان ل. L'image d'Idrīs II, ses descendants de Fās et la politique sharīfienne des sultans marīnides، ٦٥٦-٨٦٩/ ١٢٥٨-١٤٦٥، بريل، ١٩٨٩، ص ٢٥٠_٢٥٥.

النتيجة

تُعتبر النقاط التالية من بين النتائج التي توصّل إليها كاتب هذه المقالة:

١. على الرغم من الإجراءات الإعلامية الهدّامة التي قام بها الأمويون و بَنو العبّاس و بعض الأطراف الأخرى ضدّ الشيعة فإنّ تأسيس العديد من الحكومات و الدويلات الشيعية على مرّ التاريخ و ظهور المئات من العلماء و الكُتب و الآثار البحثية إلى جانب الكثير من القبائل الكبيرة من الأشراف و مقابرهم و مزاراتهم المتعدّدة و محبّتهم الخالصة للنبيّ الأعظمﷺ و آل بيته الكرام، هي دلائل واضحة و استدلالات بائنة حول التأثير المهمّ لآل البيت و أبنائهم في المناطق المذكورة.

٢. كان الفاطميون في مصر و الأدارسة في شمال أفريقيا يمثّلون شواهد قويّة للتيارات و الحركات السياسية و الدينية الشيعية التي لعبت دوراً كبيراً في شمال أفريقيا.

٣. تضمّ تلك المناطق الكثير من الصحابة الشيعة الأجلّاء ممّن كانت لهم آثار قيّمة في العلوم الإسلامية كالتفسير و الفقه و غير ذلك.

٤. تعود أصول أمّهات أربعة أئمّة في الأقلّ إلى شمال أفريقيا.

المصادر

١. ابن أبي زرع، علي بن أبي زرع الفاسي: *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس*، الرباط: منشورات دار المنصور، ١٩٧٢م.

٢. ابن إسحاق محمد بن اسحاق بن يسار، *سيرة رسول الله*ﷺ (ترجمة آلفرد غيلومه)، منشورات (جامعة أوكسفورد)، ٢٠٠٤م.

٣. ابن الأثير جرزى، عزّ الدين أبو الحسن علي بن محمّد: *الكامل في التاريخ*، تصحيح: محمّد يوسف الدقاق، بيروت: منشورات دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٣م.

٤. ابن جرير الطبري الشيعي الكبير، أبو جعفر محمد بن جرير، *دلائل الإمامة*، منشورات دار الذخائر للمطبوعات، قم.

٥. ابن جرير الطبري، الصغير العامي، محمد بن جرير، *تاريخ الرسول*ﷺ و الملوك، منشورات (جامعة نيويورك الحكومية)، ١٩٧٧م.

٦. ابن خلكان، أحمد بن محمّد، *وفيات الأعيان*، تحقيق إحسان عبّاس، بيروت: منشورات دار صادر، ١٣٦٤هـ.

٧. ابن سعد الواقدي كاتب محمد، *الطبقات الكبرى*، بيروت، بيروت، ١٤١٤هـ.

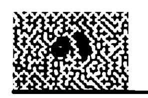
٨. ابن عبد البرّ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، تحقيق، علي محمد البجاوي، بيروت، منشورات دار الجيل، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٩. ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب*، تحقيق: ج. س. كولان، ا. ليفي برونسال، ليدن، ١٩٤٨م.

١٠. ابن هشام، عبد الملك، *السيرة النبوية*، بيروت: منشورات دار المعرفة، ١٩٨٥م.

١١. أبو العرب التميمي، محمّد بن احمد: *طبقات أهل أفريقية*، دار الكتاب اللبناني.

١٢. أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله، *حلية الأولياء و طبقات الأصفياء*، طبعة محمد أمين الخانجي، بيروت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.



١٣ . بريان الف. كاتلوس، *تمدن اسلامی در قرون وسطی دائرة المعارف*، تصحيح: ژوزف و. مري، منشورات (راتلج)، ٢٠٠٦م.

١٤ . بريل مولانا جبرئيل، «مهدی منتظر»، www.al-shia.com، النسخة الأصلية من الأرشيف، ٤ نوفمبر ٢٠٠٥م.

١٥ . التستري، القاضي سيد نور الله، *إحقاق الحق*، قم، كتابخانه آية الله العظمى المرعشى النجفى، ١٤٠٩هـ.

١٦ . جانستون، باتريك، ميلر، دونه الكساندر «معتقدين به مسيحيت از پيشينه اسلامى: اجماع جهانى».

١٧ . جعفر، معصومه، *بانو فاطمة معصومه در قم* (التصحيح الأوّل)، قم: جامعة الزهراء، الحوزة الإسلامية للنساء، ٢٠٠٣م.

١٨ . دورارول اسميت ف. اى خبر السبت تأليف ابن العبر الأندلسي، بيروت: منشورات لبنان.

١٩ . دونالدسون، دوايت م. *مذهب شيعه: تاريخ اسلام در ايران و عراق*، منشورات (برليغ)، ١٩٣٣م.

٢٠ . ـــــــ ، *مذهب شيعه: تاريخچه اسلام در ايران و عراق*، منشورات (AMS)، ١٩٣٣م.

٢١ . ديفيد برسكات باروز، *بربرها و سياهان: تأثيرات مراكش*، تيمبوكتو و سودان غربى، ٢٠٠٤م.

٢٢ . رابينسون، ديفيد، *جوامع مسلمان در تاريخ آفريقا*، كامبريج، إنكلترة: منشورات جامعة كامبريج، ٢٠٠٤م، النسخة المطبوعة.

٢٣ . راسل مك غوريرك، *جنگ كوتاه السنوسيه داستان شگرف نبرد فراموش شده در صحراى غربى*، ١٩١٥ـ١٩١٧، لندن: منشورات (عربى)، ٢٠٠٧م.

٢٤ . رضوي، السيد سعيد اختر، *برده داری از منظر اسلام و مسيحيت*، *منشورات* (بنياد آموزش اسلامى ونكوور)، المراجعة بتاريخ ٢٢ سبتمبر ٢٠١٤م.

٢٥ . زنگنه، ليلا أعظم، *آيا كتابخانه بزرگ تيمبوكتو از بين رفته است؟* *نيويوركر*د، تاريخ المراجعة ٢٧ فبراير ٢٠١٣م.

٢٦ . صادقي أردستانى، أحمد، *زنان دانشمند و راوى حديث*، قم، ١٩٨٨م.

٢٧ . الطباطبائي، السيد محمد حسين، *اسلام شيعي*، ترجمة السيد حسين نصر، منشورات (جامعة نيويورك الحكومية)، ١٩٧٥م، الرمز المباشر ٨ـ٣٩٠ـ٨٧٣٩٥ـ٠.

٢٨. الطبراني، سليمان بن أحمد، *المعجم الكبير*، التحقيق: حمدى عبدالمجيد سلفي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، بدون تاريخ.

٢٩. فسيا وغليري، لورا. «فخ». پ. بيرمن؛ ث. بيانكوئيس؛ س. اى. بوسورث؛ اى. ون دانزل؛ *و و. پ. هينريشس در دائرةالمعارف اسلام*. التصحيح الثاني، بريل آنلاين، ١٩٨٦م.

٣٠. مادلونغ، ويلفرد فرديناند «*على الرضا*ﷺ، *هشتمين امام شيعيان امامى*»، ٢٠١١م. Iranicaonline.org. تمّت المراجعة بتاريخ ١٨ يونيو ٢٠١٤.

٣١. مغنية، محمد جواد، *الشيعة و التشيع*، بيروت: منشورات شريف، ١٤٠٥هـ.

٣٢. مونتغومري وات، *محمد*ﷺ *در شهر مكه*، منشورات (جامعة أوكسفورد)، ١٩٨٠م.

٣٣. الناصري، أحمد بن خالد، *الاستقصاء لأخبار الدول المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، منشورات وزارة الثقافة و الاتصال، ٢٠٠١م.

٣٤. النيشابوري، مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم*، القاهرة: منشورات دار ابن حزم، ١٤٢٩هـ.

٣٥. هرمان ل. بك، L'image d'Idrīs II, ses descendants de Fās et la politique sharīfienne des sultans marīnides، ٦٥٦-٨٦٩/ ١٢٥٨-١٤٦٥، أبريل، ١٩٨٩م.

٣٦. هلم، هينز. *فاطميون و سنن يادگيرى آنها*، لندن: مؤسسة (إسماعيلي) للدراسات و اى. ب. توريس.ف، ١٩٩٧م.

٣٧. ويراني، شفيق ن. *اسماعيليه در قرون وسطى: تاريخ بقاء*، جستجو براى رستگارى (نيويورك: منشورات جامعة أوكسفورد)، ٢٠٠٧م.

٣٨. ويرايش اسپوسيتو، جان ل. *تاريخ اسلامى*، دانشگاه آكسفورد، نيويورك: منشورات جامعة أوكسفورد، ٢٠٠٠م.

٣٩. ويرايش ژوزف و. مرى، *تمدن اسلامى در قرون وسطى: دائرةالمعارف*، منشورات (راتلج)، ١٩٣٨م.

٤٠. الياش، ج. «حسن العسكري، أبو محمد حسن بن علي‌ﷺ»، *دائرةالمعارف اسلام*، التصحيح الثاني، تصحيح: پ. بيرمن، ث. بيانكوئيس، پس از ميلاد مسيح باسورث، اى. ون دونزل و و. پ. هينريشس بريل، ٢٠١٠، بريل آنلاين. آگوستانا. ١٣ أبريل ٢٠١٠م.

۲

دور الأدارسة فی تطویر العلوم و الحضارة الإسلامیة فی المغرب

هواری البهلولی[۱]

۱. پژوهشگر علوم اسلامی در کشور الجزائر.

الخلاصة

قام الأحرار من العلويين بعدة ثورات بهدف تحقيق العدل ونشر الإسلام الحقيقي الصحيح، فلم يتم ذلك في موطنهم، بل تمكنوا إقامة دولة السلام التي يبغونها بعيدا عن أ وطانهم بما يمتلكون من ايمان وأخلاق و مصداقية، فاستطاعوا أن يأسسوا دولة متحضرة تتصف بمعايير الحضارة والمدنية وأصبحت الشعوب التي كانت يتهمها الطغاة بالتخلف رائدة التقدم والتحضر، فاستحدثوا المناصب كالوزرات و الدواوين من أجل تيسير و تسهيل حكمهم و إدخال شعوب المنطقة في التحضّر بعد أن كانت حياتهم أقرب إلى البداوة منها إلى المدنيّة وإنشاء جيش منظم و قوي يحمي الدولة من بطش أعداءها الذين أحدقوا بها والأهم من ذلك إعمار المدن وتأسيس المدارس والجامعات وإدارة الأزمات الإقتصادية والحرية العقائدية والحركة الثقافية، والاعتدال السياسي والمذهبي جعل من هذه الدولة أن تكون نموذجا للحضارة الإسلامية الشامخة في القرون الأولى.

الكلمات المفتاحية: الشيعة، أفريقيا، المغرب، ادريس الأول، المذهب الزيدى، جامعة القرويين.

المقدّمة

لم تكن الحضارة الإسلامية وليدة حقبة أو شعب ما، بل هي ثمرة الجهود المتواصلة للأمّة الإسلاميّة منذ انبثاق الدعوة المحمديّة المباركة على صاحبها أفضل الصلاة و أزكى السلام.

و في ظلّ الإيمان و العقيدة ذابت الشعوب المسلمة في بوتقة الإسلام، و وظّفت كلّ قواها و إمكاناتها، وركّزت جلّ مساعيها لخدمة الإسلام و تحقيق أهدافه النبيلة و أغراضه السامية، و بذلك أرست دعائم

حضارة لاتزال البشرية ـ وإلى يوم النّاس هذا ـ مدينة لها، مستفيدة من نتاج علمائها و مفكّريها.

و بعيداً عن دولة الخلافة في الشرق حيث المنشأ و البداية، وفي مغربٍ مثقلٍ بالمشاكل السياسية و الإجتماعية و نزاعات وصراعات إثنية و مذهبية تنهش أوصاله، بزغت شمس دولة حملت لواء أهل بيت رسول الله ﷺ ومعه لواء الحضارة جنباً إلى جنب، مُدخلة منطقةً (كانت في وقت قريب مجرّد معبر لمهاجري الشرق نحو بلاد الأندلس) ركب الحضارة.

من بيت النبوة و مهبط الوحي جاء سليل العترة «**أدريس الأول**» (مظلوماً ملهوفاً طريداً شريداً خائفاً موتوراً، قد كثر واطروه، و قلّ ناصروه، قد قتل إخوته و أبوه وجدّه وأهلوه... في واقعة فخّ)، لائذاً بالبربر طالباً الأمان داعياً إلى دين جدّه ﷺ، و إحياء سنّته فيهم، فأمّنوه و استقبلوه برحابة صدر و بايعوه أميراً عليهم. لتُفتح بذلك صفحة جديدة من تاريخ المغرب الإسلامي كتبت بأحرف من ذهب، خطّتها أنامل هاشمية تعضدها أخرى بربرية و عربية و فارسية.

وهناك هندس الأدارسة على الدّين و الشّرع دولتهم، ووطّدوا بالعدل و القسط أركان ملكهم، مبدّلين وجه المنطقة جذرياً و على جميع الصعد سياسيةً و اجتماعيةً و ثقافيةً، وحتّى اقتصاديةً.

قرنين من الزمن تقريباً هو عمر هذا الكيان الجديد. حقّق فيه الأدارسة ما عجز عنه سابقوهم؛ فتحوا البلاد، وآمنوا العباد، ودخل البربر في الإسلام أفواجاً، و تبدّلت حال الناس من سوء حال إلى حسن حال.

سابقة البحث

مازال الكثير من الغموض يكتنف تفاصيل تاريخ الأدارسة ودولتهم في منطقة المغرب الإسلامي، و جلّ الدراسات التي كُتبت في هذا الصدد غير كافية بالمقدار الذي يتيح للباحثين التعرّف عن كثب على هذه الحقبة، وربما يرجع ذلك لعدّة أسباب قد تكون أهمّها النزعة المذهبية والطائفية التي لم تساعد كثيراً على فكّ ألغاز تلك المرحلة من تاريخ المنطقة، و قد حالت دون إشباع هذه الفترة من تاريخ المنطقة بالدراسة و التحليل، وإن وجدت دراسة ما، فإنّها أبعد ما تكون عن الموضوعية

والطرح العلمي، شأنها في ذلك شأن الدراسات التي كتبت عن تاريخ الدولة الفاطمية، والتي عانت الأمر نفسه. أضف إلى ذلك ندرة و شحّ المصادر و المراجع التاريخية الأصلية؛ نتيجة تلف الكثير منها، أو بقاء بعضها مخطوطاً بعيداً عن متناول أيدي العلماء و الباحثين.

لم تكن دولة الأدارسة مجرّد إمارة أو دويلة عابرة في تاريخ المنطقة حتّى تلقى هذا الإهمال من طرف الباحثين و المهتمّين، بل كانت دولة بأتمّ ما تعنيه الكلمة من معنى، سواء من جهة التنظيم و الهيكلة أو من جهة الآثار و الإنجازات، التي ما يزال جزء كبير منها باقٍ إلى الآن شاهداً حيّاً عليها.

وكانت دولة الأدارسة في شمال إفريقيا والتي أسسها علم من أعلام الهاشميين هي كانت الزيدية الأولى التي حققت ما قام لأجله الإمام زيد ابن علي (رضوان الله تعالى عليه) ومن بعده من العلويين الثائرين بوجه الطغاة، ولكن الأدارسة مع ميلهم للمذهب الزيدي إلا أنهم كانوا منفتحين على باقي المذاهب ومن الدليل على ذلك منحهم منصب القضاء الى قضاة مالكيي المذهب من الوافدين على الدولة من العرب، وهذا يدل على اعتدالهم وايمانهم بالحرية والكفاءة في المناصب، وهذه الرؤية هي سر الحضارة التي بنوها والعدل الذي بسطوه.

و سنحاول في هذا المقال بيان جزءٍ من المشهد السياسي والاجتماعي و الثقافي (و لو باختصار) لهذه دولة، وإبراز دورها الحضاريّ الرائد و انعكاساته على المنطقة.

نبذة تاريخيّة

المغرب تعبير اتخذ أبعاداً جغرافية مختلفة فكان يدلّ على الجهة التي تغرب فيها الشمس[1] ثم أصبح يدل على المنطقة الواقعة غرب العاصمة لجهة مغرب الشمس، و أوّل من استعمل التعبير بهذا المعنى الإمام علي بن أبي طالب﵇ حينما خاطب الخوارج قبل معركة النهروان بعد أن قتلوا رسوله إليهم الحرث بن مرة العبدي: (... أن ابعثوا إليّ بقتلة إخواني فأقتلهم ثم أتارككم إلى أن أفرغ من قتال أهل المغرب...).[2] ثم تحدَّدَ بالمنطقة الواقعة غرب مصر من طرابلس شرقاً إلى المحيط الأطلسي

---

١. ابن خلدون، العبر وديون المبتدأ و الخبر من أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص٩٨.

٢. المسعودي، مروج الذهب و معادن الجوهر في التاريخ، ج٢، ص٣١.

غرباً و من البحر المتوسط شمالاً إلى الصحراء الكبرى جنوباً...[1] على أنّ هناك خلافاً بين المؤرخين في هذا التحديد بالدقّة فمنهم من يزيد عليه و منهم من يُنقص.

و يشتمل المغرب على ثلاث مناطق قُسّمت بحسب القرب و البعد عن بلاد العرب و الحجاز.

أ) المغرب الأدنى أو إفريقية.(يشمل ليبيا و تونس وقسماً من شرق الجزائر حالياً)

ب) المغرب الأوسط ويمتد من وهران غرباً إلى حدود مملكة بجاية شرقاً.

ج) المغرب الأقصى وهو أبعد أجزاء المغرب عن الحجاز و فيه أسّس الأدارسة دولتهم.[2]

وعندما نتحدث عن المغرب في زمن الأدارسة فهو المنطقة الشاملة لكلّ من المغرب الأقصى و جزء من القسم الغربي للجزائر حالياً، وجلّ الأحداث التاريخية و الإنجازات الحضارية التي ستعرض لها وقعت في هذه الرقعة الجغرافية بالخصوص.

السكان

عرف العرب سكان المغرب باسم «البربر»،[3] ولم يكن لهم علاقة تربطهم بهم قبل الإسلام؛ حيث كانت رحلاتهم التجارية تنتهي عند حدود مصر ـ ليبيا. ولعلّهم اقتبسوا التسمية من الرومان؛ حيث كانوا يطلقون على الشعوب الخارجة عن حاضرتهم barbari. وقد حاول العرب بعد ذلك تقديم تفسيرات متعدّدة للكلمة من قبيل: بربرة اللّسان من أعجميته، و اختلاط لغته و عدم فهمها،[4] أو نسبتهم إلى جدٍّ لهم يقال له «بر»،[5] و غيره...

و«البربر» أو «الأمازيغ» قبائل كثيرة و شعوب جمّة و طوائف مختلفة، قسّمهم البعض إلى فرقتين: البرانس و البتر، و قالوا أنّ البرانس هم بنو برنس بن بربر، و البتر بنو مادغيش الأبتر بن بربر. و بعضهم أرجعهم إلى سبعة أصول متفرقة وهي: إزداجة، ومصمودة، وأوربة، وعجيبة،

---

١. إبن قاضي المكناسي، جذوة الإقتباس من ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، ج١ ص ١١.

٢. ابن خلدون، العبر وديون المبتدأ و الخبر من أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٩٣.

٣. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٥، ص ١٦٩.

٤. الناصري، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج١، ص٦١.

٥. نفس المؤلف، ج١، ص٦١ ـ ٦٢.

وكتامة، وصنهاجة، وأوريغة، وضري. و زاد بعضهم: لمطة، و هسكورة، وجزولة.[1]

نشأة دولة الأدارسة: مع المؤسّس إدريس الأول (الأكبر) (١٧٢ ـ ١٧٧هـ/ ٧٨٨ ـ ٧٩٣م).

إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فرّ من وقعة فخ التي شهدتها ضواحي مكّة سنة ١٦٩هـ، و التي خاضها العباسيون ضدّ العلويين. كما فرّ من نفس الواقعة أخوه يحيى إلى بلاد الديلم الذي وقع فيما بعد بيد الرشيد. أمّا إدريس فقد صحبه مولاه **راشد بن منصت** إلى مصر، حيث ساعدهما «**واضح**» والي البريد بها على النجاة إلى شمال إفريقيا الذي لقي حتفه بأمر من الرشيد. ولم يلبث إدريس أن حلّ بالمغرب الأقصى حيث نزل ب«**وليلي**» عند **إسحاق بن محمد بن عبد الحميد** رئيس «**أوربة**» الذي رحّب به وقبل دعوته. و هكذا تمّت بيعته في ٤ رمضان سنة ١٧٢هـ و بمساعدة هذه القبيلة التي تنتمي إلى البرانس،[2] تمكّن إدريس من الزحف إلى «**تامسنا**» لمحاربة البرغواطيين، و نشر الإسلام بين القبائل البربرية التي كانت لا تزال تدين بالنصرانية و اليهودية. و في سنة ١٧٣هـ انتهى إلى «**تلمسان**» حيث بايعه أميرها محمد بن خزر، و أسّس بها مسجداً، كان لايزال قائماً في عهد ابن خلدون على ماذكره في تاريخه (المجلّد ٤)، و قد تمّ اكتشاف المسجد الإدريسي هذا سنة ١٩٧٤م.

و تواردت أخبار إدريس الأول على الرشيد، فأرسل له رجلاً من حاشيته يدعى «سليمان بن جرير الشماخ» الذي قدّم إليه سمّاً في صورة عطر بعد أن كان قد قرّبه إدريس إليه و استوثقه مستغلًّا غياب راشد الذي كان ملازماً لإدريس لايفارقه. وكانت وفاة إدريس الأكبر سنة ١٧٧هـ.

ومن جهة اخرى لم يدع العبّاسيون الأدراسة ودولتهم منذ بداياتها؛ فعملوا على تأسيس دولة الأغالبة في إفريقية لهذا الغرض،[3] و كانت بينهم حروب و صدامات حقيقية لكنّها لم تُجدِ نفعاً.[4]

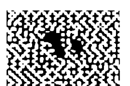
---

١. القلقشندي، نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، ص١١٩.

٢. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ١ ـ ١٦.

٣. الإصطخري، المسالك و الممالك، ص٣٧.

٤. الزياني، الترجمان المعرب، ص٢٦١.



مثبّت أركان الدولة إدريس الثاني (الأصغر)

ترك إدريس الأول ـ الذي دفن بزرهون ـ جنيناً في بطن أمّه «كنزة» الذي لم تلبث أن وضعته سنة ١٧٧هـ و كان ولداً سمي على اسم أبيه، و تولى أمور الحكم مؤقتاً راشد بموافقة البربر. حتّى إذا كانت سنة ١٨٨هـ تمّت مبايعة إدريس الثاني وهو بَعدُ في مطلع العقد الثاني من عمره.[1]

و تعتبر مرحلة حكم إدريس الثاني مرحلة العظمة و العصر الذهبي لدولة الأدارسة و فيها كانت أهمّ الإنجازات التي سنتعرض لها بشيء من التفصيل في الفصل الآتي.

أهمّ إنجازات دولة الأدارسة و الأثر الذي تركته على المنطقة

لقد كانت دولة الأدارسة في شمال إفريقيا نموذجاً حضارياً بكلّ ما تحمله الكلمة من معنى، و فاعلاً لايمكن تجاهله في صناعة هويّة المنطقة الحضارية. فالمتتبّع لتاريخ هذه الدولة يلمس جليّاً إنجازتها على جميع الأصعدة، و بصمتها في شتّى المجالات رغم محاولات الطمس و التعتيم تارة و التشويه تارة أخرى.

١. تنظيم الدولة

منذ السّنوات الأولى لنشأة دولة الأدارسة في المغرب سعوا إلى تنظيم دولتهم و استحداث المناصب و الدواوين من أجل تيسير و تسهيل حكمهم و إدخال شعوب المنطقة في التحضّر بعد أن كانت حياتهم أقرب إلى البداوة منها إلى المدنيّة.

و تشكّلت على إثر هذه الحركة الإدارية حكومة مركزيّة قوية دانت لها بقية الأطراف، وهذا أمر تشهده المنطقة لأول مرة.

٢. الوزارة

في السنوات الأولى لقيام دولة الأدراسة لم يتلقّب الوزراء بهذا اللقب بل كانوا أقرب إلى مستشارين منهم إلى وزراء. ولعلّ السبب في ذلك ربّما هو إيمان إدريس الأكبر بفكرة دولة جدّه ﷺ ومحاولته

---

١. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٧.

استنساخ التجربة نفسها، فدولة الإسلام مع بداياتها لم يكن فيها وزير أو وزراء بهذا المعنى بل كان النبي ﷺ يستشير فيها بعض أصحابه في ما يتعلّق بالحروب و بعض الشؤون العامة. وكان راشد مولى إدريس الأول بمنزلة المستشار له، و إلى جانبه أبو خالد العبدي البربري. وهذان الشخصان هما بربريّان بالأصل وهذا يعني أنّهما أعرف و أخبر الناس بقومهما و بالمنطقة؛ الأمر الذي سيسهل على الحاكم الجديد تقليص الهوّة بينه و بين رعيّته، ومضافاً إلى أنّ ذلك أدعى لإضفاء مصداقيّة أكثر على الدولة الجديدة كونها اعتمدت على العنصر المحليّ في تسيير شؤونها.

بعد ذلك عمد الأدارسة إلى توظيف العنصر العربي الوافد على الدولة و الإستفادة من خبرته التّي اكتسبها في كنف الدولة الإسلامية المتطورة في المشرق، فكان أن قاموا باستحداث منصب الوزير لأول مرة في عهد إدريس الأصغر و كان أوّل وزير هو **عمير بن مصعب الأزدي** وهو من فرسان العرب المشهورين في إفريقيا و الأندلس هاجر هو قبيلته من الأزد إلى المغرب، و كان رجلاً بارعاً في التسيير و الإدارة ذكياً موالياً للأدارسة زوّجه إدريس الأصغر ابنته عاتكة، و من أهمّ إنجازاته بناء مدينة فاس.[1] و وزير آخر هو **بهلول بن عبد الواحد المطغري البربري**[2] الذي والى خصومه فيما بعد. ونرى هنا فطنة و ذكاء إدريس الإبن في الحكم؛ بأن مزج بين التجربتين (العربية/ البربرية) بمزجه بين العرقين في مفاصل الدولة الناشئة لغرض تسييرها و لكي لا يشعر المواطن المحليّ بالتهميش مع قدوم العنصر العربي.

٣. القضاء و الديوان

اتّسمت حقبة الأدارسة بالإعتدال و نبذ التطرّف في التعاطي مع المخالف الفكري و العقدي، و قد شكّلت هذه الميزة نقطة قوّة سمحت لهم بكسب ثقّة شخصيّات علمائية بارزة للإستعانة بها في تسيير البلاد و تسهيل أمور العباد.

فمنصب كمنصب القضاء على خطورته و حساسيّته في جسم الدولة عادةً من يوكل إلى قاضٍ

---

١. الناصري، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج١، ص١٦٣.

٢. الناصري، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج١ص ١٦٤.

له نفس توجّه الدولة و عقيدتها، أو لا أقل نفس مذهبها الفقهي الذي تتبنّاه، وهو المذهب الزيدي لكن في دولة الأدارسة الفتيّة قد أنيط هذا المنصب و لأوّل مرّة **لعامر بن سعيد القيسيّ** الذي كان مالكيّ المذهب قد سمع عن مالك، وسفيان الثوري، و روى عنهما كثيراً، وقد عرف بالورع والتديّن، و الصلاح. فالمِلاك عند الأدارسة لم يكن الولاء المذهبيّ بل كانت الكفاءة، و الأهليّة، و الصلاح لنيل المناصب.[1]

كما عُيّن لأوّل مرّة على الديوان الكاتب **أبو الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي**. ولا شكّ أنّ هناك أسماء أخرى غفلت عن ذكرها المصادر.

٤. إنشاء دار للسكّة

و مع بدايات اتّضاح هويّة الدولة الجديدة و بسط نفوذها على تراب المغرب و استتباب الأمن، و استكمالاً للمسار الذي أراد رسمه الأدارسة لدولتهم؛ أنشئت دار للسكّة في عهد إدريس الثاني، و قبلها قد بُدء ضرب النقود في عهد إدريس الأول بتدغة سنة ١٧٤، ونقش في أحد وجيهها: (لا أله إلّا إله ـ لا شريك له ـ باسم الله ـ ضرب هذا الدرهم بتدغة سنة ١٧٤) وفي الوجه الثاني صورة هلال، ثم: (محمد رسول الله ﷺ (وتحته) ممّا أمر به إدريس بن عبد الله ـ جاء الحق وزهق الباطل، إنّ الباطل كان زهوقا).

و ضُرب الدرهم الإدريسي لأول مرّة في عهد إدريس الثاني عام ١٩٨هـ/ ٨١٤م،[2] و الظاهر أن التعامل بالنقود المحليّة، كان يجري إلى جانبه، تعامل بنقود الخلافة العباسية وغيرها، فقد عثر في وليلي على نقود باسم قيس بن يوسف ضربت عام نيف ومائة وثمانين.

وهذا الأمر أي ضرب النقود كاشف عن رغبة الأدارسة ـ و منذ البداية ـ في الإستقلال السياسي و عدم التبعيّة الإقتصادية لأيٍّ كان، وهو أمر ينمّ أيضاً عن الشخصيّة الإدريسية المعتدّة بنفسها و نسبها و مبادئها التي أسّست على طبقها دولتها.

---

١. ابن قاضي المكناسي، جذوة اللاقتباس، ج١، ص ٢٥.

٢. الحلبي، الدر النفيس باب ٣، الفصل ٣٩.

٥. الجيش

من الطبيعي لدولة فتيّة لها طموحات كبيرة، تتربّص بها الأعادي من كلّ حدب و صوب أن تعمد إلى بناء جيش قويّ منظّم وعصريّ بإمكانه دفع الطامع و فتح البلاد.

كان الجيش في بداياته معتمداً على العنصر المحليّ (البربر) من غياثة و مغلية و بني يفرن و سدراتة و أوربة و زواغة... و مع نمو الدولة و كثرة الوافدين عليها استعان الأدارسة بالعنصرين العربي و الفارسي ذي الكفاءة و الخبرة في الحروب و استخدام أنواع الأسلحة. ولم ينحصر دور الجيش في الدفاع عن الدولة و ردّ الغزاة بل انبرى أيضاً لبسط الأمن و إخماد الفتن الداخلية.

لقد لعب الجيش دوراً آخر لا يقلّ أهميّة عن الأدوار المتقدّمة الموكلة إليه؛ فقد استعان به الأدارسة لبناء المدن و إعمارها و بناء المساجد في كافة أرجاء المغرب، خاصّة في فاس و تلمسان، و شقّ الطرقات و الوديان، و في بناء الحصون و القلاع و الثّكنات...

و قد كان جيشاً منظّماً على غرار بقيّة جيوش دولة الخلافة. وُزّعت فيه الأدوار و المناصب بعناية بحسب الكفاءة و القدرة، و كان الخليفة أو الإمام على رأس الجيش و في مقدّمه خلافاً لما كان سائداً عند بقيّة الجيوش من بقاء القائد في الخلف. هذا الأمر شكّل حافزاً للإلتحاق بالجيش و القتال تحت لواء قادته من الأدارسة. وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّه لم يكن من السهل وفي وضع مضطرب تشهده المنطقة آنذاك من انقلابات وفتن الحصول على جيش بهذه المميزّات والخصال من عقيدة قتالية عالية، واستماتة في الدفاع عن حريم الدولة وحكّامها، وتشييد بناها و أركانها... كلّ هذا دون مقابل ماديّ يذكر! وهو أمر يكشف عن التشبّع الكبير لشعوب المنطقة بروح و تعاليم الإسلام، والولاء لأهل البيت﵈ و ذريّتهم المتمثلة هنا في الأدارسة وتعلّقهم بهم.

غير أنّ ظاهرة التطوّع على الرغم من أنها كانت عاملاً مساعداً على إيجاد العقيدة القتالية العالية و تجنيب الدولة ميزانية رواتب الجند إلاّ أنّها فيما بعد أصبحت عاملاً موجباً لضعف الجيش و الدولة.[١]

---

١. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٦ ـ ٣٦.

٦. نشر الإسلام

من بين مآثر دولة الأدارسة و التي تحسب لها، و تكميلاً لما بدأه الفاتحون الأوائل لبلاد المغرب قام الأدارسة ومنذ الوهلة الأولى و بقيادة المؤسّس إدريس الأكبر بنشر الإسلام في فترة وجيزة،[١] إضافةً إلى القضاء على أغلب الديانات التي كانت موجودة (يهودية، نصرانية، مجوسية)،[٢] مقارنة بمرحلة الفتح التي دامت حوالي قرن تقريباً و لم تحقّق ما حقّقوه، ومردّ هذا الأمر إلى أنّ الأوائل كان اعتمادهم على العامل العسكري في فرض الإسلام بدل الإقناع، و كان همّهم التوسّع بالدرجة الأولى، بينما الأدارسة اعتمدوا نشر الإسلام منذ البداية كأولوية من أولوياتهم.

ويقول الدكتور إبراهيم أيوب: (... أسهم الأدارسة في خدمة المسلمين عن طريق تثبيت البربر على الإسلام، فكان ظهور دولة الأدارسة مقدّمة لظهور دولة المرابطين الذين كمّلوا ما بدأه الأدارسة في تثبيت إسلام البربر، و نشر الإسلام في غرب إفريقيا في عهدهم.[٣]

٧. التعريب

لقد رافقت حملة نشر الإسلام التي بدأها الأدارسة منذ فتوّة دولتهم عمليّة تعريب لبلاد المغرب. فالبربر آنذاك لم يكونوا أصحاب هويّة ثقافيّة واضحة المعالم، و لا لغة مكتوبة يمكنها أن تحفظ المكوّن الثقافي لديهم إن وجد، وبمجرد دخول الإسلام اعتنقوه و تبنّوا تعاليمه، فكان عليهم تعلّم اللّغة العربية لقراءة القرآن وفهمه و تعلّم أحكام الدين الجديد، ممّا شكّل عاملاً محفّزاً في تعريب المنطقة و نشر اللغة العربيّة بها، لتصبح فيما بعد اللغة الرسميّة للدولة و المنطقة.

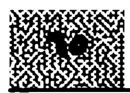
و حملة التعريب هذه لم تكن وليدة المرحلة بل سبقتها حملات أخرى، فمع فتح الأندلس كانت هناك حركة هجرة من المشرق نحوها و كانت بلاد المغرب هي المعبر إليها، ومعها احتكّ أهل

---

١. الحلبي، الدر النفيس باب٢ الفصل ١٠.

٢. ابن قاضي المكناسي، جذوة الإقتباس في ذكر من حلّ في مدينة فاس، ج١، ص٢١/ الكتّاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس، ج١، ص٧٠.

٣. إبراهيم أيوب، التاريخ السياسي العباسي و الحضاري، ص١٦٦.



المغرب بالعرب و لغة الخلافة آنذاك، غير أنها لم تكن بالشكل التي أصبحت عليه إبّان فترة الأدارسة، فقد أسهم استقرار الدولة في إقبال الوفود من القبائل العربية القادمة من الشرق (بغداد) و الغرب (الأندلس) بما تحمله من رصيد حضاري و ثقافي للإستيطان و الإستقرار بها، و هو عامل آخر ساهم في نشر اللغة العربيّة وترسيخ جذورها.[١]

٨. الإقتصاد

انتهت في عهد الأدارسة سياسة الابتزاز الاقتصادي التي كانت تمارسها دولة الخلافة في المشرق على منطقة المغرب و التي أدّت إلى اضطرابات سياسية و اقتصادية، الأمر الذي أحدث فراغاً كبيراً قام الأدارسة بملئه فيما بعد. وهنا لابد من التنويه إلى أنّ الأدراسة قد أحسنوا قراءة الوضع العام السياسي و الإقتصادي و عملوا على إصلاح ما أفسدته دولة الخلافة في الشرق و الدويلات التابعة لها الأمر الذي سرّع من وتيرة النمو في كيانهم الناشيء و مقبوليّته لدى شعوب المنطقة و هذا أيضاً مما يحسب للأدراسة.

وعرفت بلاد المغرب إبّان حكم الأدارسة، و نتيجة لاستتباب الأمن نقلة اقتصادية نوعيّة، لعلّ بداياتها كانت بتشجيع النّاس على خدمة الأراضي الزراعية و الإنتاج كما جاء في نص إعلان إدريس الثاني: (**من أصلح أرضاً و غرسها فهي له...**).[٢]

و اعتمدت الدولة سياسة جبائية عادلة حسب تعاليم الشريعة،[٣] استفادت منها في القطاع الإقتصادي، الأمر الذي دعا الكثير من القبائل البدوية إلى الإستقرار و ترك حياة الظعن و الإنتجاع.[٤]

وقد وصل الأمر ببعض المحاصيل ونتيجة للإكتفاء الذاتي لأن تُصدّر خارج البلاد، كالقطن و

---

١. ابن قاضى المكناسى جذوة الإقتباس فى ذكر من حلّ فى مدينة فاس، ج١، ص٢٧ / الناصرى، الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى، ج١ ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

٢. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥٤.

٣. محمد حبّاني، خصائص المدن المغربية، ص٤٠٨.

٤. عبد الكريم يصعين، الصراع الفاطمي الاندلسي في المغرب الأقصى، ص٥٩.

النيلج... التي كانت أراضيها تسقى بالري الصناعي. و من المعلوم دور الفرس في هذا الصدد في سائر بلاد المغرب الإسلامي.[1] كما عرف قطاع الرّعي هو الآخر تطوّراً كبيراً فقد روي عن أسواق «أغمات» أنّه كان يذبح فيها مائة ثور و ألف شاة كل أسبوع،[2] زيادة على وفرة الألبان في سائر أقاليم المغرب الأقصى.[3]

و ازدهرت الصناعة هي الأخرى بالتبع في عهد الأدارسة الأوائل بفضل استغلالهم للمناجم، حيث كانت مناجم الفضّة من مختصّاتهم بينما مناجم النحاس مثلاً، كانت من نصيب بقية النّاس أفراداً أو جماعات مقابل خمس الإنتاج يُدفع للدولة. هذا، و أسهمت هجرة حرفيّي الشرق و الأندلس بشكل كبير في تطوير وسائل الإنتاج، و تحسين جودة المحاصيل،[4] و في ظل هذه الحركة الصناعية ازدهرت حركة التصدير نحو السودان (الجلود و الأدوات الخشبية من فاس و أغمات) و الأندلس (الخشب) ونشطت معها التجارة بشكل كبير.

٩. العمران و تخطيط المدن

لقد عُرف عن الأدارسة اهتمامهم بالعمران و تخطيط المدن و تنظيمها من شقٍّ للطرقات، و توسعة لها، و حفر الآبار، و أقنية المياه، و غيرها... فالاهتمام بالعمران والبُنى التحتية أحد علامات تطوّر الدول ومعيار من معايير النمو، وهو كاشف عن حالة الأمن و الدعة التي حظيت به دولة الأدارسة. ومن أهمّ ما قاموا ببنائه و إنشائه من مدن:

١. فاس: عاصمة الأدارسة الثانية بعد وليلي. تقع قرب وادي فاس في موقع يجعلها قريبة من الريف و المغرب الشرقي و المحيط الأطلسي. وقد وقع اختيار الوزير الأول عمير الأزدي (بعد محاولتين فاشلتين) على مكانها الذي لم يكن سوى غيضة تكتنفها الأشجار و المزروعات

١. ابن حوقل، صورة الأرض، ص٩٦.

٢. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، ص١٠٠.

٣. نفس المؤلف، ص١٥٣.

٤. عبد الكريم يصعين، الصراع الفاطمي الأندلسي في المغرب الأقصى، ص٥٩.

و يقطن بها مجوس من البربر، و حصل اتفاق على تنازلهم عن هذه المنطقة مقابل ٦ آلاف درهم وكان هذا في حدود سنة ١٩٣هـ. و تمّ بناء أول جامع للخطبة وهو «جامع الأشياخ» كما بني أيضا «مسجد الشرفاء» و قد أنشئت فنادق للتجار و حمّامات و مرافق مختلفة.

٢. البصرة: بنيت في أواسط القرن ٣هـ، و أول من تولّاها من الأدراسة إبراهيم ابن القاسم بن إدريس. و تقع بين أصيلا و العرائش بعيدة عن البحر، كانت تعرف في أول الأمر ببصرة الكتان، و كان لها ١٠ أبواب بناءاً على رواية البكري.

٣. جراوة: تقع في الشمال الشرقي للمغرب بناها إدريس بن محمد بن سليمان أو ولده عيسى الملقّب بأبي العيش في حدود سنة ٢٥٧هـ. كانت تحتوي على جامع من خمسة بلاطات و خمسة حمّامات و كان للمدينة أربعة أبواب.

٤. قلعة حجر النسر: بنيت في الجنوب الشرقي من البصرة عام ٣١٧هـ على يد إبراهيم بن أحمد بن القاسم بن إدريس.

٥. أصيلا: عرفها القرطاجنيون قبل الإسلام ثم أتى عليها البحر فجدّدها البربر و الأدراسة بعد الإسلام، و أول من حكمها منهم القاسم بن إدريس، كانت مركزاً تجارياً هامّاً.

٦. تاميدلت أو ميدلت: أسّسها عبيد الله بن إدريس، ذكر الحميري أنها كانت زاهرة كثيرة العمارة و أنّه كان بها معدن عظيم للفضّة و عليها أرحاء كثيرة و قد أكّد الحميري كلام البكري، و ذكر هذا الأخير أنها كانت مسوّرة و بها حمّامان ولها أربعة أبواب و قال أنّ أرضها أكرم أرض و أكثر ريع.

١٠. جامعة القرويّين

نُسب تأسيسها إلى فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري أحد العرب المهاجرين من القيروان، وقد بَنَت القرويّين من المال الذي ورثته عن والدها. وشُرع في بنائها في حدود سنة ٢٤٥هـ، و قد بنيت الجامعة من مواد محليّة.

وتعتبر جامعة القرويّين من أقدم الجامعات الإفريقية، حيث كان يدرّس فيها باديء الأمر علوم

الدّين من فقه، و تفسير، و علوم اللّغة العربية، ... و غيرها، و عرفت هذه الجامعة نشاطاً عظيماً في شتّى فروع المعرفة (علوم نقليّة و عقليّة) من قبيل: الفقه، الحديث، التفسير، النحو، الفرائض، الحساب، التوقيت، التوحيد، المنطق، البيان، الطب... أيام الموحدّين و المرينيّين ثمّ الأشراف.

عاشت الجامعة منذ بداياتها على نظام الوقف، و كانت تحت إشراف قاضي المدينة. و كان العلماء و المدرّسون من المتطوّعين؛ حيث كانوا يلقون دروسهم في الجامعة بدون مقابل بينما يشتغلون خارج الدّرس بوظائف معيّنة كالعدالة و الكتابة و القضاء.

١١. الحركة الفكرية و الثقافية

إنّ المصادر التي بين أيدينا، و التي أرّخت للدولة الإدريسية ركّزت على الجانب السياسي بالدرجة الأولى في توصيف المشهد العام، فلا يكاد يجد المتتبّع شيئاً واضحاً له ارتباط مباشر بحركة فكريّة كانت إبّان تلك الحقبة. وهذا في حدّ نفسه ليس دليلاً على انعدام الأدباء و العلماء بتاتاً، لكنّنا قد نلمس شيئاً يمكن أن نعزو إليه هذه الظاهرة؛ وهو أنّ الأدارسة لم يكونوا أصحاب ثروة ـ كالتي كانت لدى الحكام العباسيّين و الأندلسيّين ـ تساعدهم على تشجيع الحركة العلميّة و الأدبيّة إلى حدّ يكثر معه الإنتاج و تنتشر بسببه حركة التأليف؛ حتى أنّ تاريخ الأدارسة كتبه مؤرّخون معظمهم متأخّر جدّاً عن عصر الأدارسة، و العادة جرت أن يكون لكلّ دولة مؤرّخوها.

وأهمّ من كتب عن تاريخ الأدراسة «ابن أبي زرع» فهو ينقل كثيرا عن «البرنوصي» المعاصر لهم، غير أن كتاب البرنوصي يعتبر لحد الآن مفقودا، كما كتب «محمد بن يوسف الورّاق» عن المدن التي عرفت ازدهارا كبيرا في عهد الأدارسة، خصوصا سجلماسة و نكور و فاس، وقد توفي هذا المؤرخ سنة ٢٩٢هـ و كثيرا ما اعتمد عليه ابن عذارى في «البيان المغرب».

ومع هذا فهناك قرينة يمكن أن نعتمد عليها ـ ربما ـ في إثبات مشهد ثقافي و فكري إبّان تلك الفترة، فلو ألقينا نظرة على الدول و الإمارات التي كانت مجاورة للأدارسة، من الأندلس و الفاطميّين و القيروان نجدها زاخرة بالعلماء و الكتّاب و الأدباء، و الحراك الفكري فيها مشهود،

لذا من البعيد أن تنحصر الحركة الفكرية في هذه الأقطار و لا يكون لها نظير في دولة الأدارسة! نعم، ما كان يصرفه ملوك تلك الأقطار من أموال في سبيل نشر و تطوير العلوم و الأدب كبير جدّا، الأمر الذي لم يكن كذلك لدى الأدارسة، خصوصاً إذا علمنا أن المرحلة الذهبية لم تدم سوى نصف قرن من الزمن وهي مدّة قليلة جدّاً لتعطى الأهميّة فيها لتطوير العلوم ونشرها.

لكن رغم هذا فقد كانت حركة العلوم الدينيّة مزدهرة نوعاً ما، إذ ينقل لنا التاريخ أنّ البرغواطيين (من البربر) كان من بينهم من فقهوا في الدين[1] و عاصروا الأدارسة و تلقّوا دراستهم بالشرق منهم "يونس الشذوني" الأندلسي الأصل الذي كانت رحلته مع يزيد بن سنان الزناتي الواصلي (المعتزلي)، و برغوث بن سعيد الصفري (الخارجي)، و الذين رجعوا فيما بعد إلى المغرب ليبثّوا ما درسوه رغم اختلاف مذاهبهم، و مشاربهم الفكرية والعقدية. وهو مؤشر إيجابي في دولة فتيّة فتحت ذراعيها لأبنائها دون إقصاء أو تهميش لأحد مهما كان مذهبه و معتقده وهذا أمر مشهود لها. كما أنّه لا يمكن نسيان دور جامعة القرويّين في هذا الصدد، والتي كانت بحقّ منارة علمية في شمال إفريقيا تُشدّ إليها الرحال من مختلف الأقطار المجاورة لطلب علوم الشريعة. برز عدد من العلماء زمن الأدراسة نذكر منهم:

١. أبو عمر البهلول بن راشد وهو من أهل القيروان. سمع من مالك و الثوري و عبد الرحمن بن زياد و يونس بن زيد وغيرهم... توفي سنة ١٨٣هـ/ ٧٩٩م.[2]
٢. أبو زكريا يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة البصري صاحب التفسير. توفي سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٥م.[3]
٣. شجرة بن عيسى المعافري أبو شجرة أصله من المغرب. توفي سنه ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م.[4]

---

١. البيان المغرب، ج١، ص٣٢١.

٢. القاضي عيّاض، ترتيب المدارك و تقريب المسالك، ج١، ص١١٥ / إبن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج١، ص٢٣٣.

٣. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القرّاء، ج١، ص٤٤١.

٤. القاضي عيّاض، ترتيب المدارك و تقريب المسالك، ج١، ص٢٤٢.

٤. أحمد بن عبد الله بن صالح، أبو الحسن العجلي الكوفي الحافظ نزيل طرابلس المغرب و صاحب التاريخ، و الجرح و التعديل. توفي سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٤م.[١]

٥. عيسى بن مسكين قاضي القيروان. توفي سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م.[٢]

٦. إبراهيم بن عثمان أبو القاسم بن وزّان القيرواني، كان شيخ المغرب في النحو و اللغة، حفظ كتاب سيبويه، و المصنّف الغريب، وكتاب العين، و إصلاح المنطق، و أشياء كثيرة. توفي سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م.[٣]

٧. أبو ميمونة الفاسي دراس بن إسماعيل، هو أول من أدخل (مدونة سحنون) مدينة فاس، و به اشتهر مذهب مالك. توفي سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٨م.[٤]

٨. أبو محمد بن عبدالله بن أبي زيد القيرواني المالكي، شيخ المغرب، و إليه انتهت رئاسة المذهب. توفي سنة ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م.[٥]

لقد ساعدت كثيراً العقليّة السمحة التي جاء بها الأدارسة إلى المغرب، و نمط حكمهم المتّسم بالإعتدال و البعد عن التعصّب المذهبي في إيجاد أرضية تعايش بين عدّة مذاهب فكريّة و فقهية (المعتزلة، الخوارج، المالكية...)، واستطاعوا إرساء قواعد المواطنة في هذه البقعة من الأرض، وهو أمر بتنا نفتقده اليوم ـ للأسف ـ في بلداننا! فقد أصبح المؤشر الطائفي والمذهبي معياراً للقبول و الرفض، بينما المواطنة و الكفاءة باتت مجرّد شعارات. وحريّ بالمسؤولين في بلداننا (خصوصاً المغاربية) الإقتداء بهذه النماذج التاريخية الفذّة، وإعادة الإعتبار لكفاءاتها المهمّشة طائفياً أو عرقياً، إذ لا سبيل للرقيّ و التطوّر من دون سواعد أبناء الوطن، وهذا أمر فهمه الأدارسة منذ قرون بينما تعسّر على بعضنا فهمه اليوم!

---

١. الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج١، ص٩١.

٢. نفس المؤلف، ج١، ص١٠٦.

٣. نفس المؤلف، ج١، ص١٤١.

٤. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤، ص٤٢٣ / الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٦، ص١٧٧.

٥. الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج١، ص١٧٠ ـ ١٧١.

و عن الإعتزال فكثيراً ما يرتبط الأدارسة بهذا الفكر على ألسنة المتابعين لشؤون دولتهم، لكنّنا لا نكاد نجد شيئا يذكر عن هذه الرابطة خصوصاً مع الأدارسة الأوائل. نعم، ربما حاول البعض الربط بين ماكان عليه المذهب الزيدي و تبنّيه للفكر الإعتزالي وكون الأدارسة على مذهب الزيدية؛ فمن الطبيعي أن يحملوا الفكر الإعتزالي أيضاً! وهذا أمر غير مسلّم به تاريخيّاً لا أقل عند إدريس الأكبر و ابنه، وهو من النقاط الغامضة في تاريخ الأدارسة، والتي تحتاج مزيداً من البحث و التحقيق.

ومن اللافت إغفال المؤرّخين لدور ونشاط الفكر الإعتزالي الذي تبنّاه أصحاب الدولة، و بعض القبائل البربريّة (أوربة، و زناتة...) حتّى قبل مجيء الأدارسة إلى المغرب[1]! فالمعتزلة معروفون ـ و منذ نشأتهم ـ بنشاطهم الفكريّ و مناظراتهم و محاججاتهم؛ ومن غير المعقول والأمر كذلك أنّ تيّاراً فكريّاً كبيراً كهذا يبقى حبيس قصور الدولة (الوزارات و القضاء)،[2] أو يلجأ إلى مزاولة التجارة أو الزراعة خصوصاً و أنّ الأرض مهيّأة و الجوّ مُواتٍ! نعم، لا يمكن إنكار ما حدث لهذه القطاعات من تطوّر، و ازدهار حينما اشتغل بها المعتزلة، و زاولوا النشاط بها كما تشير إليه بعض الدراسات المعاصرة. مضافاً إلى أنّ بعض النصوص تذهب إلى أن سبب تسمية مدينة البصرة بهذا الإسم كانت تخليداً لذكرى مدينة واصل بن عطاء زعيم المعتزلة، الذي ناصر أجداد الأدارسة في محنتهم مع العبّاسيّين هناك، وهذا إن تمّ فهو كاشف عن مدى التواجد الإعتزالي في تلك الحقبة من التاريخ.

غير أنّ بعض المؤرخيّن ينفي كون وجود تيّارٍ اعتزاليٍ متكاملٍ؛ بل يدّعي أنّ هناك تبنٍّ لبعض الأفكار لا غير، كمسألة خلق القرآن مثلاً. وهذا كلام قد لا تساعد عليه بعض القرائن و الشواهد التاريخية.

النتيجة

لقد كانت دولة الأدارسة نموذجاً للدول التي آمن مؤسّسوها بأن لا سبيل للرقيّ و التقدّم ما لم تترسّخ مفاهيم المواطنة و التعايش بين أبناء القُطر الواحد و أنّ الكفاءة وحدها هي من تؤهلّ

---

١. ابن حوقل، صورة الأرض، ص٩٤.

٢. عبد العزيز المجدوب، الصراع المذهبي، ص٩٣.

صاحبها لنيل المناصب و نيل الثقة. فمع هذا المزيج تتشكّل البيئة المناسبة لأن يقدّم الفرد أحسن ما لديه في سبيل البناء و صناعة الحضارة.

لم يشعر الفرد البربريّ مع الأدارسة بما كان يشعر به مع من سبقهم، كون الأدارسة لم يسبقهم صهيل خيل ولا قرقعة سلاح كما كان عليه الأمر مع الفاتحين الأوائل. لقد رأى البربر في هذه السلالة الشريفة منّة من الله إليهم خاصّة، فانقادوا لها، و ساروا في ركبها، آزروها و نصروها و أسّسوا معها دولتهم التي سمّوها باسمها تبركّاً، و ترجمة لولائهم لها. وفي مقابل هذا العطاء برزت عبقريّة الأدارسة في نمط قيادتهم لشعوبهم المستلهَم من تعاليم الإسلام و سيرة جدّهم٩، من توحيدٍ لكلمتهم و لمّ لشتاتهم و عدلٍ بينهم، وإعطائهم الفرصة للمشاركة في تسيير الدولة و تثبيت أركانها جنباً إلى جنب هُم و العرب الوافدون إلى أرضهم.

قرنين من الزمن تقريباً عمر هذه الدولة ـ التي لم ينصفها التاريخ ـ كانت بحقّ حقبةً مشرقةً في تاريخ منطقة شمال إفريقيا، و نقطة تحوّل غيّرت ملامحه جذريّاً سياسياً واجتماعياً و ثقافياً.

المصادر

١. إبراهيم أيوب، *التاريخ السياسي العباسي و الحضاري*، الدار العالمية للطباعة للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٣م.

٢. ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمر، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس*، رباط: طبعة دار المنصور ـ ١٩٧٢م.

٣. ابن جزري، محمد بن محمد، *غاية النهاية في طبقات القراء*، قاهره: مكتبة الخانجي، ١٣٥١ق.

٤. إبن حجر العسقلاني، احمد بن على، *لسان الميزان*، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط٢، ١٩٧١م.

٥. ابن حوقل النصيبي، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي، *صورة الأرض*، الناشر: دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر. ١٩٩٢م.

٦. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمّد، *العبر و ديوان المبتدء والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر و من عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر*، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية. ٢٠٠٣م.

٧. ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، بيروت: دار الثقافة، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٣م.

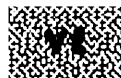
٨. ابن قاضى المكناسى، ابوالعباس احمد بن محمّد. *جذوة الاقتباس فى ذكر من حلّ فى مدينة فاس*، رباط: دار المنصور. ١٩٧٤م.

٩. الاصطخرى، ابراهيم بن محمد، *المسالك والمالك*، به اهتمام: ايرج افشار، تهران: انتشارات علمى و فرهنگى. ١٣٧٨ش.

١٠. البكرى، أبو عبيد عبد الله عبد العزيز البكري؛ *المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، الناشر: كتب نادرة، بغداد ١٩٥٧م.

١١. حلبي، أحمد بن عبد الحي، *الدر النفيس والنور الأنيس في مناقب الإمام إدريس بن إدريس*، تحقيق: بوخنيفي، محمد، بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠١٥م.

١٢. الذهبى، محمد بن احمد، *العبر فى خبر من غبر*، به كوشش ابوهاجر محمد السعيد بن بسونى زغلول، بيروت، دارالكتب العلميه، بى تا.



١٣. ـــــــ، *تاريخ الاسلام*، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ق.

١٤. الزياني، أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم، *الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب*، ١١٤٧ـ١٢٤٩هـ.

١٥. الصفدى، خليل بن ايبك. *الوافى بالوفيات*. بـه كوشش هلموت ريتر. بيروت: شركه المتحده للتوزيع، ١٩٦٢م = ١٣٨١هـ.

١٦. عبد الكريم بيصعين، *الصراع الفاطمي الاندلسي في المغرب الأقصى*، رسالة ماجستير.

١٧. عبدالعزيز المجدوب، *الصراع المذهبي بافريقية الى قيام الدولة الزيرية*، تونس: دار سحنون ٢٠٠٨م.

١٨. القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي، *ترتيب المدارك وتقريب المسالك*؛ المحقق جزء ١: ابن تاويت الطنجي، المحمدية، المغرب: مطبعة فضالة، الطبعة: الأولى، ١٩٦٥م.

١٩. القلقشندى، ابو العباس احمد بن على، *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*، دار الكتب العلمية، بيروت، بى تا.

٢٠. القلقشندى، ابو العباس احمد بن على، *نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب*، المحقق: إبراهيم الإبياري بيروت: دار الكتاب اللبنانين، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٢١. الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*، دار الثقافة، الطبعة: الأولى ـ سنة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢٢. محمد حباني: *خصائص المدن المغربية فى عصر الدول المستقلة*، فاس ١٩٨٧م، مخطوطة.

٢٣. المسعودى، ابوالحسن على بن حسين، *مروج الذهب و معادن الجوهر*، بيروت: دار الكتاب العربية، الطبعة الثانية. ٢٠٠٧م.

٢٤. الناصرى، احمد بن خالد، *الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى*، رباط: منشورات وزارة الثقافة و الاتصال، طبعة الاول، ٢٠٠١م.

٣

دور الفاطميين في نشر العلوم الإسلامية في مصر

السيد ناصر الموسوی[1]

١. طالب لمرحلة الدكتوراه قسم التاريخ.

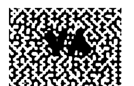
الملخص

الفاطميون (۲۹۷ ـ ٥٦٧هـ) كدولة شيعية كانوا ينسبون مشروعيتهم إلى التعاليم الشيعية، و قد أسّسوا بنيان دولتهم و التشكيلات المرتبطة بها على محور الإمامة. و كان التوجّه العلمي للفاطميين يستلهم من التعاليم الإسماعيلية، و منظومة الدعوة هي المتولي الرسمي لها. من العناصر الأصلية الأخرى في الاتجاه العام للسياسات العلمية للفاطميين الصراع و المنافسة مع الخلافة العباسية، و الأخذ بالاعتبار الأهداف و البرامج الدعوية لشبكة الدعوة الواسعة. لقد استطاع الفاطميون تحقيق تطور كبير في مجال تدوين العلوم و تأسيس المراكز العلمية و الارتقاء بالمراكز التعليمية. توصّلت هذه المقالة، عبر دراسة تحليلية للسياسات و النشاطات العلمية للفاطميين إلى أنّ التحول العلمي المضطرد في العصر الفاطمي بمصر استمر من القرن الرابع حتى منتصف القرن الخامس الهجري، لكن شهدت هذه الدولة مرحلة الانحطاط و الأفول بعد عصر الحاكم الفاطمي. مع ذلك، فإنّ تأسيس جامعة الأزهر و دار الحكمة و دار العلم و تربية العلماء و استقطاب المفكرين في مختلف العلوم، و توظيفهم في المراكز العلمية بالقاهرة، في مجالات التدريس و تدوين التصانيف العلمية و الأدبية كل هذه من النشاطات العلمية المتنوعة و الواسعة للفاطميين.

الكلمات المفتاحية: الفاطميون، الشيعة، العلوم، الإمامة، الازهر، دار الحكمه، مجالس الحكمة، التعليم.

المقدمة

الفاطميون، سلالة حاكمة استطاعت أن تبسط نفوذها على مناطق واسعة في غرب العالم الإسلامي



في الفترة من ٢٩٧ إلى ٥٦٧هـ، و كانوا يعرفون باسم الدولة العبيدية أيضاً. كان الفاطميون من الطائفة الإسماعيلية الشيعية، و كانوا في صراع و منافسة محتدمة مع الخلافة العباسية، و كانوا يعتبرون أنفسهم الخلفاء الشرعيين. في البدء تأسست الحكومة الفاطمية في مراكش (بلاد المغرب حالياً). ثم امتدّ حكمهم ليشمل شمال أفريقيا و مصر و بلاد الشام و اليمن، و وسّعوا نفوذهم إلى بلاد الحجاز، و على أجزاء من البحر المتوسط و جزيرة صقلية.

الحقبة الطويلة التي حكمت خلالها الدولة الفاطمية أثمرت عن نشر مذهب التشيّع و تقويته في شمال أفريقيا لا سيما في مصر. و تأسّس في تلك الفترة عدد من المراكز العلمية مثل جامع الأزهر لتعليم العلوم الإسلامية على المذهب الإسماعيلي، و تم تدوين التصانيف المهمة لهذا المذهب. و أثناء فترة حكمهم استعان الفاطميون بجهاز الدعوة فأرسلوا الكثير من الدعاة (دعاة المذهب الإسماعيلي) إلى البلدان البعيدة و القريبة لنشر المذهب الإسماعيلي في مختلف النقاط من العالم الإسلامي مثل اليمن و الهند و المناطق الشرقية من إيران.

تشكّل مسألة خلافة الإمام الصادقؑ أساس التاريخ الإسماعيلي و المذهب الإسماعيلي، ذلك أنّهم يعتقدون بأنّ الإمامؑ نصّ على إمامة ابنه إسماعيل، و اختاره خليفة شرعياً من بعده.

لقد كان موضوع أصالة نسب عبيد الله المهدي و الفاطميين في مصر الذين نسبوا أنفسهم إلى ذرية إسماعيل و منه إلى السيدة فاطمة الزهراءؑ ابنة رسول اللهﷺ، أقول أنّ قضية هذا النسب كانت موضع نقاش و بحث المؤرّخين، من حيث أنّ معظمهم يشكّك في هذا النسب.

لقد كتب الخواجه علاء الدين عطا ملك الجويني في كتابه «تاريخ جهانگشاي» قائلاً: «يعتقد الإسماعيليون أنّه مهدي آخر الزمان، بينما يعتقد أهل السنة و جماعة المغربيين أنّه من نسل عبد الله بن سالم البصري، و العراقيون يقولون أنه من نسل عبد الله بن ميمون قداح، و كان داعي إسماعيل بن جعفر الصادق».[1]

تأسّست الدولة الفاطمية في بلاد المغرب في عام ٢٩٧هـ، و استمرّ حكمها لسنوات طوال. و بعد سنوات فتحت بلاد مصر على يد جوهر الصقلي.

---

١. جوينى، تاريخ جهانگشاى جوينى: ٣/ ١٥٩؛ مستوفى، تاريخ گزيده، ص٥٠٨.



ومع وصول المعز الإمام ـ الخليفة الرابع الفاطمي بدأ عصر جديد للدولة الفاطمية.

في الحقيقة، كان حكام الدولة الفاطمية هم أنفسهم أئمة المذهب الإسماعيلي، حيث عملوا بصورة منظمة و فعالة على توفير الأجواء للاستيلاء على السلطة السياسية.

في الفترة الممتدة بين استشهاد الإمام الصادق عليه السلام و الظهور الرسمي للدولة الفاطمية و التي بلغت قرن و نصف القرن تقريباً، كان عصر الأئمة مستوراً، و كان الإسماعيليون خلال هذه الفترة يعيشون في الخفاء و يكتنف تاريخهم الغموض و السرية. و بعد قرن كامل من الاحتجاب و السرية، ظهر الإسماعيليون من جديد عبر تشكيلهم منظومة سياسية جديدة في جزء مهم و حيوي من العالم الإسلامي في إطار حركة الدعوة الهادية.

لم يشأ الفاطميون أن يلعبوا دور المنافس القوي للعباسيين، بل كانوا يفكّرون بإسقاط الخلافة العباسية و بسط الدولة الفاطمية سلطانها كخلافة وحيدة على جميع البلاد الإسلامية، و لما كانت الخلافة العباسية تشكّل قلب الخلافة النابض في العالم الإسلامي، فقد جعلوا من الحملة على مصر و فتحها مقدمة للسيطرة على جميع الأقطار الإسلامية الواقعة تحت سيطرة العباسيين.

كان الفاطميون يعزون مشروعيتهم إلى التعاليم الشيعية، و قد أسّسوا تشكيلاتهم الحكومية على عقيدة الإمامة. و تبلور التوجّه العلمي للفاطميين من خلال استلهامهم للتعاليم الإسماعيلية. و شكّلت قضية المنافسة مع الخلافة العباسية إحدى العناصر الرئيسية في تشكيل هذه الوجهة العلمية لسياسات الفاطميين، و الأخذ بعين الاعتبار الأهداف و البرامج الدعائية لشبكة الدعوة الواسعة. لقد حقّق الفاطميون تقدّماً كبيراً في مجال تدوين العلوم و تأسيس المراكز العلمية و الارتقاء بالمراكز التعليمية.

سابقة الموضوع

من بين الأعمال البحثية التي تناولت أوضاع العلوم و العلماء، هناك عدد كبير منها أشار بصورة عابرة و سريعة لهذا الموضوع، و في نفس الوقت توجد كتب أسهبت و فصّلت البحث فيه. على

سبيل المثال، كتاب بثلاثة أجزاء تحت عنوان «الازهر فى الف عام»، لكنّه لم يفرد إلّا صفحات قليلة للعلوم و العلماء في العهد الفاطمي. من بين هذه الأعمال أيضاً هناك ما له علاقة وثيقة بموضوع هذه المقالة مثلاً:

مقالة «المراكز العلمية للفاطميين: اهدافها، واجباتها، وظائفها» و تتناول الأوضاع في مراكز التعليم في العهد الفاطمي من النواحي المذكورة في عنوان المقالة، و تستعرض العلوم و العلماء بمقتضى الحاجة. مقالة «السياسة العلمية و الثقافية للفاطميين في مصر» التي تسعى عبر ترتيب و تبويب مناسبين لمختلف المراكز التعليمية في العهد الفاطمي بمصر، إلى إلقاء نظرة تحليلية على سياسات الدولة الفاطمية في هذا النمط من النشاطات. تشير هاتان المقالتان لماماً إلى العلوم و العلماء، ذلك أنّ المراكز العلمية للفاطميين هي الموضوع الرئيسي للمقالة لا استعراض العلوم و العلماء. كما يعدّ كتاب «فى ادب مصر الفاطميه» من الأعمال الجيدة التي تتحدّث عن الأوضاع العلمية للفاطميين. و يبدو أنّ مؤلف الكتاب إسماعيلي المذهب أو يميل إليه، فهو يتحدّث بأسلوب دعائي و تبليغي حول التألّق العلمي للفاطميين. الكتاب في الكثير من مواضعه موثّق و يتميّز بمتابعة جيدة للموضوعات، إلّا أنّه في بعض الأحيان يشطح بأدبياته عن جادة العلم، فتضطرب المباحث و تزدحم.

من أنسب الأعمال المطروحة، رسالة جامعية لمرحلة الماجستير تحت عنوان «الأوضاع العلمية بمصر في العهد الفاطمي» لم يتسنّ لنا الحصول على نصّها لنبدي رأينا الصحيح. و لكن في ضوء الفهرست الموجود يتبيّن لنا أنّ هذه المقالة قد غطّت العلوم القرآنية و العلوم الدينية و العلوم الإنسانية و العلوم الطبيعية و الشعر و الأدب. و وجود هذه العناوين في الفهرست يشير إلى ارتباطها التام بموضوع المقالة الحاضرة في حقل العلوم في عهد الفاطميين، و لكن لا يسعنا الحكم فيما يتعلق بأوضاع العلماء في العصر الفاطمي.

نبذة عن الفاطميين

في عام ٢٩٧هـ تأسّست الدولة أو الخلافة الفاطمية في المغرب،[١] و بعد محاولات كثيرة و حملات

---

١. ابن تغر بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٤، ص٧٤.

عديدة توسّع سلطانها في نهاية المطاف ليصل بلاد مصر، لتُفتح على يد القائد جوهر الصقلي في عام ٣٥٨ هـ. قام جوهر ببناء مدينة جديدة و هي مدينة القاهرة الحالية، و مع دخول المعز الإمام ـ الخليفة الفاطمي الرابع إلى القاهرة، في عام ٣٦٢هـ، بدأ عهد جديد للدولة الفاطمية بمصر.[١]

في الحقيقة، كان زعماء الدولة الفاطمية أئمة المذهب الإسماعيلي، حيث عملوا بصورة تنظيمية و فعالة على خلق حركة دينية، فهيّأوا بذلك الظروف المناسبة للاستيلاء على السلطة السياسية. و هكذا أصبح المذهب الإسماعيلي في عهد الفاطميين المذهب الرسمي للدولة الفاطمية في المغرب و من ثم مصر، و قد مهّد ذلك للارتقاء بنشاطاتهم في مختلف الأبعاد، و كان من نتائج ذلك توسّع النفوذ الديني و السياسي للمذهب الإسماعيلي و الدولة الفاطمية شرق مصر و غربها.

بدأ تاريخ الإسماعيلية و المذهب الإسماعيلي مع فكرة الإمامة بعد الإمام الصادقﷺ، حيث اعتقد الإسماعيليون بأنّ الإمام الصادقﷺ نصّ على إمامة ابنه اسماعيل من بعده، و اختاره خليفة شرعياً من بعده.

الفترة الممتدة بين استشهاد الإمام الصادقﷺ و الظهور الرسمي للدولة الفاطمية و التي بلغت قرن و نصف القرن تقريباً، هي الفترة المستورة أو الأئمة المستورين،[٢] و كان الإسماعيليون خلالها يعيشون في الخفاء، و تاريخهم محاط بالسرية و الغموض. و بعد مرور قرن على هذه السرية و الاختفاء ظهروا على مسرح التاريخ، و بدّلوا حركة الدعوة الهادية[٣] إلى ثورة منتصرة، و صنعوا عهداً جديداً في بقعة مهمة من العالم الإسلامي عبر استحداثهم لمنظومة سياسية جديدة.

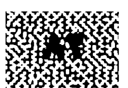
منذ البداية، لم يشأ الفاطميون البقاء في أفريقيا، كان الدعاة و الجواسيس يفتّشون هنا و هناك لكسب المزيد من المعلومات عن أوضاع شرق الدولة الفاطمية (مصر) و غربها (الأندلس).

---

١. دفترى، تاريخ و انديشه هاى اسماعيلى در سده هاى ميانه، ص١٣.

٢. المقريزى، اتعاظ الحنفا باخبار الائمه الفاطميين الخلفا، (تحقيق: احمد العطا)، ج١، ص١٢٢. السجستانى من كبار علماء الإسماعيلية و يشرح الاعتقاد بالإمام المستور كما يلي: «فواجب ان يكون فى كل زمان للخلق امام هاد مهند لاتخلو الارض منه اما ظاهر او مستور»، السجستانى، كتاب الافتخار، ص١٦٧.

٣. «ثم الإسماعيليّة في الجمله من المستعلويّه و النّزاريّه يسمّون أنفسهم أصحاب الدّعوه الهاديه». القلقشندى، صبح الاعشى فى صناعة الانشاء، ج١٣، ص٢٤١.



فكانت الاستعدادات جارية للهجوم على الجهتين، و كان على الفاطميين أن يجزموا أمرهم و يتّخذوا القرار النهائي.

لم يشأ الفاطميون أن يلعبوا دور المنافس القوي للعباسيين، بل إسقاط الخلافة العباسية و بسط الدولة الفاطمية سلطانها كخلافة وحيدة على جميع البلاد الإسلامية. و لما كانت الخلافة العباسية تشكّل قلب الخلافة النابض في العالم الإسلامي، فقد جعلوا من الحملة على مصر و فتحها مقدمة للسيطرة على جميع الأقطار الإسلامية الواقعة تحت سيطرة العباسيين.[1]

المراحل التاريخية للفاطميين في مصر

على مدى نصف قرن من تواجدهم في المغرب، بذل الفاطميون جهوداً كبيرة للحفاظ على سلطتهم السياسية و دفع أخطار المعارضين. فقدان الأمن الكافي صرفهم عن مهمة الاهتمام الجاد بالمراكز العلمية و العلماء. درج الباحثون على تقسيم تاريخ الفاطميين في مصر إلى ثلاث مراحل هي: المرحلة الأولة عصر الإمامة (الخلافة)، المرحلة الثانية عصر الوزارة، و المرحلة الثالثة عصر الضعف و الانحطاط.

١. عصر الإمامة (٣٦٣ـ٤٤٩هـ(منذ بداية الدولة الفاطمة حتى وزارة بدر الجمالي

في هذا العصر تزايد النفوذ السياسي و القوة العسكرية للدولة الفاطمية لدرجة صار المركز الديني لأهل السنّة (في بغداد) تحت سيطرتهم لمدة عام كامل، و لولا المشاكل الداخلية التي كانت تنخر جسد الدولة الفاطمية و دعم السلاجقة الذين ظهروا فجأة للخلافة العباسية الساقطة، لحكم الفاطميون جميع البلاد الإسلامية، من شرقها إلى غربها.[2] كما أنّ المجتمع المصري شهد في ظلّ هذه

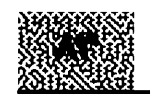
---

١. و هذه الأبيات لابن هانى الاندلسى أيضاً تشهد على ذلك:

«تقول بنو العباس قد فتحت مصر — فقل لبني العباس قد قضي الأمر
و قد جاوز الإسكندرية جوهر — تصاحبه البشرى و يقدمه النصر»

المقريزى، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الاثار، ج٢، ص٢٣٥؛ ناصرى طاهرى، مقدمهاى بر تاريخ سياسى اجتماعى شمال افريقا، ص٥٧.

٢. هاجسن، فرقه اسماعيليه، ص٤٧ـ٤٨.



الدولة حركة عمرانية واسعة و انتعاشاً اقتصادياً كبيراً، و في هذه الفترة تأسّست مدينة القاهرة و توسّعت و اضطرد ازدهارها و تألّقها.[1]

في الحقيقة، إنّ تسامح الحكام الفاطميين كان موضع إعجاب و تقدير، فقد عمل الفاطميون في هذه المرحلة على خلق الوحدة بين الفرق و القبائل و مختلف المذاهب الإسلامية و غير الإسلامية، و هو ما أدّى إلى التقليل من حدّة التعصّبات و الحساسيات المذهبية في ظل دولة قوية و مقتدرة و متسامحة في آنٍ معاً.[2]

«و أما سيرهم في رعيتهم و استمالة قلوب مخالفيهم، فكان لهم الإقبال على من يفد عليهم من أهل الأقاليم جلّ أو دقّ، و يقابلون كل أحد بما يليق به من الإكرام، و يعوّضون أرباب الهدايا بأضعافها. و كانوا يتألّفون أهل السّنّة و الجماعة و يمكنونهم من إظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم».[3]

٢. عصر الوزارة (٤٤٩ ـ ٥١٩هـ)

يمتد هذا العصر من وزارة بدر الجمالي إلى عزل مأمون البطائحي على يد الآمر. لقد حظي الوزراء في هذه المرحلة بمكانة عظيمة، فتحوّلت وزارة التنفيذ إلى وزارة تفويض[4] و استقلّ الوزراء بالإمساك بزمام جميع الأمور.

وأغرى ضعف سلطة الخلفاء الجيش، الذي كان يتألف في غالبيته من عناصر مختلفة و أجنبية و مرتزقة غير مصريين كانوا يعملون كقوة مركزية طاردة، أغرى الجيش على الاستيلاء على السلطة أو الانحياز نحو الطرف الأقوى في السلطة.

---

١. و يت، قاهره، (ترجمه: محمودى).

٢. العبادى، فى التاريخ العباسى و الفاطمى، ص٢٦١.

٣. القلقشندى، صبح الاعشى فى صناعة الانشاء، ج٣، ص٥٩٧ ـ ٥٩٨.

٤. المقريزى، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الاثار، ج٢، ص٣٤٦، «في سنة سبع و ستين و أربعمائة فصارت الوزارة من حينئذ و زارة تفويض و يقال لمتوليها: أمير الجيوش و بطل اسم الوزارة».

كما أنّ الخلفاء بعد المستنصر لم يكونوا بالكفاءة و الاقتدار الذي كان عليه الخلفاء الأسلاف، فكان جلّ همهم هو الانغماس في ملذات الدنيا و الحياة الارستقراطية. و قد أسرف بعض الخلفاء في الملذات و الشهوات لدرجة صاروا أبطالاً لقصص ألف ليلة و ليلة و ذاع صيتهم في الأوساط العامة. حياة اللامبالاة التي عاشها الخلفاء أدّت إلى تردّي مستوى الأمن الاقتصادي و الاجتماعي، و انعدام ثقة الناس بالحكام الفاطميين.

ومن الخسائر الكبرى التي تمخضت عن هذه الحقبة إهمال العلماء و المفكرين و على وجه الخصوص الكتّاب الإسماعيليين، و عدم تقديم الدعم اللازم لهم. عدم الاهتمام هذا ترك تأثيراً كبيراً على انخفاض عدد حراس العقائد الشيعية في الدولة الفاطمية.

كما أنّ هيمنة الوزراء على مقدرات الدولة، و جهود الخلفاء لمزيد من الاستقلال للانفكاك من سلطة الوزراء و نفوذهم أدى إلى احتدام الصراع على السلطة و صرف الاهتمام عن القضايا المهمة و تدبير شؤون البلاد. و بالنتيجة، دفعت هذه الصراعات و النزاعات الداخلية إلى إضعاف الدولة و انحطاطها.

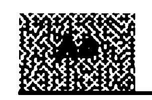
٣. عصر الضعف و الانحطاط (٥١٩ـ ٥٦٧هـ)

إنّ ظهور الشرخ الثاني في الإمامة الفاطمية و تقسيمها إلى حافظين و طيبين، أدّى إلى مزيد من الضعف في كيان الدولة الفاطمية. و قد نتج هذا الشرخ عن أزمة خلافة الآمر.[١] و بسبب الصراع الشديد بين أصحاب السلطة و النفوذ في هذه الدولة، بالإضافة إلى أزمة الاستخلاف أصبحت الخلافة الفاطمية منصباً شكلياً تماماً، ممّا صرف انتباه ولاة أمر الدعوة الفاطمية نحو الداخل و المحافظة على السلطة، فانعكس ذلك على ضعف و تدهور شديدين في النشاطات الإسماعيلية.

إنّ الصراع الداخلي الشديد من أجل الاستحواذ على السلطة، و مجيء حكام و وزراء غير شيعة، أو أحياناً متعصّبين و معادين للمذهب الشيعي غير ملتزمين بالحفاظ على المذهب الإسماعيلي و على مصر الشيعية، شجّع بعض الوزراء على طلب المساعدة من القوى الأجنبية

---

١. الآمر من و جهة البعض هو أن يقوم العم بغصب خلافة الأب، ابن الطوير، نزهه المقلتين فى الاخبار الدولتين، ص٢٤.



للتدخل و الحملة على بلادهم و التمهيد للغزو الأجنبي. طبعاً، لم يكن الأمر بحاجة إلى غزو خارجي، و ذلك لفرط ضعف الدولة الفاطمية من الداخل و انهيارها.[1]

صفات الدولة الفاطمية

١. الإمامة[2] و المهدوية

تعدّ الإمامة من العقائد الرئيسية و الراقية للشيعة، بمن فيهم الإسماعيلية التي ينتسب إليها الخلفاء الفاطميون. لقد شكّلت هذه العقيدة الرئيسية قوام الحكومة الدينية الفاطمية. بحسب العقيدة الإسماعيلية، وجود الإمام ضروري كضرورة وجود النبي، من أجل هداية الأمة و حفظ الدين.[3] باعتقاد الفاطميين، إنّ الإمام بوصفه خليفة الله و رسولهﷺ، و المحور الرئيسي للدين، إنّما يحمل على عاتقه رسالة كبرى تتمثل في هداية المجتمع و الأمة الإسلامية.

كانت للإمام الفاطمي أربع صفات رئيسية هي: منصّب من الله، منصوص عليه من النبي كإمام، علمه إلهي[4] يرثه عن النبي، عصمته من الخطأ.[5] بناءً على هذا، فالإمام بعد رسول الله هو معلم الدين العالم بالأسرار و المفسّر لكتاب الله،[6] و قد نقل القاضي نعمان نموذجاً عنه.[1]

---

١. الطوير، نزهه المقلتين فى الاخبار الدولتين، ص٥٣ ـ ٧٣.

٢. حول موضوع الإمامة عند الإسماعيلية صدرت مؤلفات و أبحاث جديدة بالفارسية مثل، «ساختار نهاد دينى فاطميان در مصر» بقلم فاطمه جان احمدى، و قسم من مجموعة مقالات «اسماعيليه» إعداد: مهدى فرمانيان.

٣. السجستانى، كتاب الافتخار، ص١٦٧ ـ ١٦٩. «فواجب ان يكون فى كل زمان للخلق امام هاد مهتد لاتخلو الارض منه اما ظاهر او مستور»، نفس المؤلف، ص١٦٧.

٤. للمثال، السجستانى، كتاب الافتخار، ص٢٧٦. المعز في معرض توضيحه لماهية هذا العلم و ردّه لرأي الغلاة حول علم الأئمة الفاطميين يقول ما يلي: قال المعزّ لدين الله صلوات الله عليه: الغيب الذي تعلمه الأئمّة هو ما غاب عن الناس من العلم الذي أودعهم الله إيّاه و استحفظهم سرّه. فأمّا الغيب الذي قال جلّ ذكره: ﴿قُل لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ و الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلّا اللهُ﴾ فلا يعلمه إلّا هو كما قال عزّ و جلّ. المصدر نفسه، ص٨٤.

٥. للمثال، القلقشندى، صبح الاعشى فى صناعة الانشاء، ج١٣، ص٢٤١. «فهم يتّفقون على أنه لا بدّ من إمام معصوم: ظاهر أو مستور».

٦. السجستانى، كتاب الافتخار، ص٢٠٤ ـ ٢٣١.

كان استمرار الإمامة في الإسماعيلية يتم بحسب وصية رسول الله ﷺ عبر الأبناء و انتقالها عبر ذريته. لذا، فالإمام هو من يكون ولده إماماً و لم ينقطع نسله.[2]

تشترك الإسماعيلية و الإثنا عشرية في الإيمان بالأئمة حتى الإمام السادس (الإمام جعفر الصادق عليه السلام)، و يفترقان بدءاً من الإمام السابع. فالإسماعيلية تعتقد بأنّ خليفة الإمام الصادق عليه السلام في الإمامة كما نصّ عليه هو، ولده إسماعيل و من بعده ولده محمد بن إسماعيل.[3]

كان الاعتقاد بإمامة و مهدوية محمد بن إسماعيل هو العقيدة الرسمية لغالبية الطائفة الإسماعيلية، و استمر ذلك حتى ظهور عبيد الله بن المهدي، حيث بدأ زعماء يلقّبون بالحجة أو الباب، و أصبح الخليفة هو الإمام أو المهدي. بعد قيام الدعاة بنشاط دعوي و عسكري مكثف من أجل التمهيد لظهور المهدي، ظهر أخيراً عبيد الله المهدي، و اعتبر نفسه الإمام المهدي. و بعد

---

١. كتأويل فصل الربيع (القاضي النعمان، المجالس و المسايرات، ص٣٢٩) أو تاويل عرفه من قبل المعز الذي أثار دهشة و إعجاب القاضي نعمان، «كلام في قصّة يوم الغدير: (قال) و سألته عليه السلام عن الرّوايه في يوم الغدير و ما قاله رسول الله ﷺ ذلك اليوم لعلي عليه السلام، و ما قام به من و لايته بقوله: من كنت مولاه فعليّ مولاه. و قلت: جاءت الروايه أنّ ذلك كان في منصرفه من حجّه الوداع لمّا صار عند غدير خم و ذلك لثماني عشره خلت من ذي الحجّة و أنّ الله أنزل عليه حينئذ لمّا قام بولايه علي عليه السلام و أجاب المسلمون ما عقده له: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. فقال: نعم، كذلك كان الأمر. قلت: و قد جاء عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنّه قيل له إنّ بعض اليهود سمع قول الله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فقال اليهوديّ: لو نزل مثل هذا علينا لاتخذنا هذا اليوم عيدا. قال أبو جعفر: لقد نزل ذلك في يوم عيدين: نزل في يوم عرفة. و و قع يوم جمعة. قلت: و يوم عرفه يوم تسعه من ذي الحجّه، فكأنّ ذلك ـ على الحديث ـ نزل قبل يوم الغدير بتسعه أيّام. فتبسّم عليه السلام و قال: فما قلت أنت في ذلك؟ قلت: ما ذهب و همي في ذلك أنّ قول رسول الله ﷺ: خلّفت فيكم ما إن تمسّكتم به بعدي لن تضلّوا: كتاب الله و عترتي أهل بيتي ـ قال هذا يوم عرفه ـ أنزل فوجبت به الولايه، و فسّرها بعد ذلك يوم الغدير. فقال: لا و لكن كان في يوم عرفة كما قال أبو جعفر عليه السلام. و ذكر تأويل عرفه فتبيّن لي الأمر و صحّ الحديثان فكأنّما شقّ عن قلبي له غطاء كان عليه. فقبّلت الأرض بين يديه، و قلت: يا مولانا، هذا الذي نزل من السماء لا ما سكن في الأرض»، القاضي النعمان، المجالس و المسايرات، ص٣٢٧ـ٣٣٠.

٢. قباديانى، و جه دين، اساطير، ص٩ ـ ١٢.

٣. طبعاً تشعبت الإسماعيلية شيئاً فشيئاً إلى ثلاث جماعات. الاسماعيليه الخالصه التي لا تؤمن بموت إسماعيل، و تعتقد الجماعتان الأخريان بأنّ محمد بن إسماعيل هو الإمام بعده. اختلافهم هو فيما إذا توقّفت الإمامة في محمد بن إسماعيل أم استمرت في نسله من بعده، ناصرى طاهرى، فاطميان در مصر، ص٢٥ ـ ٢٦.

وصوله إلى المغرب أمر بذكر اسمه في الخطب على المنابر بوصفه المهدي و أمير المؤمنين.[1]

٢. العلم و التعليم

ويعدّ الإمام محور الفكر الإسماعيلي، و من أهم صفاته العلم الإلهي و الأعلمية. بحسب الفكر الشيعي، و بالأخص الإسماعيلية، يعدّ الإمام المرجع الديني و مصدر تأويل أصول الدين و معارفه. و طريق المعرفة للإمام هو اتصاله بالعلوم ما فوق البشرية، و على المؤمنين أن يسعوا لنيل الفلاح عبر تحصيل العلم، و الذي يتركّز بشكل خاص في معرفة الإمام و عن طريقه معرفة الله.[2]

لهذا السبب، كان التعليم في صلب البرامج الإسماعيلية و ذلك للسير في طريق الفلاح المقدس. فقد حظي التعليم و التعلّم بأهمية قصوى بحيث أصبح أحد أسماء الإسماعيلية التعليمية أو التعليميون. لقد أولت التعاليم الإسلامية و لا سيّما الشيعية أهمية عظمى للتعليم، فمن أهم الخصال الخصيصة للإمام الأول للشيعة كونه باب مدينة علم النبيﷺ. (انا مدينه العلم و على بابها).[3]

من وجهة نظر الفاطميين أنّ للدين و الشريعة الإلهية ظاهر و باطن، و بالتبع تصنّف العلوم المرتبطة بها إلى علوم ظاهرية و علوم باطنية. من هنا، ينقسم التعليم إلى تعليم العلوم الظاهرية و الباطنية. فثمرة العلوم الظاهرية العبادة العملية في حالات مثل الطهارة، و الصلاة، و الصوم، و الحج، و الجهاد... و غيرها، أما نتيجة العلوم الباطنية فهي العبادة العلمية في إطار معرفة الله و القرب الإلهي، كما صرّح مؤيد الدين الشيرازي أحد كبار علماء الإسماعيلية قائلاً:

فاننا لاهل علم و عمل　　　　لله دنا بهما عز و جل[4]

طبقاً للمذهب الفاطمي، على الجميع أن يتحرك بلا انقطاع في طريق التعلّم، و طلب العلم فرض على جميع الأفراد و بصورة متساوية بغضّ النظر عن الجنس أو العمر أو الشغل أو العرق أو

---

١. القاضى النعمان، المجالس و المسايرات، ص١٦٦ ـ ١٦٩؛ المقريزى، اتعاظ الحنفا باخبار الائمه الفاطميين الخلفا، ج١، ص١٤٩.

٢. ناصر خسرو، وجه دين، ص٨ ـ ١٣.

٣. معزى، پيشگامان حكومتهاى شيعى تاريخ حمدانيان و فاطميان، ص١٨٦ ـ ١٨٧.

٤. حسين، محمد كامل، فى ادب مصر الفاطميه، ص٢٩ ـ ٣٠ قصيده منسوبة إلى مويد الدين الشيرازى الداعى الأكبر للفاطميين.

اللغة أو البلد... إلخ، و لا فرق بين رجل و امرأة، أو صغير و كبير، أو مديني و قروي، أو شرقي و غربي...، هذا على الرغم من أنّه على أرض الواقع كانت المجالس تقام ضمن تقسيمات و تفكيكات مختلفة. و بالنسبة لمحتوى العلوم و المعارف، كانت هناك تقسيمات و توقيتات مختلفة. العلوم الظاهرية كانت بصورة عامة متاحة للجميع، و لكن جدارة كل فرد و في كل مرحلة بتعلّم العلوم الباطنية الخاصة كانت تعتمد على قدراته على تلقّي الحقائق و عدم الاستيحاش من المباحث.

٣. دور المرأة في التعليم

يعكس النقاش حول دور المرأة في الدعوة الإسماعيلية و تأسيس الدولة الفاطمية و إدارتها، الموقع المرموق الذي كانت المرأة تحتله في العصر الفاطمي، بالمقارنة مع المجتمعات الأخرى. لقد استطاع الفاطميون توظيف هذه الإمكانية الاجتماعية المهمة و القوية على أكمل وجه في مختلف مراحل الدعوة و الدولة. كان لبعضهنّ دور مهم و خطير عبر النفوذ داخل مفاصل الدولة الفاطمية، و من بين هؤلاء النسوة الشهيرات يمكن أن نذكر هنا ست الملك أخت الحاكم، و والدة المستنصر و عمة الحافظ.[١]

إذن، احتلت المرأة في الدولة الفاطمية منزلة خاصة، فهذا المقريزي ينقل لنا عن المسبحي بعض النشاطات العلمية و الحضور الاجتماعي الفعال للنساء الفاطميات، جنباً إلى جنب الرجل: «و كان الداعي يواصل الجلوس بالقصر لقراءة ما يقرأ على الأولياء و الدعاوي المتصلة فكان يفرد للأولياء مجلسا و للخاصة و شيوخ الدولة و من يختص بالقصور من الخدم و غيرهم مجلسا و لعوام الناس و للطارئين على البلد مجلسا و للنساء في جامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر مجلسا و للحرم و خواص نساء القصر مجلسا و كان يعمل المجالس في داره».[٢]

---

١. ست الملك ابنة العزيز و أخت الحاكم، كان لها بلاط خاص: ابن تغر بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٤، ص٤٧ و أمسكت بزمام أمور الحكم لأربع سنوات بعد مقتل الحاكم، و طبعاً شهدت البلاد في هذه الفترة ازدهاراً و عمراناً: نفس المؤلف، ج٤، ص١٩٦. يصف ابو المحاسن كيفية إدارتها في هذه الفترة بقوله: «وقامت عمّته ستّ الملك بتدبير مملكته أحسن قيام و بذلت العطاء في الجند و ساست الناس أحسن سياسة»: نفس المؤلف، ج٤، ص٢٤٨.

٢. المقريزى، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الاثار، ج٢، ص٢٦٠.



٤ . مجالس الدعوة أو مجالس الحكمة

لا يوجد توافق كبير حول العنوان «مجالس الحكمة»، فبعض الباحثين يعتقد أنّ مجالس الحكمة خاصة بالمتعلمين الإسماعيليين من أجل تعلّم العلوم الباطنية، و المجالس التعليمية العامة كانت لتعليم العلوم الظاهرية بصورة عامة (للإسماعيليين و غيرهم)،[١] أما المقريزي فقد اعتبر مجالس الدعوة و مجالس الحكمة شيئاً واحداً،[٢] حيث يشرح المدارج و المراحل المختلفة للدعوة، ثم يذكر المجالس المتعددة و المتنوعة. و يدلّل هذا في حدّ ذاته على أنّه من المحتمل أن مجالس الدعوة كانت تعقد على مستويات مختلفة و كانت عبارة عن مصطلحين؛ من هنا، فمجالس الدعوة (العامة) تقسّم إلى نوعين، النوع الأول مجالس الحكمة، و النوع الثاني مجالس الدعوة (الخاصة).[٣]

على أيّ حال، إنّ كلا المجلسين بمفاهيمهما و أسمائهما المتعددة، يمتلكان جوهراً واحداً، و الفرق بينهما يكمن فقط في مستوى الإيمان لدى المتلقي و المباحث المطروحة من قبل الداعي. الآن، و بغض النظر عن مقارنة هذه المصطلحات، يمكن تقسيم المجالس التي كانت تعقد من قبل الدولة الفاطمية عبر منظومة الدعوة، و تحت إشراف داعي الدعاة على النحو التالي.[٤]

<table>
<tr><th colspan="4">اقسام مجالس الدعوه (مجالس الحكمه)</th></tr>
<tr><th colspan="2">لجهة المتلقي</th><th colspan="2">لجهة مكان الانعقاد</th></tr>
<tr><td rowspan="3">الرجال</td><td>الأولياء</td><td>ايوان القصر الكبير</td><td>الرجال</td></tr>
<tr><td>الخواص و كبار رجال الدولة</td><td rowspan="2">المحول داخل القصر الكبير</td><td rowspan="2">النساء</td></tr>
<tr><td>خدام القصر الخصوصيين</td></tr>
</table>

---

١. المعزى، پيشگامان حكومت‌هاى شيعى تاريخ حمدانيان و فاطميان، ص١٨٦.

٢. «و كانت تسمى مجالس الدعوه مجالس الحكمه»، المقريزى، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الاثار، ج٢، ص٢٦٠.

٣. طبعاً يمكن أن تكون مجالس الحكمة تعبير آخر عن المكاتب التي تكتب فيها ملاحظات الداعي، و تكون موضع إجماع جميع الفقهاء الإسماعيليين، ثم يقوم الإمام الفاطمي بتأييدها و التوقيع عليها، «و كان الفقهاء منهم يتفقون على دفتر يقال له مجلس الحكمه»، المقريزى، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الاثار، ج٢، ص٢٥٩ و في هذه الحالة يمكن تشبيهها مجازاً بكتب الأمالي للشيخ الصدوق و الشيخ الطوسي و ما شابه.

٤. طبعاً هذا التقسيم يختصّ مصر و القاهرة فقط، و لا يتناول سائر المناطق.

	عوام الناس و المارة	جامع الازهر	المشترك (المقسمة)
النساء	حرم الإمام الفاطمی و سیدات القصر الخواص	دار الحكمه	
	عامة النساء في جامع الازهر	دار العلم	
		بيت الداعی	

كما كان يتمّ إعداد هذه المعلومات بصورة مدونة و رسمية، و لم تكن تعرض على المتلقين إلّا بعد تأييد الإمام الفاطمي و توقيعه عليها.[1] الانسجام و وحدة الموضوعات لهذه المعلومات و تناسب المضمون بالإضافة إلى قدرة المتلقي كانت تزيد من تأثير مجالس الدعوة و الحكمة، و ترفع من حجم نجاح الفاطميين.

٥. مجالس المناظرة

لم تذكر المصادر إلّا القليل في وصف هذه المجالس، و لكن مع ذلك يمكن أن نستشف من هذا القليل بأنّها كانت تقام بهدف تنوّع الآراء و تعدّد في موضوع أو محور خاص. و كان لهذه المجالس مضمون استدلالي و برهاني، و كانت تختلف ماهوياً عن مجالس الدعوة و الحكمة و كذلك الخطب الدعوية. كان يمكن لهذه المجالس أن تؤثّر في تقوية الأركان العقائدية للإسماعيلية عند سائر فرق المسلمين، و لكن يبدو أنّها كانت تقام لأجل تعزيز باطن أتباع المذهب الإسماعيلي.

من المعلوم أنّ المناظرات العلمية في القضايا و الموضوعات الخلافية لها تاريخ قديم في أوساط الفرق الإسلامية، و تندرج ضمن هذا الإطار مناظرات من قبيل مناظرة أبي عبد الله الشيعي مع كبار علماء القيروان حول باب الإمامة،[2] و لكن طبقاً للوثائق الموجودة في المصادر الموجودة، فإنّ البداية الرسمية لهذا المجلس المهم في الدولة الفاطمية تعود إلى عصر المنصور والد المعزّ بالله.[3] و قد

---

١. المقريزی، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الاثار، ج٢، ص٢٥٩.

٢. القاضی النعمان، افتتاح الدعوه، ص١٥٤، «وجمع فقهاء أهل القيروان فناظرهم في الأمامه و فيما خالفوا فيه أهل البيت ﷺ من علم الفتيا فقطعهم في ذلك فعجبوا من نفاذه».

٣. القاضی النعمان، المجالس و المسايرات، ص٤٨٧.

طرح القاضي نعمان بعض الأمور حول قبيلة كتامة منها على سبيل المثال استمراره و مواظبته على استماع الفقه و المناظرات الفقهية في وقت العصر من أيام الجمعة حتى الغروب.[1]

إذن، فمجالس المناظرة بدأت تظهر في أيام حكم الفاطميين في المغرب، و استمرّ انعقادها في مصر أيضاً كما كانت.[2] و تشير أخبار المناظرات الدينية في مصر إلى أنّ موضوع هذه المناظرات كان يتوسّع أكثر فأكثر، إذ علاوة على الفقهاء، انضمّ إلى جماعة المتناظرين ثلة من المتكلمين الذين اشتهروا بمهاراتهم في الجدل و الخطابة.[3]

ينقل القاضي نعمان حول مجالس الحكمة و الدعوة التي كانت تقام في عهد المعز بالله، بأنّ هذا الأخير قد فتح باب الرحمة على الشيعة، و وضع تحت تصرّفي الكتب التي كانت عنده التي تتناول علم الباطن (التأويل)، و أمر أن تعقد جلسات في القصر كل يوم جمعة، لننقل هذه الموضوعات إلى المؤمنين (الشيعة). و كان الإقبال على هذه المجالس عظيماً لدرجة كان يكتظ مكان المجلس في القصر بالجمهور، بحيث لم يكن الصوت يصل إلى الصفوف الأخيرة من الجمهور، كما أنّ بعضاً من الجمهور كان يتواجد في فناء القصر خارج مكان الجلسة.[4] طبعاً كلما كانت تظهر موجة جديدة، و تزداد الرغبة العامة للفاطميين، كان الإقبال على مجالس الدعوة و الحكمة يزيد و يكتظ المكان بالمهتمين بهذه الجلسات[5] و في العادة كانت مجالس العموم تتحول إلى مجالس للمناظرة.[6]

---

١. نفس المؤلف.

٢. المقريزي، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار، ج٤، ص١٦٢.

٣. نفس المؤلف، ص١٦٤ طبعاً يحتمل أنّ المناظرات الكلامية كانت تقام في المغرب أيضاً، و لكن لم تصلنا تقاريرها التاريخية، ذلك أنّه لا يوجد أيّ دليل على ذلك.

٤. القاضي النعمان، المجالس و المسايرات، ص٣٨٦.

٥. «تسارع الناس إلى الدخول في الدعوه فجلس لهم قاضي القضاه عبد العزيز بن محمد بن النعمان، فقدموا من سائر النواحي و الضياع، فكان للرجال يوم الأحد، و للنساء يوم الأربعاء، و للأشراف و ذوي الأقدار يوم الثلاثاء، و ازدحم الناس على الدخول في الدعوه». المقريزي، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار، ج٤، ص١٦٤.

٦. «يجتمع فيه الفقهاء و جماعه من المتكلمين و أهل الجدل و تجري بينهم المناظرات»، نفس المؤلف، ص١٦٢.



ولم يكتف بهذا المقدار، و إنّما قام بتشكيل مجالس أسبوعية عصر كل جمعة بعد صلاة الجمعة.[1] و بعد انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر و شروع حقبة جديدة من عهد الدولة الفاطمية، قام القاضي نعمان بتأليف عدد من الكتب حول الفقه و العقيدة الإسماعيلية، و كانت بمثابة مناهج للتدريس في الأزهر و القصر الفاطمي.

أسباب تطور العلوم في العهد الفاطمي

من أهم عوامل تطوّر العلوم في العصر الفاطمي، الأولويات و التوجهات الرئيسية في تعلّم العلوم و المعارف، و الإيمان الاستراتيجي بتأثيرها العظيم في تحقيق النجاحات للمذهب الفاطمي.

صحيح أنّ الحثّ بشكل عام على طلب العلم كان قد ورد كراراً في الروايات النبوية و اشتهر بين المسلمين، و أنّ كسب العلم و السعي لتوسيع نطاقه و تحمّل المشاق و الصعاب من أجله كان أمراً مسلماً به عند جميع المذاهب الإسلامية، إلّا أنّ تقنين التعليم و خلق بنية و مراحل خاصة للعلوم و المتعلمين و القيام بمراقبة منتظمة و مستمرة في إطار شبكة واسعة من المعلمين و المتعلمين بهدف التأثير على حجم الأتباع، كل هذه كانت من السمات اللصيقة بالفاطميين الإسماعيليين. فنظرة الفضيلة إلى العلم و التعليم شيء، و السعي لطلب العلم على طريق الجهاد الثقافي، وفقاً لأهداف التفوق العقدي و الثقافي، و بالتبع، تحقيق الهيمنة السياسية و الاجتماعية شيء آخر. فبالإضافة إلى اهتمام الفاطميين بالفضيلة، فقد عنوا بشكل خاص بالهدف الثاني أيضاً. و لو أردنا أن نتقصّى هذا التوجّه في الأحاديث و الأقوال، هناك قول يشير فيه بوضوح إلى هذا المضمون، إذ يقول ﷺ: «العِلمُ سُلطانٌ، مَن وجَدَهُ صالَ بِهِ، و مَن لَم يَجِدهُ صيلَ عَلَيهِ».[2]

فالادّعاء بزعامة العالم الإسلامي و الزعم بمشروعية الخلافة دون السعي إلى تحقيق التفوق العلمي، أمر غير مقبول. و لأجل إثبات هذا الادعاء و تطبيقه على أرض الواقع، كان عليهم أن

---

١. القاضي النعمان، المجالس و المسايرات، ص٥٤٦.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغه، (مصحح: محمد ابوالفضل ابراهيم)، ج٢٠، ص٣١٩.

يواكبوا ركب المسيرة العلمية، و يتفوّقوا على منافس شرس مثل العباسيين. في الحقيقة، إنّ العلم للوهلة الأولى هو أداة السلطة، و وسيلة الكفاح و الغلبة الثقافية و الدينية، و من ثمّ العبور إلى التفوق السياسي و الاجتماعي. على الرغم من أنّ التطوّر العلمي بأقصى الجهود و السرعة كان ضمن التعاليم الدينية الإسماعيلية، إلّا أنّه في ضوء متطلبات العصر و الظروف في العصر الفاطمي، فإنّ الحافز الرئيسي للفاطميين وراء ذلك النشاط العلمي كان الصراع الشديد بينهم و بين العباسيين. و كان نفس الشيء يحدث في الطرف الآخر، حيث كانت بغداد تعيش في عصر العباسيين عصراً ذهبياً و حركة واسعة للترجمة.[1]

كان التعليم من الخصائص الرئيسية التي تميّز العقائد الإسماعيلية. فكما أنّ العلم (الإلهي) هو خصوصية للإمام الإسماعيلي، فإنّ ارتقاء سلّم الرقي في المذهب و بلوغ درجة القرب لا يتسنّى إلّا عبر قطع الأشواط العلمية، و تعلّم العلوم المصنّفة. و إنّ تقييم المتعلمين يعتمد بصورة مباشرة على مقدار المرتبة في البنية التعليمية.

من جهة، كان التعليم بالمواصفات المذكورة مزية نسبية للفاطميين في مقابل العباسيين و سائر منافسيهم، فالذي كان يستميل قلوب معارضي الفاطميين و يثبّت أنصارهم و أتباعهم في جميع البلاد الإسلامية ليس القوة العسكرية و التجسسية للفاطميين، و إنّما قدرتهم العلمية المؤثرة، التي كانت على شكل شبكة فعالة، و تنظيم دقيق و مسيطر عليه من قبل منظومة الدعوة، و التي كانت تتحرك باتجاه تحقيق الدعوة الهادية.

كانت المنافسة مع العباسيين تزيد من عزيمة الفاطميين و تضاعف جهودهم، غير أنّ منظومة الدعوة الإسماعيلية هي التي كانت توجّه دفّة تلك الجهود. و هي منظومة واسعة تضم شبكة من الدعاة على مختلف المستويات، و كانت تؤدّي عمل عدّة وزارات في آنٍ معاً، مثلاً، منظومة الدعوة، وزارة التربية و التعليم، وزارة الأمن، وزارة الاتصالات (البريد)، و بالإضافة إلى السيطرة التامة لهذه المنظومة على جميع مفاصل الدولة، كانت تعمل أيضاً في المجالات المذكورة.

---

١. معزى، پيشگامان حكومت‌هاى شيعى تاريخ حمدانيان و فاطميان، ص٢٠٥.

إحدى الوظائف الخاصة بمنظومة الدعوة، الأمور التعليمية وفق ترتيب و تبويب للعلوم و المتعلمين.[1] تتمثّل حصيلة النجاح الذي حقّقته هذه المنظومة في مجال العلوم في التطور العلمي و تأسيس المراكز العلمية و المكتبات و دعم العلماء في مختلف الاختصاصات، بحيث كانت إنجازاتهم تنافس ما حقّقه العباسيون، و أحياناً كانت أكثر تطوراً و سعة. عدا عن صيانة معتقدات المجتمعات الإسماعيلية و ترسيخها و إصلاحها، كان الهدف الرئيسي لمنظومة الدعوة توسيع عدد الأتباع في شتى أنحاء العالم و بالأخص جذب الأشخاص من ذوي النفوذ و المكانة المرموقة في الطبقة الحاكمة.[2]

إنّ الهدف من الدعوة هو استقطاب الأتباع و زيادة عددهم،[3] ليتسنّى بمساعدتهم الاستحواذ على السلطة و تأسيس الدولة. لذلك فإنّ منظومة الدعوة العباسية انحلّت بعد انتصارها و تأسيس الدولة العباسية، بينما استطاع الفاطميون بذكائهم أن يحافظوا على بنية منظومة الدعوة، إذ ليس فقط لم يحلّوها، بل من خلال تحديد مهمات جديدة، قاموا بتوظيف الإمكانات و القدرات العظيمة لهذه الشبكة القوية من أجل تحقيق أهداف الدولة الدينية الفتية.[4]

الخلفاء الفاطميون الأوائل كان لهم باع طويل في علوم الفقه و الكلام و كذلك في المناظرة و الجدل. فما ينقله القاضي نعمان عن الرعيل الأول من الخلفاء، دليل على ما نقوله.[5] لا شكّ في أنّ الخلفاء الفاطميين كانوا علماء و محبين للعلم، و يمكن البرهنة على هذا الزعم بسهولة بالنسبة للمعز الفاطمي.[6] بيد أنّ القاضي نعمان يعتقد أنّ علم المعز هو علم إلهي، و متّصل بعلم الغيب. «وجدناه صلوات

---

١. معزى، پيشگامان حكومت‌هاى شيعى تاريخ حمدانيان و فاطميان، ص١٨٨.

٢. نفس المؤلف، ص١٧٧.

٣. يعتقد الباحثون أنّ الدعوة الإسماعيلية الخاصة كانت تتعلق بالشيعة الإثني عشرية، و التي تزعزعت بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام في سنة ٢٦٠هـ. هالم، تشيع، ص٢٩٦.

٤. معزى، پيشگامان حكومت‌هاى شيعى تاريخ حمدانيان و فاطميان، ص١٧٧.

٥. و يشهد على ذلك توصيف القاضي نعمان لمختلف المجالس العلمية و الأقوال الحكيمة للخلفاء الفاطميين الأوائل و خاصة المعز. للمثال انظر: مسألة شرح مفهوم «البرهان»، القاضي النعمان، المجالس و المسايرات، ص١٤٢ ـ ١٤٩ و توضيح معنى «قضاء»، نفس المؤلف، ص١٥٩ ـ ١٦٤.

٦. يستعرض كتاب المجالس و المسايرات الأسئلة و الأجوبة و كذلك المناظرات و المجادلات الذكية للمعز. مثلاً، ص١٥٣ و ١٦٣.

الله عليه قد نظر فى كل فن و برح فى كل علم» ثم يذكر الكثير من هذه العلوم و الفنون و أحياناً يقدّم بعض الأمثلة عليها.[1]

إنّ أسباب دعم الفاطميين للعلماء و ترقيتهم لإنتاج العلوم و نشرها أمر يستحقّ البحث و التحليل. فالفاطميون مسلمون قبل أن يكونوا شيعة إسماعيليين، فكثيرة هي أحاديث النبي الأكرم ﷺ و آيات القرآن الكريم في تفضيل العلماء و فضل طلب العلم و الاهتمام الشديد بالانخراط في مسار التعليم و التعلّم. بيد أنّ الفاطميين و نظراً إلى خصوصيات مذهبهم و الظروف الاجتماعية، كانوا يتبنّون رؤية علمية و عقلية أيضاً، و ضمن تصنيف كلي، كانت نظرتهم للدين تجمع بين العقل و العلم. و ممّا تمتاز به هذه النظرة، الاهتمام بجميع العلوم (بما في ذلك الدينية و الطبية و الفلسفية و علم النجوم...) و دعم تطويرها جميعاً. و على العكس من الرؤية النقلية التي لا تمتلك أيّ اهتمام جدي إزاء العلوم غير الدينية، و أحياناً تعارضها، فإنّ الاهتمام بالعلوم في التعاليم الدينية الفاطمية مفرط و شديد، و نشر العلوم و تطويرها يقع في صلب المعتقدات الفاطمية. و نظراً لأهمية طلب العلم عند الفاطميين و أولويته و قيمة الاشتغال به و دعم العلماء (دون تحديد نوع العلم أو مذهب العالم)، فقد دُعي جبرائيل بن بختيشوع اليهودي و ابن هيثم الشيعي و أبو العلاء المعرّي الذي كان يُتّهم بالإلحاد إلى مصر. و في نفس السياق فإنّ النظرة الإيجابية لبعض الجغرافيين المشاهير مثل ابن حوقل و تعبيره عن آراء وحدوية أمر يستحق الاهتمام و الانتباه، حيث اعتبره بعض المستشرقين جاسوس الفاطميين.

على الرغم من أنّ دعم العلماء في مصر و تشجيعهم كان سبباً في إنتاج مختلف العلوم، و عقد الجلسات العلمية و المناظرات و انتشار المكتبات و مراكز التعليم، لكنّ التوسع الجغرافي لها و انتقالها إلى بلاد أخرى في العالم الإسلامي تمّ على يد الدعاة الفاطميين و تخطيط من منظومة الدعوة.

مراكز و أساليب التعليم

شكّلت المساجد أول و أهم مراكز للتعليم في عهد الفاطميين. فالمساجد في عصرهم كان لها وظيفة المدارس و الجامعات. و قد هيّأ عقد الحلقات العلمية و جلسات المدارسة و التعليم أجواءً مناسبة

---

١. القاضي النعمان، المجالس و المسايرات، ص١٤٨ و المعز نفسه اعترف بانتقال العلم الإلهي من المنصور في الدقائق الأخيرة من حياته.

لنشر العقائد الإسماعيلية و توسيع الدعوة الفاطمية.

أول مسجد شُيّد في القاهرة هو مسجد الأزهر في عام ٣٥٩هـ. على الرغم من أنّ الأزهر و بفضل تسامح الفاطميين كان مركزاً علمياً تدرّس فيه جميع العلوم من قبل أساتذة مختلف المذاهب، لكنّه كان يشكّل المركز الأصلي لنشر الفكر الإسماعيلي و التعاليم العقدية و الفقهية لهذا المذهب. بعد عقدين من الزمن تقريباً قام الحاكم بتشييد دار الحكمة بالإضافة إلى مكتبة ضخمة إلى جانبها.[1]

وقام الخلفاء من بعده مثل المستنصر و الحافظ بتجديد بنائه بالتدريج، سعياً منهم لتوسيع هذا الصرح العلمي. هذا الجامع تحوّل لاحقاً إلى جامعة على يد جوه (٣٥٨ ـ ٣٦٢هـ)، و ظلّ لعقدين أي حتى عهد العزيز مركزاً مهماً لنشر العلوم الإسماعيلية.[2] أمر العزيز وزيره ابن كلس أن يعيّن رواتب مجزية لعدد من الفقهاء الذين يشتغلون بالدرس و البحث و إقامة الحلقات العلمية في الأزهر، و أن يبني لكل واحد منهم داراً. في أيام الجمع كانت تقام دائماً الحلقات و المجالس العلمية حتى صلاة العصر. و طبقاً لما نقله المقريزي فإنّ عددهم كان ٣٥ عالماً، خلع عليهم العزيز في عيد الفطر.[3] استمرّت الحياة العلمية لهذا الصرح العظيم على نفس المنوال طيلة العهد الفاطمي.

كما ينقل المقريزي عن إقامة مجالس علمية في هذا المسجد خاصة بالنساء.[4] أحد الأقسام التي أضيفت عند توسعة المسجد الحجرات التي كانت سكناً لطلبة العلوم الدينية، و كان الخليفة يعيّن لهم راتباً شهرياً.

---

١. القاضي النعمان، المجالس و المسايرات، ص١٤٨.

٢. المقريزي، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار، ج٤، ص٥١ ـ ٥٢.

٣. نفس المؤلف، «أجرى العزيز بالله لجماعة من الفقهاء يحضرون مجلس الوزير و يلازمونه أرزاقا تكفيهم في كلّ شهر، و أمر لهم ببناء دار إلى جانب الجامع الأزهر، فإذا كان يوم الجمعة تحلقوا فيه بعد الصلاة إلى أن تصلّى صلاة العصر، و كان لهم من مال الوزير أيضا صلة في كلّ سنة، و عدّتهم خمسة و ثلاثون رجلا، و خلع عليهم العزيزبالله في يوم عيد الفطر و حملهم على بغال». المقريزي، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار، ج٤، ص١٦٢.

٤. «فكان يفرد للأولياء مجلسا، و للخاصة و شيوخ الدولة، و من يختص بالقصور من الخدم و غيرهم مجلسا، و لعوام الناس، و للطارئين على البلد مجلسا، و للنساء في جامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر مجلسا، و للحرم و خواص نساء القصر مجلسا» المقريزي، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار، ج٢، ص٢٦٠.

ومما يجدر الالتفات إليه هو، على الرغم من أنّ الهدف من تأسيس الأزهر كان نشر المعتقدات و العلوم الإسماعيلية، و لكن منذ السنوات الأولى لتأسيسه أضحى مكاناً لتعليم علوم المذاهب الأخرى أيضاً.

علماء من جميع المذاهب الشافعية و المالكية، و الحنفية فيما بعد، كانوا عناصر مهمة في هذه الحرية الدينية في مراكز التعليم الديني الإسماعيلي، و التسامح و التعايش السلمي هو الذي أدّى إلى ظهور عدّة أصوات على الساحة و حضور المذاهب الأخرى. لكنّ العامل الأهم هو أنّ النشاط العلمي و المسار التصاعدي التسارعي لم يكن ممكناً إلّا عبر التعاطي بين مختلف المذاهب. فالإسماعيليون الذين كان يعتبرون أنفسهم المذهب الحق، و أدلتهم محكمة و إمكان الاستدلال المنطقي لمعتقداتهم متيسّرة، تجنّبوا فرض قيود على أصحاب الآراء و المذاهب الأخرى المختلفة. ففي أجواء الحوار و الاستدلال يكون المذهب المعتدل و المبرهن مقبولاً.

كان علماء المذاهب الأخرى يتمتعون بحرية واسعة لدرجة أنّهم في بعض الأحيان كانوا يعترضون على حضور الفقيه الفاطمي (الإسماعيلي) في جامع الأزهر للتدريس. ففي عام ٣٨٣هـ اعترض فقهاء جامع الأزهر على حضور فقيه شيعي، و لم يكفّوا عن اعتراضهم إلّا بعد تدخّل القاضي في الأمر. كما أنّ أبا يوسف القزويني أحد كبار المذهب المعتزلي، سكن في مصر مدة أربعين سنة، و كان يحمل عقائد مخالفة للفاطميين، و مع ذلك لم تتأثر حلقة درسه أبداً.[١]

أروع جزء في مسار النشاطات التعليمية هو انسياق المباحث و الموضوعات المختلفة نحو المناظرة. في الحقيقة، إنّ حضور أساتذة المذاهب المختلفة و تدريسهم هو فصل البذار، أمّا المناظرات و الحوارات فكانت فصل الحصاد و قطاف الثمار المتمثّلة باستمالة القلوب و ترسيخ العقائد الإسماعيلية.

أمّا سائر المساجد و الجوامع مثل جامع الحاكم و جامع الأقمر... و غيرها، فكانت تحاكي الأزهر، و تأتي في مراتب تالية و بدرجات تأثير مختلفة، و كانت تجري فيها نشاطات الدعوة و الترويج للعقائد الإسماعيلية في أجواء علمية مزدهرة.

١. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٥، ص١٥٦.

وهناك مراكز فاطمية علمية أخرى مثل دار العلم[1] (٣٩٥هـ).[2] هذا المكان أيضاً ألحق بالأزهر بعد أعمال التوسعة التي شهدها، و كانت تعقد فيه مجالس الحكمة من قبل الداعي مرتين في الأسبوع (أيام الاثنين و الخميس). في هذه المجالس كان الداعي يجلس على كرسي الدعوة و هو أشبه بالمنبر، و كان يتلو على مجالس المؤمنين من الرجال و النساء محتوى الملاحظات التي تم تبييضها و المؤيّدة من قبل الإمام و قد ختمت في أسفلها بختمه.[3] و كانت دار العلم تضمّ مكتبة عظيمة أضيف إليها الكثير من كتب خزانة القصر.[4]

إذا كان الأزهر يدرّس العلوم الدينية فقط، ففي دار العلم، و بالإضافة إلى العلوم الدينية، كانت تدرّس علوم الطب و الأدب العربي و القراءة و المنطق و الرياضيات و النجوم أيضاً.

من الخصائص التي تفرّدت بها دار العلم و التي لا يوجد لها نظير في الشرق الإسلامي، هي أنّ

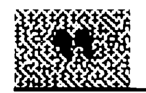
---

١. هناك ملاحظتان جديرتان بالذكر حول دار العلم: الأولى، يبدو أن دار العلم كان اسمها في البداية دار الحكمة، و بعد عدّة سنوات تغير اسمها إلى دار العلم و ذلك لأنّه مع مرور الوقت علاوةعلى الحكمة و الفلسفة، راجت فيها العلوم الدينية أيضاً و عقدت فيها جلسات المناظرة. و العديد من الباحثين مثل محمد كامل حسين في «فى ادب مصر الفاطميه» و مريم معزى في «پيشگامان حكومتهاى شيعى» و كثيرون غيرهم اعتبروا دار الحكمة و دار العلم شيئاً و احداً، و أحياناً لا يذكرون اسم دار الحكمة. طبعاً يحتمل أن يكون اشتهار اسم دار العلم للاحتراز من الخلط بينها و بين دار الحكمة ببغداد. و من الأدلة على أنّها شيء و احد، يمكن أن نشير إلى و صف المكتبات و عدد الكتب و محل استحداثها إلى جانب القصر. الملاحظة الثانية، من شيوع دور العلم في الشرق الإسلامي و غربه منذ القرن الثالث إلى السادس الهجري، و استبدالها بدور القرآن ابتداءً من القرن السابع يمكن أن نستنتج بأنّ التنافس العلمي في نطاق العلوم الدينية و العلوم العقلية و العلوم الطبيعية حلّ محله التنافس ففي العلوم النقلية و عدم الاهتمام بمباحث العلوم الطبيعية و العلوم العقلية (أو على الأقل عدم الاهتمام بالآراء العقلية في العلوم الدينية).

٢. و في جمادى الآخرة من هذه السنة (٣٩١هـ) فتحت دار الحكمة بالقاهرة و جلس فيها القرّاء، و حملت الكتب إليها من خزائن القصور، و دخل الناس إليها و جلس فيها القرّاء و الفقهاء و المنجمون و النحاة و أصحاب اللغة و الأطباء، و حصل فيها من الكتب في سائر العلوم ما لم ير مثله مجتمعا، و أجرى على من فيها من الخدّام و الفقهاء الأرزاق السنية، و جعل فيها ما يحتاج إليه من الحبر و الأقلام و المحابر و الورق». المقريزى، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الاثار، ج٤، ص١٦٤. في ضوء التوضيح المذكور في الهامش السابق يبدو أنّ دار الحكمة بعد أربع سنوات اشتهرت بدار العلم، و قد تأسست نظيراتها في مدن أخرى.

٣. المقريزى، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الاثار، ج٤، ص٢٥٩.

٤. ابن حماد صنهاجى، تاريخ فاطميان (ترجمه اخبار ملوك بنى عبيد)، ص٨٥.



ما من حاكم سوى الحاكم بالله امتلك كتباً بالأعداد التي كانت دار العلم تحتويها في مكان واحد، و كان بمقدور جميع شرائح المجتمع من أيّ مذهب و ثقافة و تخصّص علمي مراجعتها و مطالعة الكتب و التدريس و الاستنساخ أو التتلمذ عند الأساتذة. و لا شك في أنّ ميزة تكريم جميع طلبة العلم دون النظر إلى طبقتهم أو موقعهم الاجتماعي، هي ميزة رائعة تفرّدت بها الدولة الفاطمية.

ومن مزايا دار العلم الأخرى، أنّ جميع النفقات الخاصة بتعمير البناء و صيانته و الكتب المحفوظة فيه و كذلك الموظفين و المعلمين، كان تؤمَّن من ميزانية الأوقاف، حتى الورق و القرطاسية كانت توضع تحت تصرّف الباحثين و المتعلمين.[1] وظيفة أخرى كانت دار العلم تضطلع بها بوصفها مركزاً تعليمياً هي أنّها كانت مكاناً لعقد مناظرات العلماء. و قد نقل السيوطي و المقريزي بعضاً من تلك المناظرات. و كتب المقريزى نقلاً عن المسبحى، المؤرّخ الفاطمي، أنّه في سنة ٤٠٣هـ استدعى الحاكم بعض علماء الرياضيات و المنطق و الفقه و الطب، و طلب منهم أن يعقدوا مناظرة علمية بحضوره، و بعد انتهاء المناظرات العلمية التخصصية، كان يغدق عليهم الصلات و الخلع.[2]

كان قصر الفاطميين من أنسب مراكز التعليم الفاطمية و أكثرها تألّقاً، و خاصة بالنسبة للمسؤولين و أصحاب المناصب الحكومية. و قد نقل القاضي نعمان عن هذه الموضوعات الشيء الكثير في «المجالس و المسايرات» و المقريزي في «الخطط». كان قصر الفاطميين يتألّف من جناحين شرقي (كبير) و غربي (صغير)، و كان يحتوي على عدد كبير من خزانات الكتب، و كانت الجلسات و الندوات العلمية تعقد، عادةً، في قاعات هذه المكتبة. كانت المكتبة الفاطمية تحتوي على مجلس و قاعة و محول، و مخزن، و كان الخلفاء الفاطميون، و خاصة في العصر الفاطمي الأول، يعيرون اهتماماً بالغاً بجمع الكتب باعتبارها كنوزاً قيّمة.

والحقيقة، إنّ تقارير المؤرّخين عن عدد الخزانات و الكتب الموجودة فيها يثير الدهشة و

---

١. هالم، تشيع ٩٤ «و حضرها الناس على طبقاتهم، فمنهم من يحضر لقراءة الكتب، و منهم من يحضر للنسخ، و منهم من يحضر للتعلم، و جعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر، و الأقلام، و الورق و المحابر»، المقريزى، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الاثار، ج ٤، ص٣٧٩ و ٥٠٣.

٢. يخلع الحاكم على الجميع و يصلهم....المقريزى.

العجب، فقد قال عنها ابن أبي طي: كانت من عجائب الدنيا، و لا نظير لها في العالم الإسلامي، و يربو عدد كتبها على المليون و ستمائة ألف عنوان. و كان يوجد في هذا القصر ألف و مائة مخطوطة (سلسلة) من كتاب تاريخ الطبرسي. يقدّر المسبحي عدد خزانات الكتب في القصر الفاطمي بـ ٤٠ خزانة، بعضها لم يكن من اليسير الوصول إليه، و كانت تحفظ فيها بعض الكتب الخاصة. و من حيث محتوى الكتب يمكن القول بأنّه لم تكن هناك أيّ قيود بالنسبة للموضوعات، فقد كانت المكتبة تحتفظ بأعداد كافية من الكتب و من جميع العلوم، مثل الفقه (على جميع المذاهب)، و النحو، و اللغة، و الحديث، و التاريخ، و النجوم، و الكيمياء... و غيرها.

ولم يكن اعتباطاً أنّ أكابر علماء الإسماعيلية في فن الجدل و المناظرة كانوا ينتصرون على خصومهم في الاستدلال لمعتقداتهم المذهبية، ما جعل علماء من أمثال الغزالي يحذّرون أتباع مذاهب أهل السنّة من عقد المناظرات مع علماء الإسماعيلية، و أفتى فقط بالنضال العملي ضدهم. و هذا أمر طبيعي، فوجود كتب عديدة و متنوعة و الإحاطة بجميع الأصول و المعارف للمذاهب المختلفة و التسلّح بالمهارات اللازمة مثل منطق الاستدلال و المناظرة و الإلمام بالعلوم الطبيعية و الإنسانية، أعطى دفعة و حافزاً قوياً لعلماء الإسماعيلية لمواجهة أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى و الانتصار عليهم، حتى على الزنادقة من أمثال أبي العلاء المعرّي، و كانوا يقبلون على المناظرة دون وجل أو خشية.

وهنا نقولها بحرقة و ألم، من أنّ الكثير من المصنّفات العلمية لأكابر الإسماعيلية و أئمة الفاطمية التي كانت محفوظة في المكتبات النفيسة في القاهرة قد تُلفت بسبب المشاكل الاقتصادية و سيطرة وزراء غير أكفاء لا يعرفون قيمة النفائس، و بسقوط الدولة الفاطمية، ذهبت معها كنوز من التاريخ و العقائد لا تقدّر بثمن.

إذا وضعنا في اعتبارنا النظرة العلمية للفاطميين إزاء العالم الإسلامي، و التوجهات العامة للتفوق العلمي في العصر الفاطمي، حينئذ يمكن أن نقول بأنّ المكتبات و المراكز العلمية في الدولة الفاطمية كانت بمثابة ترسانة أسلحتهم و مخازن ذخيرتهم، التي لم يستطيعوا صيانتها و المحافظة عليها، فأدّى ذلك إلى إحاطة تاريخ الفاطميين و التعريف بالمعارف الأصيلة للدعوة الفاطمية بهالة من الغموض و التعقيد.

إنّ الشيء الذي كان الفاطميون يعلّمونه لأبناء مذهبهم في قالب الحكمة في مجالس الحكم هو تأويل أصول الإسلام و المعتقدات الإسماعيلية.[1] كان لفاطميي المغرب رؤية اجتماعية للدين تؤكّد على العدالة الاجتماعية، و كانوا يقتبسون من النظم الفكرية للأديان و الشرائع المختلفة لتقوية مذهبهم الإسماعيلي، و كان يحدث ذلك، في الغالب، من قبل غلاة المذهب و يدخلونها في العقائد و المعارف الإسلامية. على سبيل المثال، في تفسيرهم للخلق، كانوا ينتهون إلى التثليث (الله، الأمر، المخلوق)، و لكن بعد دخولهم مصر و ارتباطهم بشكل أوثق بالإسماعيلية المشرقية عملوا على تعديل و تعزيز عقائدهم الدينية من زاوية فلسفية شرقية.[2]

ومن بين المدارس الفلسفية التي كانت سائدة في العالم الإسلامي، وجدوا الإفلاطونية المحدثة أكثر مناسبة و تناسباً، و طبعاً، قاموا مع مرور الزمن بنحت مصطلحات في منهجهم الفلسفية تتلاءم بشكل أكبر مع المعارف الإسلامية للآيات القرآنية و أحاديث الرسول الأكرمﷺ و أقوال الأئمةعليهم السلام.[3]

ومن العلماء الذي جهدوا في هذا الطريق ابو حاتم الرازى، ابو يعقوب السجستانى، حميد الدين الكرمانى و ناصر خسرو، حيث تستند براهينهم، إلى معارف الوحي أكثر منها إلى المبادئ العقلية.[4]

لقد أدّى تطوّر الحكمة الفاطمية في القرنين الرابع و الخامس إلى تطوّر ملحوظ في الحكمة الفاطمية اللاحقة. إنّ مقارنة المعتقدات و الاستدلالات المتناظرة مع تلك الرؤى الكلية في ترويج و شرح المعتقدات الإسماعيلية في القرون من الثالث إلى الخامس الهجري دليل على حدوث تغيير و تعديل مشهود، و طرح نسخة محدّثة لعبت دوراً في تيار الحكمة الإسلامية في العالم الإسلامي.

---

١. معزى، پيشگامان حكومت‌هاى شيعى تاريخ حمدانيان و فاطميان، ص١٩٤، نقلاً عن وجه‌الدين ٢٤ـ٢٥.

٢. دفترى، تاريخ و عقايد اسماعيليه، ص٢٠١.

٣. معزى، پيشگامان حكومتهاى شيعى تاريخ حمدانيان و فاطميان، ص١٩٦.

٤. نفس المؤلف.

لقد عاشت مصر في العصر الفاطمي، و لا سيما في عصر الخلافة، أكثر مراحل تاريخ الإسلام ازدهاراً لجهة التطور و التوسع العلمي. و قد استند هذا التطور العلمي إلى وفرة العلماء المصريين الأصلاء و الوافدين، و وفرة في التصانيف في هذه البلاد، حيث سنأتي على ذكر بعض الأمثلة.

تعتبر القاهرة من المدن المهمة و المركزية للعلوم، و الأئمة الفاطميون من حماة العلماء و دعائمهم الرئيسيين لخلق نهضة علمية متعددة. فمن خلال تأسيسهم لدار الحكمه، و دار العلم، و المكتبات و المراكز العلمية الكبرى مثل الازهر و تقديم الدعم المالي و المعنوي للعلماء و المتعلمين، وفّروا الظروف المثالية للحركة و النشاط العلمي في مصر.[1]

أسلوب التعليم

أربعة محاور مهمة كان الفاطميون يؤكّدون عليها في أساليبهم التعليمية، و هي مراعاة سرية التعاليم، تدريجيتها، الأخذ في الاعتبار الظروف الفكرية و العلمية للمتعلم، و الاستعانة بلغة مشتركة متفق عليها تناسب كل طبقة اجتماعية و مهنة المتعلم. لم تكن هناك ضرورة لمراعاة المحور الأول داخل حدود الفاطميين، أما في خارج حدودهم، فكان يتم الالتزام به بشدة و ذلك للاحتراز من الأخطار المحتملة الجمّة التي تتهدّد أتباع المذهب الإسماعيلي. لم يكن التعليم يتم ما لم يؤخذ بنظر الاعتبار المعتقدات السابقة للمتعلم، و بناءً عليه، فإنّ تعليم فيلسوف كان يختلف عن تعليم فتى مراهق. كما أنّ الدعاة عند تدريسهم للحكمة و المواعظ كانوا يضعون نصب أعينهم الطبقة الاجتماعية و الشغل و الجنس، مثلاً، عندما كان افلم بن هارون داعى الرعاة الفاطميين يحضر حلقة دروس النساء، كان يتزيّن بالحلي و يتجمّل و يتأنّق و يضع الوشاح. فكان يتحدّث مع الصنائعين عن صنعتهم، و مع الخياطين عن الإبرة و الخيط، و مع الرعاة عن العصا و الرداء و الخراف.

١. مثلا ينقل ابن ابى اصيبعه أنّ مهند بن نقاش طبيب مشهور من بغداد ذهب الى الشام، و بقي هناك فترة، لكنّه لم يتمكن من تأمين نفسه مالياً، فضاق به العيش، و في هذه الأثناء سمع أنّ الخلفاء في مصر يعتنون عناية فائقة بالعلماء و الأطباء، و يكرمونهم و يغدقون عليهم الصلات و الجوائز. فجاء إلى مصر و عومل باحترام شديد و أصبح ذا مال و ثروة، ج٢، ص١٠٩.

التحولات العلمية في العصر الفاطمي

عكفت منظومة الدعوة الإسماعيلية التي كانت نواتها الأصلية الدولية الفاطمية على الدعوة بشكل رئيسي. و كانت الدعوة تشمل التبليغ و الترويج للعقائد الإسماعيلية، و استحداث شبكة معقدة و تعزيزها من أجل اكتساب الحد الأقصى من الأتباع، و في النهاية، زيادة النشاط السياسية لمواجهة الخلافة في بغداد.

بعد غيبة الإمام الثاني عشر للشيعة الإمامية، توفّرت الظروف لانجذاب الأئمة للإسماعيلية، و استطاع دعاة شبكة الدعوة المعقدة انطلاقاً من خبرتهم التي تمتد لقرن كامل أن يجذبوا أعداداً كبيرة. و للإبقاء على ولاء الأتباع، كان من الضروري استمرار إلقاء التعاليم الدينية و النشاطات العلمية.

ولم يمض وقت طويل حتى تأسّست الدولة الفاطمية في المغرب، و في عهدها استمرّت النشاطات العلمية في ظل النشاطات الدعائية. بيد أنّ الإبقاء على ولاء الاتباع و تعزيز القدرة على المنافسة مع العباسيين كان يحتاج إلى شيء أكبر من هذا بكثير. و بعد دخول مصر و ما أعقب ذلك من راحة بال إجمالية على الصعيد السياسي و اقتراب حدود الفاطميين من الإسماعيليين، توفرت الأرضية للنشاط العلمي، فضلاً عن المحفّز. من ناحية ثانية، كانت الحاجة ماسة إلى نشاطات علمية تتيح التنافس مع العباسيين و إصلاح التعاليم السابقة التي لم تكن قابلة للدفاع.

الأرضية و المحفّز و الحاجة، ثلاثة عوامل دفعت الفاطميين صوب نهضة علمية ذات تعجيل متسارع، بلغت ذروتها خلال قرن واحد، أي من المعز إلى الحاكم. و من حسن حظ الفاطميين في هذه الفترة وجود أئمة ـ خلفاء و علماء و وزراء عقلاء ساهموا مساهمة فعالة في إعطاء دفعة قوية لهذه النهضة العلمية.

يمكن دراسة نتائج هذه النهضة العلمية الفاطمية في هذه الفترة على مستويين. المستوى الأول، دراسة القضايا و الموضوعات المطروحة في مختلف العلوم الدينية و الطبيعية و الإنسانية و الشعر و الفن، و هي موضوعات خارج موضوع هذه المقالة. و المستوى الثاني، من خلال نظرة عامة و نظرة خارجية إلى العلوم.



يتعيّن تناول التحولات الرئيسية في العلوم في العهد الفاطمي ضمن أربعة حقول:

١. الفقه: حتى قبيل قيام الدولة الاسماعيلية، لم يكن الإسماعيليون يعيرون الفقه الأهمية التي يستحق، على الرغم من تعذّر وصفهم بالمؤمنين من دون الفقه، لكن مع ذلك، لم تكن بعض العلوم تحظى بأهمية عندهم مثل الفقه و التاريخ. و لكن بعد تأسيسهم للدولة، أخذت أهمية الفقه تزداد عندهم و ذلك بسبب فوائده العملية. إذ إنّ تدبير شؤون الحكومة و إدارة الأوضاع الداخلية للبلد، تحتاج إلى تدوين قوانين مدنية و هو ما لم يوجد منه شيء في جعبة الفاطميين.

كان القاضي نعمان المغربي أحد العلماء الموالين للفاطميين، قد صنّف كتاب دعائم الإسلام و قام بتدريسه، فكان ذلك بداية التحول المنشود، و الذي تواصل مع أسرته و أولاده، لا سيّما محمد. كان القاضي نعمان من المقرّبين الخواص لثلاثة خلفاء فاطميين و أحد كبار العلماء، و صار كتابه المنهج الدراسي الرسمي للإسماعيلية. كان اهتمامه بتاريخ الدعوة الإسماعيلية بوصفها منظومة تعليمية و ثقافية لا سياسية، و قام بتدوين كتاب افتتاح الدعوة، غير أنّ الاهتمام بالتاريخ لم يكن مهماً قدر أهمية الفقه، و لا هو استمرّ بمقدار استمرار الفقه.

كان القاضي نعمان متضلّعاً إلى حد بعيد في الفقه و الكلام و المناظرات، و كان تلميذ الخلفاء الفاطميين في هذا المجال؛[١] كان لحبه و ولعه الشديد بالمنصور و من بعده المعز[٢] وكذلك تتلمذه عليهما[٣] أضف إلى ذلك ولائه الشديد لأئمة الإسماعيلية كل هذه العوامل أدّت إلى أن ينذر نفسه للإسماعيليين و الفاطميين و يقدّم لهم خدمات جليلة.

يعتقد هالم أنّ الفقيه الفاطمي القاضي نعمان (٣٦٣هـ) قام بتغيير وجهة منظومة الدعوة الفاطمية، و بتدوينه لرسالة دعائم الإسلام، أرسى قواعد المدرسة الفقهية الإسماعيلية، و قام بالكشف عن باطن الآداب الفقهية و الشرعية ضمن عدّة مصنّفات (اساس التاويل و تأويل الدعائم).[٤] و الإباحية

---

١. القاضي النعمان، المجالس و المسايرات، ٨٠ـ٧٩.

٢. نفس المؤلف، ص٧٩ـ٨٠ و ٣٥١ـ٣٥٣.

٣. القاضي النعمان، المجالس و المسايرات، ص٥٤٥.

٤. هالم، تشيع، ص٣٠٧.

التي كان يطرحها الأعداء، قابلة للإثبات في تعاليم الإسماعيليين الفاطميين للفاطميين و ليس موافقة للظروف السياسية و الاجتماعية للفاطميين. فالباحثون الإسماعيليون يعتقدون أنّ الفاطميين لم يكونوا يجيزوا التجارب الإباحية مهما كانت.[1]

٢. الإصلاحات العقدية: إنّ الأركان العقدية و المعتقدات الإسماعيلية التي تشكّل المحتوى الأصلي لمجلس الدعوة و الحكمة، كانت عبارة عن خليط من التعاليم الإسلامية و الشيعية، التي دخلت العقيدة الإسماعيلية مع عقائد بعض الأديان و المذاهب الأخرى بواسطة الغلاة. لذا، فعدم غربلتها و تصفيتها أو إصلاح العقائد الإسماعيلية في مرحلة الستر حتى قبيل تأسيس الدولة الفاطمية يبدو طبيعياً إلى حدّ ما، ذلك لأنّه كانت للفاطميين في هذه المرحلة أولويات أخرى، فكانوا يجاهدون للبقاء و الحضور المشروع في المجتمعات الإسلامية لمواجهة العباسيين.

لقد بدأ التحول الرئيسي في آراء و عقائد الإسماعيلية في هذه المرحلة بعد دخول الفاطميين إلى مصر و حكمة الخليفة الفاطمي العالم المعز. فالمنظومة العقدية للإسماعيلين قبيل دخولهم مصر لم تكن تعرف الفلسفة إلا لماماً، على الرغم من الإسماعيليين في الشرق كانوا على اطلاع، إلى حدّ ما، بهذه المنظومة.

إنّ تعرّف بلاد فارس قبل الإسلام على الفلسفة اليونانية و ترجمة الآثار الفلسفية و توسيع و نشر علم الفلسفة في الشرق الإسلامي، لا سيّما بلاد فارس، كان السبب وراء انتعاش المدارس الفلسفية في الشرق و ازدهارها، و قد تعرّف الإسماعيليون الشرقيون أيضاً على الفلسفة. إنّ تأسيس الدولة الفاطمية و زحف الحدود الفاطمية إلى الشرق و ذلك بعد دخولهم مصر، أدّى إلى تقارب الفاطميين و تعرّفهم على الأفكار الفلسفية.

من بين المدارس الفلسفية، اختار علماء الإسماعيلية المدرسة الأفلاطونية المحدثة، و التي تشكّل خليطاً من مبادئ المدرسة الأرسطية و الأفلاطونية. و هي مدرسة تتواءم مع المنظومة العقدية للإسماعيلية، و تتيح شرح الأنطولوجيا و الأبستمولوجيا الإسماعيلية بشكل أسهل و أكثر قبولاً. و تندرج ضمن هذ السياق محاولات ابي حاتم الرازى، و ابي يعقوب السجستانى، و حميد

---

١. همو، ص٣٠٨

الدين الكرماني و ناصر خسرو في القرنين الرابعين و الخامس لتفسير المنظومة العقدية للإسماعيلية في إطار المدرسة الأفلاطونية المحدثة بالاستناد إلى مفاهيم القرآن الكريم و السنّة المطهرة.

٣. تأسيس المراكز العلمية: من مقتضيات الجهود العلمية تأسيس المراكز العلمية و قد قدّمنا توضيحاً لها.

٤. العلوم الطبيعية: قبل تأسيس الفاطميين لدولتهم بل و حتى قبل دخولهم مصر، لم يكن لهم إلمام بالعلوم الطبيعية، لعدم حاجتهم لها، فضلاً عن أنها لم تشكّل أولوية بالنسبة لهم، بالإضافة إلى أنّ وجهة البنى النظرية للمنظومة العقدية الإسماعيلية كانت وجهة مغايرة، و لهذا لم تحظ العلوم الطبيعية و التجريبية لديهم بأهمية تذكر. ثم جاء تأسيس الدولة و تعرّفوا على المدارس الفلسفية، و استعانوا بالفلسفة لشرح منظومتهم العقدية، فكشف ذلك عن مدى الحاجة لها، و كذلك ضرورة التوجّه صوب العلوم الطبيعية. و قد جرى الاهتمام بهذه العلوم بشدّة خصوصاً في المراكز العلمية الخاصة مثل دار الحكمة التي تنطوي على بعد بحثي و تحقيقي. و توسيع حدود العلم في هذا الحقل من قبل العلماء الإسماعيليين و غير الإسماعيليين في نطاق الدولة الفاطمية كان ملفتاً للانتباه و الاهتمام، على سبيل المثال ابن الهيثم.

أمثلة للعلوم في العهد الفاطمي

الدولة الفاطمية في مصر كانت في قلب العالم الإسلامي، و قد هاجر إليها العديد من الشخصيات العلمية، أو مرّ عليها و سكن فيها لفترة. لكنّ الملفت هو أنّ عدد العلماء الإسماعيليين كان أقل بكثير من العلماء غير الإسماعيليين، و من بين العلوم، كانت العلوم الدينية و الإنسانية أكثر إقبالاً من العلوم الطبيعية، و قد ازدهرت العلوم الفقهية، سيّما الفقه الإسماعيلية.[1]

١. الفلسفة و الحكمة

في مرحلة الستر، كانت الإسماعيلية منشغلة بشكل رئيسي بالنضال السري، و كان تعليم المبادئ

---

١. رسالة جامعية لمرحلة الماجستير «وضعيت علمى مصر در دوره فاطميان»، ص٧.

الإسماعيلية لأتباعها يتم بصورة مخفية. لم يكن الفاطميون في المغرب على اطلاع بالفلسفة كما هو حال إسماعيلي المشرق الإسلامي، و لكن بعد دخولهم مصر و بتدبير من الخليفة الفاطمي الحكيم المعز، طرأ تحوّل كبير على الفلسفة و الحكمة الفاطمية، و عملوا على تطوير منظومتهم الفلسفية بفعل تأثرهم بالعلماء الفرس.[1]

من بين المدارس الفلسفية اليونانية التي كانت متداولة بين المسلمين (الأرسطية، و الأفلاطونية، و الأفلاطونية المحدثة)، وجد الفاطميون أنّ تعاليم المدرسة الأفلاطونية المحدثة الأكثر انسجاماً مع مذهبهم، و لذلك راحوا يطابقون مذهبهم مع مبادئ هذه المدرسة و يعملون على تعزيزها.[2] فبدأوا بتأويل عقائدهم و أصولهم، و مطابقة مفاهيم الأفلاطونية المحدثة مع الآيات القرآنية و أحاديث الرسول الكريم ﷺ و الأئمة ﵈ . و قد بلغ هذا التحوّل العلمي في الفلسفة و الحكمة ذروته في القرنين الرابع و الخامس الهجريين على يد حكماء كبار مثل ابو حاتم الرازى، ابو يعقوب السجستانى، حميد الدين الكرمانى و ناصر خسرو. و قد دأب هؤلاء الحكماء في تصانيفهم على التمسك بعقلانية التعاليم المقتبسة من الفلسفة الأفلاطونية المحدثة، مع غلبة الاستناد إلى الوصي.[3]

٢. النجوم

العلوم المرتبطة بالنجوم و التنجيم كانت رائجة في بلاط السلاطين و الخلفاء بل و بين عامة الناس، و كان الحكام بشكل عام يهتمون بالتواصل مع هذه العلوم. حافظت هذه العلوم على رواجها في البلاد الإسلامية حتى غزت العلوم التجريبية و الفلسفة الوضعية الغربية هذه البلاد. كان الفاطميون على غرار سائر الحكومات الإسلامية مهتمين بالأمور الخاصة بتحديد بداية شهر رمضان المبارك و حساب الروزنامه و التواريخ و السنين.

---

١. دفترى، تاريخ و عقايد اسماعيليه، ص٢٠٦ ـ ٢١٠.

٢. معزى، پيشگامان حكومت‌هاى شيعى تاريخ حمدانيان و فاطميان، ص١٩٥.

٣. نفس المؤلف، ص١٩٧.



لذا لم يكن الفاطميون أول دولة و لا آخر دولة تهتم بعلم النجوم، غير أنّ اهتمامها أدّى إلى إعداد علماء و إنتاج مصنّفات علمية لا بأس بها. الاهتمام الجاد للفاطميين بالنجوم كان بعد دخولهم إلى مصر، حيث اصطحب المعز عند دخوله مصر منجّمه الخاص محمد بن عبد الله العتقي، و بعد استقرار الحكم، و في عهد العزيز حظي ابن قلانسي المنجم المعروف بمكانة مرموقة، حتى وصل التنجيم أوج ازدهاره في عهد الحاكم بالله، و في هذه الفترة تم تشييد مرصد للنجوم. كما قام المنجم الشهير آنذاك علي بن يونس بتدوين الزيج الحاكمي في أربعة أجزاء، إذ كان لابن يونس اطلاع على ازياج حبش حاسب و البتاني و النيريزي و زيج ممتحن المأموني، كما نقل ارصاداً من الماهاني الذي فقدت تصانيفه. و تحتوي جداول ابن يونس على مقدمة موجزة و مفيدة يبين فيها حالات الاستفادة العلمية من النجوم و الجغرافيا الرياضية في الشعائر الإسلامية.[1]

وكلما اقتربنا من نهايات القرن الخامس الهجري، كانت الدولة تضعف و تضمحل، و قد انعكس هذا الضعف على تطور العلوم من بينها علم النجوم. في عام ٥٠٠هـ و مع إطلالة القرن السادس الهجري عقد احتفال كبير، عرض كل من علماء النجوم في البلاط الفاطمي روزنامته المبتكرة و مقارنة بعضها ببعض ضمن حسابات منفصلة، و كان بينها اختلاف كبير. تكرّرت هذه المقارنة بين الروزنامات في عام ٥١٣هـ، و زادت الاختلافات عمّا سبق، و أدّت المشاحنات و الخصومات التي حدثت بسبب هذه المقارنة إلى قتل أفضل بدر جمالي و من ثم مأمون البطائحي.[2] كان القرن الخامس الهجري ذروة ازدهار علم النجوم. و في تقرير يتحدّث عن فهرسة كتب القصر، يشير إلى وجود ٦٥٠٠ كتاباً في موضوعات علم النجوم و الهندسة و الفلسفة.[3]

٣. التاريخ و السيرة

كان ازدهار الفاطميين في مصر، فمصر بلد التاريخ و الحضارة، و قد اشتهرت بعراقتها و آثارها. و

---

١. قره چانلو، جغرافیای تاریخی کشورهای اسلامی.

٢. (طبعاً أحد أسباب هذه الحوادث المريرة مرحلة ضعف الدولة الفاطمية). تلميذ سللون ـ المقريزي.

٣. كرد علي، محمد، خطط الشام، ج٦، ص١٨٤.

قبل حكم الفاطميين و خلاله ظهر في مصر مؤرّخون مشاهير و أصحاب تصانيف، أشار إليها علماء القرون التالية مثل المقريزي و القلقشندي و ابن تغري بردي في كتبهم، و أبدوا اهتماماً كبيراً بالمؤرّخين و تصانيفهم التاريخية. الفرغاني (ولد بمصر عام ٣٢٧هـ) أحد مؤرّخي مصر، والده كان صاحب ابن جرير الطبري المؤرّخ الشهير. و للفرغاني جهود في تدوين كتب التاريخ و سيرة حكام مصر بالاستعانة بتصانيف الطبري و تصانيف والده، و كذلك بالاستفادة من مصادر أخرى، و من مؤلفاته سيرة العزيز بالله الفاطمي.

وهناك شخصية أكثر شهرة من الفرغاني، عنيت ابن زولاق (٣٠٦ـ٣٨٧هـ)[١] المؤرخ المصري الذي ترك تأثيراً كبيراً على المؤرّخين المصريين من بعده، الذين لم يستغنوا عن مؤلفاته. من مؤلفاته سيرة جوهر، سيرة المعز، سيرة العزيز و كتاب خطط مصر.[٢]

يتلخص أسلوبه في تدوين الكتب و جمع الأخبار في أنّه كان ينقل عن الرواة الثقات و العدول فقط، و في نقله للحوادث المعاصرة، كان يعتمد على شهود العيان فحسب. لهذا السبب اشتهر بين معاصريه بصدق الأخبار، و قد استفاد مؤرّخون كثر من كتبه مثل ابن خلكان و ابن حجر العسقلاني و ياقوت و السيوطي و ابن دقماق.[٣]

توفي ابن زدلاق في عهد الحاكم، و في نفس الفترة ولد مؤرّخ آخر شهير هو المسبحي الذي خدم منذ طفولته في قصر الحاكم، و ارتقى الدرجات العسكرية بسرعة.

يتمثّل فضل المسبحي على ابن زولاق في أنّه لم يقف عند سرد التاريخ السياسي فقط بل غطّى التاريخ الاجتماعي و الاقتصادي و الأدبي، و كذلك شرح المهن و طبقات الناس و ذكر عجائب مصر كذلك. و يبدو من عناوين تصانيفه أنّه كان متخصصاً في فروع عديدة، و كان يهتم بموضوعات مختلفة. من بين تصانيفه نذكر: التاريخ الكبير، التلوع و التصريح في الشعر، جونه

---

١. ابن زولاق، فضايل مصر و اخبارها و خواصها.

٢. حسين، محمد كامل، في ادب مصر الفاطميه، ص١٥٦.

٣. نفس المؤلف، ص١٥٧.

الماشطه في العجائب، الراج و الارتباح، الغرق و الشرق و... .

مؤرّخ آخر مهم ظهر في العصر الفاطمي و هو القضاعي (٤٥٧هـ(. فعلى الرغم من مذهبه الشافعي، فقد أسند الفاطميون إليه منصب القضاء. كان يحظى بالاحترام و التقدير عند الأئمة الفاطميين، و كان مؤتمناً و شغل أيضاً مناصب عديدة. كان يشارك في حلقة دروسه عدد كبير من المؤرّخين، و من أهم تصانيفه تواريخ الخلفاء و كتاب خط مصر.[1]

أعقب القضاعي مؤرّخ آخر هو ابن مأمون البطائحي له تصانيف كثيرة أشار إليها المقريزي لكنّها ضاعت جميعها. لا نعرف عنه إلّا القليل من المعلومات، و السبب في قلة المعلومات و تلف كتبه هو أنّ الفاطميين في هذا العصر كانوا في مرحلة الضعف و الأفول المستمر، و كان جلّ اهتمامهم المحافظة على سلطتهم و حكومتهم. بعد هذه الفترة، لم يدبّ الضعف في علم التاريخ فحسب، و إنّما سرى إلى بقية العلوم أيضاً حيث لم تظهر تصانيف يعتنى بها. و عليه، فإنّ ذروة تألّق حكم الفاطميين كان في القرنين الرابع و الخامس الهجريين، حيث ظهرت في هذه الفترة تصانيف عظيمة و خالدة.

٤. الشعر

حينما انتقل الفاطميون من المغرب إلى مصر، وضعوا جانباً سياسة الزهد و البساطة. كان التخطيط الدقيق و المدروس لمنظومة الدعوة الفاطمية في مجال السياسات الاجتماعية في مصر يعتمد على المعرفة التامة و الاهتمام الكافي بنفسية المصريين و أمزجتهم. فقد عُرف عن المصريين منذ القدم أنّهم أهل طرب و مجالس فرح و سرور. و لم يمنع تعدد مذاهب المصريين و أديانهم و تعدد الطبقات الاجتماعية من المشاركة العامة للناس في الاحتفالات و الأعياد و المراسيم الإسلامية مثل أعياد الفطر، و الأضحى، و النيروز، و المولد النبوي الشريف، و ليالي شهر رمضان، و أول و منتصف شهر رجب، و أول و منتصف شهر شعبان، و مراسيم الاحتفالات الشيعية مثل عيد الغدير و

---

١. حسين، محمد كامل، في ادب مصر الفاطميه، ص١٦٠ ـ ١٦١.

ولادة الإمام أمير المؤمنين علي، و ولادة السيدة الزهراء، و ولادة الإمام الحسن و الإمام الحسين و المراسيم الوطنية مثل عيد الخمسين و عيد غطاس و ميلادالمسيح... و غيرها.[1]

كان البرنامج الرئيسي و المشترك في جميع هذه الاحتفالات و المراسيم هو إنشاد قصائد الشعر التي تتناسب و المناسبة المقامة من أجلها.

ومن ناحية أخرى، كانت المنافسة الأدبية و المشاعرة الاستعارية بين الفاطميين و العباسيين من مجالات المنافسة بين الخلافتين القائمتين في البلاد الإسلامية. كان الشعراء الفاطميون في منافسة داخلية غرضها تطوير الشعر و توسيع تطبيقاته لتشمل المراسيم المتعددة على مدار السنة، و كذلك كانوا في منافسة خارجية مع الشعراء العباسيين. لقد أضفت أجواء المنافسة هذه رونقاً و تألّقاً على الشعر و زادته غنىً و قوة. و من هذه الأشعار يمكن الإشارة إلى قصائد تميم ابن المعز الخليفة الفاطمي الرابع.

كما كان الشعر أحد طرق جذب الناس إلى تعاليم المذهب الفاطمي. لقد استغلّت شبكة الدعوة الفاطمية الواسعة و المنتشرة في مختلف البلاد الشعر فوظّفته أحسن توظيف لغرض شرح عقائدها و الترويج لها بين الناس، و من هذا المنطلق كان بعض الشعراء يكافئون بمبالغ طائلة كهدايا و صلات شهرية.[2]

وكان العديد من الخلفاء الفاطميين له باع طويل في النظم، و نسبت إليهم الكثير من القصائد. و كون الخلفاء الفاطميون شعراء قد سهّل التواصل مع الشعراء و الاهتمام بهم، و تقرّب الشعراء للبلاط الفاطمي. و الوزراء الفاطميون أيضاً حتى عهد المستنصر كانوا من أهل الشعر و الأدب و حماة الشعراء و الأدباء.

مضامين الشعر في العصر الفاطمي و لا سيّما بين الشعراء المقرّبين للفاطميين كانت تدور حول محور الإمامة، و وصف و ترسيخ مشروعية الخلفاء الفاطميين. توجّه الأشعار هذه الوجهة زاد من

---

١. ماجد (عبد المنعم)، نظم الفاطميين و رسومهم فى مصر.

٢. المقريزى، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الاثار، ج٢، ص٢٧٨.



حدّة التنافس بين الفاطميين و العباسيين، و المزاعم بمشروعية خلافة كل من هاتين الخلافتين الإسلاميتين الكبيرتين. طبعاً لا ينبغي أن نستبعد عن أذهاننا أنّ هذه التوجهات كانت موضع ذمّ من قبل العباسيين، و كانت تتهم الفاطميين و أشعارهم بالغلو و الخروج عن الإسلام.

انمه دين الله منذ قام دينه انوار هذا الحق من قبل يخلق

بالإضافة إلى معظم الأئمة الفاطميين الذين كانت لهم قرائح شعرية، كانت لشعراء البلاط الفاطمي دواوين شعرية، و في هذه الأثناء، فإنّ تميم (٣٧٤هـ(ابن المعز الفاطمى كان أول الشعراء الفاطميين الكبار و مشاعراته التنافسية مع ابن الخليفة العباسي المعتز بالله مشهورة. هذا يدافع عن إمامة الفاطميين و مشروعيتهم، و ذاك يدافع عن خلافة العباسيين و مشروعيتهم.

في عهد العزيز، حيث أخذت الوزارة طابعاً رسمياً، كانت إحدى مهمات الشعراء ترسيخ هذه المكانة و اللقب ليعقوب بن كلس الوزير الفاطمي العالم و القوي.[1] الذي، علاوة على الشعر، كان يتمتّع بمواهب عديدة في مختلف العلوم، و كان يدرّس في الأزهر أو في بيته الخاص.

«و قد أخذ ابن كلس بقسط حسن في التأليف و الكتابة فوضع كتابا في القراءات، و كتابا في الفقه، و كتابا في آداب رسول الله، و كتابا في علم الأبدان و الصحة، و مختصرا في فقه الشيعة مما سمعه من المعز لدين الله. و هو المعروف بالرسالة الوزيرية. و كان يقرأ كتبه على الناس تارة بالجامع الأزهر و تارة بداره، و يجتمع لديه الكتاب و النحاة و الشعراء فيناظرهم و يصلهم».[2]

في العصر الفاطمي ظهر شعراء كثر أنشدوا قصائد عديدة في مدح أو ذمّ الوزراء و أصحاب المناصب العليا في الدولة، مثل ابو الرقعمق، و حسن بن خاقان و تميم بن المعز. و أحياناً كان الوزراء أنفسهم شعراء ماهرين مثل افضل ابن بدر الجمالى، و طلائع بن رزيك.

في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري و مع ظهور بدر الجمالي، بدأت قدرة الأئمة الفاطميين و سطوتهم تنحسر، و في المقابل زاد نفوذ الوزراء و تعزّزت سيطرتهم على الدولة. في

---

١. حسين، محمد كامل، فى ادب مصر الفاطميه، ص٢٣٣.

٢. الخفاجى، الازهر فى الف عام، ج١، ص٣٨.

عهد هذا الوزير و كذلك في عهد ابنـه، كـان الـوزير يـشكّل محـور جميـع المراسـيم و الاحتفـالات الفاطمية. الأمر الذي يفسّر نشوء معظم الشعراء و تزايـد نفـوذهم في ظـل الـوزارة و اهتمامهـا، و زادت قصائد المدح للوزير و الثناء عليه بوصفه وزيراً و رأس منظومة الدعوة. و في هذه الفترة تألّق نجم أبو على الانصارى و ظافر حداد.

من بـين الـشعراء الفـاطميين المـشهورين عـماره يمنـى الـذي دخـل مـصر و خـدم في بـلاط الفاطميين، و كان ذلك في أواخر عهدهم، و هو عهد ضعف الخلفاء و حركة الدولـة نحـو هاويـة الاضمحلال و السقوط. و على الرغم من كونه من أهل السنّة، إلّا أنّه أنشد قصائد كثـيرة في مـدح الخلفاء الفاطميين و الترويج للعقائد الفاطمية، من هذه الأشعار نذكر هنا هذه الأبيات:

ائمـــه خلقـــوا نـــورا فنـــورهم	مـن محـض خـالص نـورا لم يغـل
بـــاب النجـــاه هـــم دنيـــا و آخـــره	و جبهم فهوا اصـل الـدين و العمـل

أما أهم أشهر شاعر إسماعيلي، و من نواح عديدة أشهر من عمار يمنى، هو ناصر خسرو قباديـانى، الذي كان يحظى بمنزلة عظيمة في منظومة الدعوة الفاطمية، و له العديد من التصانيف في النثر و الـنظم يشرح فيها عقائد الإسماعيلية. و من مزايا شعره غلبة البعد الأخلاقي و الاجتماعي عليه.

النتيجة

كانت للفاطميين الإسماعيليين إسهامات وافرة في مجال العلـوم الإسـلامية، و قـد أوجـدوا تحـولاً عظيماً في العلوم الدينية، و تطوّرت تطوراً كبيراً. كان تطور العلـوم و توسّـعها في العهـد الفـاطمي ينحى منحى تصاعدياً ليس في المغرب وحده، بل في مصر أيضاً، و لكن خلال فـترة حكـم الأئمـة الخمسة الأوائل من الدولة الفاطمية فقط. في هذه الفترة و نظراً للمتطلبات الداخلية، و مقتـضيات التنافس مع الخلافة العباسية، بذلت جهوداً عظيمـة كـماً و نوعـاً في مختلـف العلـوم، و اسـتقطاب العلماء بمختلف الاختصاصات، و تأسّست مراكز علمية متعددة ذات وظائف متنوعة.

لم يكن الفاطميون يعيرون الفقه أهمية تذكر قبل تشكيلهم لدولتهم، و لكـن بعـد قيـام الدولـة

الفاطمية شعروا بالحاجة إلى الفقه بوصفه القانون. فكانت من منجزات هذه الدولة تأسيس المدرسة الفقهية الإسماعيلية على يد القاضي نعمان المغربي، و استمرارها إلى عصور لاحقة. من النجاحات الكبرى الأخرى التي حقّقها الفاطميون في مجال العلوم يمكن أن نشير إلى الإصلاح الجذري للمنظومة العقدية الإسماعيلية، و تعزيز بناها عبر الفلسفة و وضع منظومة جديدة هي عبارة عن خليط من النظام الأفلاطوني المحدث و تعاليم القرآن الكريم و السنّة المطهرة بهدف تعزيز المنظومة العقدية و زيادة مقبوليته من قبل المجتمع. و جدير بالإشارة إلى أنّ الفاطميين كانت لهم إسهامات أيضاً في سائر العلوم الأخرى مثل علم التفسير، القرائات، التاريخ و السيره، الشعر، النجوم، الفيزياء، الطب و طب العيون و غيرها، إلّا أنّهم كانت لهم اهتمامات جادة بالفقه و المعتقدات التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بهويتهم الدينية و مشروعيتهم السياسية، و أحدثوا تغييرات جذرية و أساسية في هذا الإطار.

من الخدمات الأخرى و المهمة في العهد الفاطمي في مجال العلوم الإسلامية، تأسيس العديد من المراكز العلمية مثل الأزهر و دار الحكمة و دار العلم و إقامة مجالس الحكمة و المناظرة و كذلك نشر التعليم في الأماكن غير الرسمية مثل منازل العلماء و القضاة. في الختام نقول، على الرغم من أنّ الكثير من التراث العلمي الفاطمي في مجال العلوم الإسلامية قد اندرس و تلف بسبب عدم الاهتمام بحفظ التاريخ و شراسة الأعداء بعد سقوط الدولة الفاطمية، و لكن مع ذلك وصلتنا مصنّفات نفيسة و قيّمة تثير الدهشة و الإعجاب لما تركته من تأثير كبير عل الكتب و المصنّفات الأخرى.



المصادر

١. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، *شرح نهج البلاغه*، مصحح: محمد ابو الفضل ابراهيم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٤هـ.

٢. ابن الطوير، ابو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني، *نزهه المقلتين في اخبار الدولتين*، اعاد بناءه و حققه و قدم له: سيد، أيمن فؤاد، شتوتغارت؛ فرانتس شتاينر، ١٤١٢هـ.

٣. ابن تغرى بردى، جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الاتابكي، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة*، مصر: و زارة الثقافة و الارشاد القومي، بلا تاريخ.

٤. ابن حماد الصنهاجي، ابو عبد الله محمد بن حماد، *تاريخ فاطميان* (ترجمه اخبار ملوك بنى عبيد)، ترجمة: حجت الله جودكي، طهران، ١٣٧٨ش.

٥. ابن زولاق، الحسن بن ابراهيم بن الحسين، *فضايل مصر و اخبارها و خواصها*، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهره، ٢٠٠٠م.

٦. جويني، عطا ملك بن محمد، *تاريخ جهانگشاى جويني*، تنقيح: قزويني، محمد، منشورات هرمس.

٧. حسين، محمد كامل، *في ادب مصر الفاطميه*، القاهره، دار الفكر العربى، ١٩٥٠م.

٨. الخفاجي، محمد عبد المنعم، *الأزهر في ألف عام*؛ بيروت: عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٩. دفترى، فرهاد، *تاريخ و انديشه‌هاى اسماعيلى در سده‌هاى ميانه*، ترجمه: بدرئى، فريدون، طهران: نشر فرزان، ١٣٨٢ش.

١٠. دفترى، فرهاد، *تاريخ و عقايد اسماعيليه*، ترجمه: بدرئى، فريدون، طهران: فرزان روز، ط٢، ١٣٧٦ش.

١١. رسالة جامعية لمرحلة الماجستير «وضعيت علمى مصر در دوره فاطميان».

١٢. السجستاني، ابو يعقوب اسحاق بن احمد، *كتاب الافتخار*، حققه و قدم له: اسماعيل قربان حسين پونا و الا، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ٢٠٠٠م.

١٣. عبادى، احمد مختار، *في التاريخ العباسي و الفاطمي*، بيروت: دار النهضه العربيه، بلا تاريخ.

١٤. القاضي النعمان، *ابوحنيفه النعمان بن محمد*، المجالس و المسايرات، بيروت: دارالمنتظر، ١٤١٧هـ.

١٥ . ـــــــــ ، *النعمان بن حيون المغربي التميمي*، افتتاح الدعوه، بيروت: دار الاضواء، ١٤١٦هـ.

١٦ . قبادياني، ناصر خسرو، *وجه دين*، اساطير، طهران، ١٣٨٤هـ ش.

١٧ . قره چانلو، حسين، *جغرافياي تاريخي كشورهاي اسلامي*، منظمة (سمت)، طهران: مركز تحقيق و تطوير العلوم الإنسانية، ١٣٨٠هـ ش.

١٨ . القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*، بيروت: دار الكتب العلمية، بلا تاريخ.

١٩ . كرد علي، محمد، *خطط الشام*، بيروت: مكتبه النوري، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٢٠ . ماجد، عبد المنعم، *نظم الفاطميين و رسومهم في مصر*، القاهره: مكتبه الآنجلو مصريه، ١٩٨٥م.

٢١ . المستوفي، حمد الله بن ابي بكر، *تاريخ گزيده*، طهران: امير كبير، ١٣٦٤ش.

٢٢ . معزي، مريم، *پيشگامان حكومتهاي شيعي تاريخ حمدانيان و فاطميان*، طهران: سمت، ١٣٩٠ش.

٢٣ . المقريزي، تقي الدين ابو العباس احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، *المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار*، بيروت: دار الكتب العلميه، ١٤١٨هـ.

٢٤ . المقريزي، ابو العباس تقي الدين احمد بن علي، *اتعاظ الحنفا باخبار الائمه الفاطميين الخلفا*، تحقيق: احمد العطا، محمد عبد القادر، بيروت: دار الكتب العلميه، ١٤٢٢هـ.

٢٥ . ناصري طاهري، عبد الله، *فاطميان در مصر*؛ قم: معهد دراسات الحوزة و الجامعة، ١٣٩٣ش.

٢٦ . ـــــــــ ، *مقدمه‌اي بر تاريخ سياسي اجتماعي شمال آفريقا*، طهران: و زارة الثقافة و الإرشاد الإسلامي، ١٣٧٥ش.

٢٧ . هاجسن، مارشال، *فرقه اسماعيليه*، ترجمة: فريدون، بدرئي، طهران، منشورات علمي فرهنگي، ١٣٦٩ش.

٢٨ . هالم، هاينس، *تشيع*، ترجمة: محمد تقي، اكبري، قم: نشر اديان، ١٣٨٤ش.

٢٩ . ويت، گاستون، *القاهره*، ترجمه: محمود، محمودي، منشورات علمي فرهنگي، بلا مكان، ط٢، ١٣٦٥ش.

٤

دور الشيخ جمال الدين فى نشر العلوم الإسلامية و قيام النهضة الاجتماعية فى افريقيا

محمدصفر الجبرئيلى[1]

١ . عضو الهيئة العلمية في الجامعة طهران.(بردیس فارابی)

الخلاصة

محاولة لشرح دور الشيخ جمال الدين الأفغاني في نشر العلوم الإسلامية في العالم المعاصر لا سيّما في شمال الصحراء الكبرى في أفريقيا، و تشمل هذه المنطقة كل من مصر و تونس و الجزائر و المغرب و السودان، و بتركيز أكبر على مصر، إذ خلال فترة إقامة الشيخ الأفغاني في مصر التي دامت ٨ سنوات (١٢٨٨ ـ ١٢٩٦هـ) استطاع أن يترك تأثيراً كبيراً في نواحي عديدة، على الأقل استطاع أن يربّي تلميذاً مثل الإمام المصلح الشيخ محمد عبده (١٣٢٤هـ) الذي تأثّر هو و شخصيات كثيرة أخرى في مصر بصورة مباشرة و غير مباشرة بأفكار الشيخ الأفغاني و نهجه الإصلاحي، و برزوا كمصلحين و إحيائيين دينيين لعبوا دوراً في ميدان السياسة و الاجتماع و العلم و الثقافة، على الرغم من النواقص و المثالب التي شابت مسيرتهم، طبعاً لم يقتصر دور الشيخ الأفغاني على بلاد معينة بل شمل رقعة جغرافية و اسعة و العديد من البلدان مثل إيران و مصر و الدولة العثمانية و الهند و العراق، و كانت أفكاره تضيء في كل من هذه البلاد بحسب ظروف كل بلد و أوضاعه. تسعى هذه المقالة بأسلوب و صفي تاريخي إلى شرح دور هذا المصلح الكبير في تأسيس المباحث الاجتماعية و السياسية و العلوم الدينية مثل التفسير و الإلهيات و العقائد و العلوم العقلية و الإنسانية، و طبعاً في الفصل الأول تتناول مباحث من قبيل جنسية الشيخ الأفغاني و مذهبه و خصوصياته و آرائه الفكرية.

الكلمات المفتاحية: الشيخ جمال الدين الأفغاني، الإسلام و القرآن، الاجتماع و السياسة، الإلهيات الاجتماعية.

الشيخ جمال الدين

هو السيد جمال الدين الحسيني الشهير بـ «الأفغاني» و «الأسد آبادي» ولـد في عـام ١٨٣٩م= ١٢٥٤هـ، و توفي في ١٨٩٧م =١٣١٤هـ، قيل فيه الكثير، قلّما تجد كتاباً في تاريخ الفكر السياسي و الاجتماعـي و الفكـر الفلسفي في عصرنا الحالي لم يتطرّق إلى ملامح هذه الشخصية و حياتها. لقد كتب الباحثون الإيرانيـون،[1] و الأفغان،[2] و المصريون[3] و الأوروبيون[4] كتباً و مقالات عديدة عن هذا المصلح الكبير، و لكن مع ذلـك مـا تزال هناك زوايا خفية كثيرة في حياة هذا الرجـل و يكتنفهـا الغمـوض و الإبهـام، فقـد رُمـي بكثـيرٍ مـن الاتهامات من قبيل «إيراني، وطني، شيعي، متعصّب، بابي (من الفرقة البابية)، بهائي (من الفرقة البهائيـة)، انتهازي يسعى إلى السلطة، مستبد، إرهابي، منافق، قصير النظر، ماسوني، يهودي، متـوهم، غـير واقعـي، متغرّب»،[5] بصرف النظر عن الخوض في هذه الاتهامات التي يشي جلّهـا أو كلّهـا بجهـل و عـدم معرفـة بأعماله و مؤلفاته، و عدم الأخذ بعين الاعتبار الظروف و اللحظة التاريخية و الجغرافية، و هواجس الـشيخ و طموحاته البعيدة أو ربما القسوة بحقّه و عدم إنصافه، أقول بصرف النظر عن كل هذه الاتهامـات، نريـد أن نستعرض بعض الملاحظات عن سيرته العلمية في هذه العجالة.

١. جنسيته

لقد أحاط غموض و اختلاف كبيرين بشخصية المترجم له، و بالأخص جنسيته و من أيّ بلد جاء.

---

١. كتب و مقالات و رسائل متعددة، من بينها مصنّفات السيد محمد محيط طباطبايى، و الـسيد هـادى خـسروشاهى، و الـدكتور كريم مجتهدى و... .

٢. من بينهم عبد الحى حبيبى، نسب و زادگاه سيدجمال الدين افغانى، كابل، مطبعة فيصل، ١٣٨٥و... .

٣. من بينهم الدكتور حسن حنفى، جمال الدين الافغانى، القاهرة، مكتبة الأسرة، بلا تاريخ و... .

٤. من بينهم السيدة نيكى آر.كدى استاذة في جامعـات أمريكـا و باحثـة في التـاريخ و الفكـر الإيـراني المعـاصر، و التـي قامـت بالتحقيق في شخصية السيد جمال لمدة عشر سنوات، و قد صدر كتابها أخيراً تحت عنوان «واكنشى اسلامى بـه امپرياليـسيم» (ردة فعل إسلامية على الإمبريالية) ترجمة: مريم السادات سيد كريمى، طهران، صمديه، ١٣٩٦هـ و... .

٥. انظر: حسن حنفى، جمال الدين الأفغانى، ص١٥ ـ ٢٠، عماد الدين باقى، معماى سـيد، مجلة مهرنامـه الـشهرية، العـدد٤٨، ص١٢٤ـ١٠٨.

فالبعض ينسبه إلى دولة أفغانستان، من قرية أسعد آباد من قراي كنر[1] و البعض الآخر يقول أنّه من إيران من مدينة أسد آباد في محافظة همدان.[2]

ولكن كلا الفريقين يتّفق على اسم والده و هو السيد صفدر ـ صفتر ـ و أنّه من السادة الحسينية الذين ينحدر نسبهم من الإمام الحسين بن علي، و أنّه ينتمي إلى أسرة علمية اشتهرت بالفضل و المنزلة الدينية و العلمية.[3]

والحقيقة إنّ هذا «الغموض» الذي أحاط بحياة السيد و سيرته هو الذي أدّى إلى بروز هذه الاختلافات، و لعلّه هو نفسه كان يسعّر من حدّتها، و ذلك لسعيه الدؤوب، و لعوامل مختلفة، لإخفاء هويته الأصلية في مراحل متعددة من حياته،[4] و أن يمحو كل الأدلة التي ربما كانت تعطي بما لا يشتهي و يرغب ذريعة بيد الآخرين، بحيث كلما كان يتحدّث عن حياته كان يغطّي على الحقيقة و يكتمها، و كان يعمد في أزمنة و أمكنة مختلفة إلى تغيير اسمه و جنسيته و حتى زيّه و مظهره الخارجي.[5] و ربما كان له في كل مناسبة أو مكان توقيع خاص يختلف عن الأماكن الأخرى، ففي كابل كان يعرّف عن نفسه بـ«الإسلامبولي» و في القاهرة «الكنري» و في أوروبا «الأفغاني» و في الهند «المصري» و في إيران «الهمداني»، و كان يختم رسائله بهذه العناوين.[6]

وطبعاً لم يكن تأثير سياسات الدولة العثمانية و الحكومة الإيرانية بمنأى عن ذلك، ففي أواخر

---

١. السيد محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام، ج١، ص٢٧؛ الوثقى مصطفى عبد الرزاق، مقدمة العروة، ص١؛ احمد امين، زعماء الاصلاح، ص٦٠.

٢. السيد محمد محيط الطباطبائي، سيد جمال الدين اسد آبادى و بيدارى مشرق زمين، ص٦٣؛ لطف الله جمالى و آخرون، زندگى و مبارزات سيد جمال الدين، ص٢٣ ـ ٢٥،٨٤.

٣. رشيد رضا، المصدر نفسه، ص٢٧، لطف الله جمالى، المصدر نفسه، ص٦٣.

٤. يعبّر حميد عنايت عن ذلك بـ«اللاوطنية»، تفكر نوين سياسى اسلام، ترجمه: ابو طالب صارمى، ص٣٥.

٥. كان يعتمر عمامة بيضاء في الهند و مصر أما في إيران فكان يعتمر عمامة السادة العلوية السوداء و في أسطنبول القبعة، و في روسيا الكوفية و العقال. كريم مجتهدى، سيد جمال الدين اسد آبادى و تفكر جديد، ص١٨.

٦. انظر: طباطبائى، بيدارى مشرق زمين، ص٦٨، ٢٤٣، ٢٤٣، ٢٥٣.

سنيّ عمره تمّ التضييق عليه بشكل كبير، حيث كان يعيش في أسطنبول حياة أشبه ما تكون بـالنفي و السجن و لكن مع الاحتفاظ بالحد الأدنى من المظهر التشريفاتي و البريستيج. و عنـدما رحـل عـن الدنيا شُيّعت جنازته دون أيّ مظاهر للاحتفاء و دُفن في صمت و هدوء، بحيث لم يشارك في التشييع سوى عدد قليل من أفراد الشرطة (الضبطية) و شخصية أو اثنتين من خواص السلطان عبد الحميـد الذين كانت تربطهم بالراحل علاقة معرفة.[1] و قد أمرت الدولة العثمانية الصحف المحلية بكتمان خبر وفاته و ألّا تكتب شيئاً عن الموضوع. في مصر فقط نشر خبر وفاته بطريقة عفوية تنمّ عن عدم اكتراث أو لامبالاة.[2] و لم يجرؤ أحد من محبيه أو ربائب مدرسته على إقامة مجلس لقراءة الفاتحة عـلى ذكـراه. حتى تلامذته و المقربين إليه مثل الشيخ محمد عبده مفتي مصر، و الزعيم المصري سعد زغلول باشا و اللقاني و الهلباوي في مصر تعاملوا مع خبر وفاته بفتور كأنّ شيئاً لم يحدث.

وفي معرض ردّه على رشيد رضا عـن سـبب عـدم إقامـة مجلـس للعـزاء عـلى روح الـسيد أو تكريمه، اعتذر الشيخ محمد عبده بأنّ الخبر وصل متأخراً و أنّه كان يشكو وعكة صـحية! و الحـال أنّه في نفس تلك الأيام نشرت صحيفة المقطم خبر وفاته على صفحاتها. و لكن يبدو أن الخوف مـن السلطة و الخلافة العثمانية قد فعل فعله و أدّى بالشيخ لأن يحتاط في جوابه.[3]

وعلى نفس المنوال كانـت الأوضـاع في إيـران، فهـذا أمـين الـضرب الـذي كـان يفخـر يومـاً باستضافته للسيد عندما حطّ رحاله في طهران،[4] صار يتنصّل من علاقته به لدرجة أنّه قـام بإخفـاء كل الأشياء و الوثائق و الكتب التي ائتمنه السيد عليها في صناديق مغلقة لتكون بعيـدة عـن عيـون القريب و الغريب، وبقيت هذه الوثائق متوارية عن الأنظار حتى عام ١٩٤٦ أي بعد نـصف قـرن عندما عثر عليها الدكتور يحيى مهدوي، و هو أستاذ بجامعة طهران، في قصر والـده و تـمّ التعـرّف

---

١. رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام، ج١، ص٩٣، ٩٤.

٢. المصدر نفسه، ص٩١.

٣. المصدر نفسه، ص٩٢.

٤. لطف الله جمالى، زندگى و مبارزات سيد جمال الدين اسد آبادى، ص ٥٠،٥١.

عليها طبقاً للشواهد و القرائن، و كانت تلك الصناديق تحتوي على جواز سفر سياسي و بعض الكتب و وثائق أصلية.[1]

وعلى أيّ حال، هناك باحثون كثر من غير الإيرانيين يعتقدون بأنّه إيراني،[2] و من دون أيّ تعصّب يمكن أن نستدلّ لإيرانيته بالاستناد إلى عدّة أدلة و شواهد[3] منها:

- جواز سفره الإيراني،[4]
- تردّده المستمر على إيران و علاقاته و صداقاته الكثيرة مع الإيرانيين المقيمين في الداخل و الخارج.[5]
- فقدان أيّ اسم أو أثر لأسرة السيد أو عشيرته في أفغانستان.[6]
- وجود دلائل و آثار كثيرة لأسرته و عشيرته في مدينة أسد آباد في محافظة همدان.[7]
- قيام الحكومة الإيرانية آنذاك بإثبات تابعيته الإيرانية في حياته.[8]
- التقارير الصادرة عن ممثل الحكومة الهندية و التي كان يعرب فيها عن قلقه من وجود

---

١. نشرت هذه الوثائق في عام ١٩٤٣م من قبل جامعة طهران تحت عنوان (مجموعة وثائق و مستندات غير مطبوعة حول السيد جمال الدين المشهور بالافغاني) بهمة السيد مهدوى و ايرج افشار، و من ثم أهديت النسخة الأصلية للوثائق إلى مجلس الشورى الوطني، وما تزال محفوظة هناك. انظر: طباطبائی، سيدجمال و بيدارى مشرق زمين، ص٤٩،٥٧،٥٨.

٢. انظر: آلبرت حورانى، تاريخ مردمان عرب، ص٤٣٥. نيكى كدى، واكنش اسلامى به امپرياليسيم، بررسى انديشه سياسى مذهبى سيد جمال الدين، ص٣١؛ ماجد فخري، سير فلسفه در جهان اسلام، ص٣٥٧. للاطلاع على نماذج أخرى انظر: طباطبائى، بيدارى مشرق زمين.

٣. لمزيد من الاطلاع انظر: نيكى كدى، المصدر نفسه، ص٣١ـ ٣٥؛ جمالى، زندگى و مبارزات،...، ص٩٥ ـ ٨٥. لنقد بعض هذه القرائن والأدلة انظر: محمد عماره، جمال الدين الافغانى، ص٢٣ـ٣٨.

٤. طباطبائى، بيدارى مشرق زمين، ص٥٨ ـ ٥٧،٢٤٥ ـ ٢٣٩، ٣٣٢.

٥. المصدر نفسه، ٧٥، ٩٢ ـ ٩٣؛ محمد البهى، الفكر الدينى فى مواجهة العصر، ص١٠٩.

٦. البهى، المصدر نفسه. سيد موسى شبيرى زنجانى، جرعه اى از دريا، ج٢، ص٣٧٢. يعلم بذلك أولئك الذين يعرفون أنّه كان تلميذاً لأساتذة مشهورين في أفغانستان (انظر: مخزومى، خاطرات الافغانى، ص٣٠؛ رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام، ج١، ص٢٨) لم يعرضوا أيّ اسم أو أثر عنهم.

٧. انظر: لطف الله جمالى، زندگى و مبارزات، ص٨٥ ـ ٩٥.

٨. طباطبائى، بيدارى مشرق زمين، ص٧٥ ـ ٧٦ ـ ٨٧.

شخص أجنبي يدعى السيد جمال الدين كمستشار لأمير أفغانستان.[1]

ـ التواصل السياسي و العلمي مع الحكومة الإيرانية و الشخصيات الإيرانية.[2]

٢. المذهب و المعتقد

كان هدف السيد هو إعلاء كلمة الإسلام و تطوّر المجتمع المسلم، و قد تخطّى في سبيل تحقيق هذا الهدف كل الحواجز و القيود، حتى أنّه آثر عدم التصريح بمذهبه. و كان في مجال العمل يؤمن باتحاد المذاهب الإسلامية و الانسجام فيما بينها، و في مجال التطبيق كان يعمل بمبدأ إسلام بلا مذاهب... .

يعتقد رشيد رضا و محمد المخزومي و آخرون بأنّه كان على المذهب الحنفي[3] بقرينة جنسيته الأفغانية و أنّه كان يقطن في أفغانستان و لطالما أشاد بشعبها الذي يدين في غالبيته بالمذهب الحنفي،[4] و ذلك في مقابل باحثين آخرين كانوا يصرّحون بتشيّعه.[5] و يطرحون دلائل و قرائن عديدة للبرهنة على هذا الأمر منها:

١. الاعتراف بإمامة الأئمة الإثني عشر: يقول السيد بعد ذكر النبي الأكرم و الخلفاء الثلاثة: علي بن أبي طالب أمير المؤمنين‌ الخليفة الحق هو و أولاده الأماجد... و قد لاحظت تاريخ الخلافة الحقة للأئمة فرداً فرداً إلى الإمام الحجة في كتب التواريخ.[6]

٢. حضوره في الحوزات العلمية الشيعية: لقد درس السيد في الحوزات العلمية بقزوين و

---

١. اطلاعات حكمت و معرفت، ج٥، ص٥٣.

٢. طباطبائی، المصدر نفسه،٧٣ـ٨٦

٣. انظر: رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام، ج١، ص٣٣؛ مخزومی، خاطرات الافغانی، ص٦٥. «اما مذهب الرجل فحنيفی حنفی». لم يعرّف السيد عن مذهبه إن كان سنياً أم شيعياً في أيّ مكان، و ربما كان يعتبر نفسه مسلماً حنيفاً طبقاً لما ورد في الآية الكريمة ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَ لاَ نَصْرَانِيّاً وَ لكِن كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً﴾ فاعتقد البعض أنّ ذلك دليلاً على أنّه على مذهب الأحناف.

٤. انظر: سيد جمال الدين، تاريخ الافغان، ص١٧٤.

٥. انظر: نيكی كدی، المصدر نفسه، ص٣١؛ آقابزرگ طهرانی، نقباء البشر فی القرن الرابع عشر.

٦. انظر: سيدجمال، تاريخ اجمالی ايران، ص٥٧.

طهران و النجف الأشرف، و في أحد المنقولات أنّه تتلمذ على الشيخ الأنصاري (١٢٨١هـ) و الملا حسينقلي همداني (١٣١١هـ).[١] في حين أنّ الذين يعتقدون بأنّه أكمل دراسته في أفغانستان لم يأتوا بأيّ أسماء أو آثار عن أساتذته أو زملائه على كراسي الدراسة.

٣. إحاطته أو قل إن شئت تخصصه في الفلسفة و لا سيّما الفلسفة الإسلامية بما فيها السينائية و الإشراقية و الصدرائية، ففي ضوء أوضاع الفلسفة في المدارس و المراكز العلمية لأهل السنّة، و على الأخص في تلك الحقبة الزمنية، يعدّ هذا دليلاً آخر على تشيّعه الإمامي، فقد تلقّى دروس الفلسفة في الحوزة العلمية بقزوين و طهران،[٢] و تربّى وفق التقاليد و العادات الشيعية الإيرانية، و عندما كان يقيم في مصر كان يدرّس الفلسفة في بيته لعدد محدود من الطلبة، في حين كان يُمنع تدريس الفلسفة في الأزهر لكونها بدعة بحسب اعتقادهم.[٣]

٤. ثناؤه على الميرزا الشيرازي كمرجع تقليد للشيعة و نائب الإمام المهدي عجّل الله فرجه.[٤]

٥. عند التعريف بنفسه للسلطات البريطانية كتب يقول: «إنّ شاه إيران و جميع وزرائه و السفراء و زعماء المذهب المقدس يعرفون مقامي الرفيع في المذهب، و يعتبرونني معلماً و مرشداً كبيراً للناس».[٥]

---

١. انظر: عبد الحي حبيبي، نسب و زادگاه سيد جمال الدين الافغانی، ص٦٥؛ لطف الله جمالی، زندگی و مبارزات...، ص٢٥ ـ ٢٩. مصطفى عبد الرزاق، مقدمه العروة الوثقى؛ محمد عماره، جمال الدين الافغانی، ص٤٦، ٤٧. ليس صحيحاً أنّه تتلمذ على الشيخ مرتضى الأنصاری انظر: سيد موسی شبيری زنجانی، جرعه ای ازدريا، ص٢٧٣

٢. انظر: عبدالحسين صالحی شهيدی مقالة: نقش مدرسه فلسفی قزوين در جنبش فكری سيد جمال، سيدجمال، جمال حوزه‌ها، ص٥٦١ ـ ٥٨٧؛ عبد الحی، حبيبی، نسب و زادگاه سيد جمال الدين الافغانی، ص٦٥.

٣. ماجد فخری، سير فلسفه در جهان اسلام، ص٣٦٣؛ رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام، ج١، ص٣٢.

٤. انظر: سيد جمال الدين، نامه‌ها و اسناد، ص١٨٦؛ ناظم الإسلام كرمانی، تاريخ بيداری ايرانيان، ج١، ص٨٨ ـ ٩٢؛ رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام، ج١، ص٥٦؛ بعض عبارات السيد في بداية الرسالة على النحو التالي:....الى روح الشريعة المحمديه، حبر الامه، بارقة انوار الائمه، اللسان الناطق عن الشرع المبين،....لقد خصك الله بالنيابة العظمى عن الحجة الكبرى. اقامة لدعامة العدل و انارة لمحجة الهدى.

٥. انظر: سيد جمال الدين، المصدر نفسه.

٦. تقصّيه للعلماء في البلاد الشيعية (إيران و العراق) و مراسلاته إليهم[١] و سعيه للقاء زعمائهم.[٢] و كان يخاطب علماء الشيعة خطاب عتاب، فيأمر و ينهى و ينتقد و يقترح، و يدافع عنهم في مقابل الحكام،[٣] و بدورهم، كانوا يعتبرونه مصلحاً نهض من بينهم.[٤]

٧. اعتراف عدد من مرافقيه ـ شيعة و سنّة ـ بتشيّعه.[٥] كما شهد البعض له بإقامته فريضة الصلاة مع المقدمات و الآداب الخاصة بالمذهب الشيعي.[٦]

٨. مكانة الشيعة و التشيّع في مصنّفاته و أفكاره تدلّل أيضاً اعتقاده بهذا المذهب، و من بين جميع المذاهب الإسلامي، يثني عل الشيعة الإمامية و أتباع الإمام جعفر الصادقعليه السلام و يصفهم بأنّهم «جمهور من المسلمين» و يصرّح بأنّ مجرّد تقليدهم الإمام الصادقعليه السلام و الإفراط في محبة أهل البيت و تفضيلهم الإمام عليعليه السلام على الآخرين لا يوجب خروجهم من جمهور المسلمين.

وفي عين اعتقاده بأفضلية الإمام عليعليه السلام على الخلفاء، كان يؤكّد على أنّ الخوض في مسألة أفضلية الإمام و إن كان مفيداً بعد وفاة النبي الأكرمصلى الله عليه وآله من أجل إحقاق الحق و إزهاق الباطل، و لكن طرح هذا الموضوع في هذا الوقت يوجّه ضربة لوحدة المسلمين و يشحن الأجواء بالفُرقة و

١. انظر: المصدر نفسه، القسم ٣، ٧. رسائل إلى علماء الشيعة.

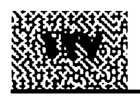
٢. طباطبائى، سيد جمال الدين، بيدراى مشرق، ص٩٠. لقد حاول السيد كثيراً أن يلتقي في سامراء بالميرزا الشيرازي، و لكن، لأسباب، لم يوافق الميرزا على لقائه.

٣. سيد جمال الدين، العروة الوثقى (ايران)، ص١٣٣ ـ ١٣٧؛ نفس المؤلف، نامه ها و اسناد، ص٩٦،٩٥؛ «نامه به حاج مستان مراغهاى».

٤. محمد رضا حكيمى، بيدارگران اقاليم قبله، ص٧٠ ـ ٧١؛ سيد جمال، مقابلة صحفية مع صحيفة بريطانية، اطلاعات حكمت معرفت، ج٥، ص١٠؛ ملاقات سيد ابو الحسن جلوه (١٣١٤هـ) من الحكماء الأجلاء في مدرسة طهران مع السيد جمال، ويدلّ على ذلك تأثره بكلامه وأسفه من إخراج السيد جمال انظر: مرتضى مدرسى، سيد جمال الدين و انديشه هاى او، ص٩٦ ـ ٩٧؛ حاج سياح، خاطرات حاج سياح، ص٣٣١.

٥. حكيمى، المصدر نفسه، ص٧٣ ـ ٧٤.

٦. لطف الله جمالى، زندگى و مبارزات، ص١٤٨ ـ ١٤٩.

البغضاء بل و سفك دمائهم، وهو لن يرضي، بأيّ حال، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ كما يتناقض مع روح القرآن الذي يدعو إلى أن يكون المسلمون كالبنيان المرصوص.[1] و عندما يناقش حديث «افتراق الأمة»[2] يقول، أنّه لم يثبت حتى اليوم من هي الفرقة الناجية، لأنّ كل فرقة تدّعي أنها هي الفرقة الناجية، ثم يستشهد بقول الفيلسوف الشيعي مير باقر داماد (١٠٤٠هـ) الذي يبرهن على أنّ «الإمامية» هي الفرقة الناجية، و أنّ سائر الفرق الإسلامية مثل أهل السنّة و المعتزلة... و غيرها هي من أمة الدعوة.[3]

إنّ عقيدة الشيعة في أفضلية الإمام علي ﷺ و أسبقيته على الآخرين في موضوع الخلافة تستند إلى قول النبي الأعظم ﷺ الذي يقول: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» و لما كان النبي الأكرم ﷺ مولى جميع الناس، فإذن علي أيضاً هو مولى جميع الناس.[4] كما يشيد السيد بالمبادئ السياسية للشيعة منها اعتقادهم بغصب الحكومات الملكية للحكم و عدم مشروعيتها، و لهذا السبب يعتبر المجتمع الشيعة أكثر تهيّؤاً و استعداداً للإصلاح.[5]

لعل ذكر هذه الملاحظة الظريفة تفيد في تسليط الضوء على التركيبة الفكرية للسيد. ينقل رشيد رضا عن رجل ثقة قوله:

«في السنوات الأخيرة من عمره كان يقضي أوقاته محبوساً و مراقباً من قبل البلاط العثماني، و كان في كل يوم عند الغروب يتمشّى في الحديقة القريبة من دار الخلافة، فجاء عباس حلمي ذات يوم للقائه، فوشى الجواسيس بحسب العادة خبر اللقاء إلى الخليفة، فقام باستدعائه على الفور و سأله: لماذا التقيت به؟ أتريد أنْ تجعلها عباسية؟ فردّ السيد: إنّ بني العباس قد انقرضوا و بنو علي أولى».[6]

---

١. انظر: مخزومي، خاطرات الافغاني، ص١٥٢ ـ ١٥٣.

٢. انظر: سيد جمال الدين، التعليقات على شرح العقائد العضديه، ص١٥٢ ـ ١٦٥.

٣. المصدر نفسه، ص١٥٥.

٤. المصدر نفسه، ص١٥٩. «و النبى مولا جميع الأمه».

٥. سيد جمال الدين، مقابلة مع صحيفة بريطانية، اطلاعات حكمت و معرفت، العدد ٥، ص١٠.

٦. رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام، ج١، ص٨٨.

٣. تصانيفه و مؤلفاته

لم يكن السيد مولعاً بالكتابة، و كان في العادة يكتب موضوعاته على شكل خطابة بطلاقة لسان و فصاحة بيان قلّ نظيرهما، أثناء التنزّه و مشيه في الغرفة، و كان الآخرون يكتبون ما يقول.[١] وتوزّعت كتاباته على الكتب و المقالات و الرسائل و التعليقات و التقريرات، و هي كما يلي:[٢]

ـ «العروة الوثقى» عبارة عن صحيفة كانت تعدّ و تصدر في فرنسا بدعم من جمعية تحمل نفس الاسم و كان يديرها السيد جمال[٣] مع الشيخ محمد عبده، و كانت ترسل مجاناً إلى الشخصيات و الأفراد في البلاد الإسلامية.[٤] و كانت مقالاتها تتناول بشكل عام موضوعات الفكر الديني و محاربة الأفكار المنحرفة مع التأكيد على وحدة المسلمين، و كانت تضع نصب عينيها ثلاثة مبادئ رئيسية هي: اتحاد المسلمين، معاداة الإنجليز، و إصلاح الأوضاع الداخلية في البلاد الإسلامية.[٥] استطاعت الصحيفة من خلال التأثير العميق و الواسع على المجتمعات الإسلامية بما فيها الشيعية و السنية، و العربية و غير العربية، أن تمارس دوراً فريداً في هذا المجال.[٦] و كانت أعدادها تشحّ و تنفذ بعد الصدور، و كان بعض القراء المهتمين يلجأ إلى استنساخ بعض نسخها، فضلاً عن أنّ بعض مقالاتها كان يترجم و يطبع في صحف إيران و الهند.[٧]

---

١. انظر: سيد جمال، مجموعة رسائل و مقالات، ص ٢٢١.(هامش)

٢. صدرت الأعمال الكاملة للسيد جمال من إعداد الدكتور محمد عماره تحت عنوان «الاعمال الكامله» في مصر و باهتمام و جهود حجة الاسلام و المسلمين السيد هادى خسرو شاهى ـ دام عزه ـ في كتاب من سبعة مجلدات (طبعة ايران) و ٩ مجلدات (طبعة مصر)، لمزيد من الاطلاع انظر: خسرو شاهى، مقدمه الاثار الكامله «العروة الوثقى»، ج١، ص ١٠ ـ ٢٧.

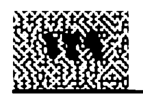
٣. صدر ١٨ عدداً منها في عام ١٣٠١هـ لمدة سبعة أشهر من ١٥ جمادى الاولى إلى ٢٦ ذى الحجه، وقد توقّفت عن الصدور بضغط من الحكومة البريطانية.

٤. كان السيد جمال يرسل الصحيفة مجاناً ليضمن وصولها إلى جميع الشرائح أميرها وحقيرها، غنيها وفقيرها. انظر: العروه، ص٩٩.

٥. السيد جمال الدين بيدارى مشرق زمين، ص٨٢.

٦. نفس المؤلف، تاريخ الاستاذ الامام، ج١، ص٣٣، و قد اخذت فى قلوب الشرقيين عموماً و المسلمين خصوصاً ما لم يأخذه قبلها وعظ واعظ و لا تنبيه منبّه...؛ طباطبايى، سيدجمال و بيدارى مشرق زمين، ص١٩٣، (رأي عبد القادر المغربي).

٧. طباطبائى، المصدر نفسه، ص٨٢، حميد عنايت، سيرى در انديشه سياسى عرب، ص٩٩.



كانت المجلة تتبنّى الأبحاث الفكرية بنظرة كلامية و هدف يتجاوز المتكلمين، و كان معظم مقالاتها يستند إلى أدلة صريحة من القرآن الكريم، و في حالات عديدة كان يستلهم من القرآن، و بشكل عام، فإنّ السمة البارزة لهذه الصحيفة العلمية هو استنادات المقالات إلى القرآن الكريم.[1]

كانت مضامين هذه الصحيفة تقوم على ثلاثة مبادئ: المبدأ الأول شرح الشرائع الإلهية للناس، و تبيين النظام الاجتماعي الإنساني و أسباب اعتلاء الأمم و سقوطها، و قوتها و ضعفها، المبدأ الثاني، التأكيد على أنّ أساس الدين الإسلامي يقوم على السياسة و الحكومة، و التي تجمع سعادة الدارين، و بالنتيجة فهو دين روحاني ـ اجتماعي يحتاج إلى القوة العسكرية لتطبيق شريعة العدل و هداية الناس و عزة الأمة لا لإجبار الناس على قبولها، المبدأ الثالث، لا يملك المسلمون جنسية غير دينهم، إنّهم إخوة، لا تفرّقهم بينهم القرابات أو اللغات أو الحكومات.[2]

ـ «الرد على الدهريين» أو «النيچريه»[3] و يعدّ أهم كتاب للسيد جمال الدين وقد كتبه للردّ على سؤال طرحه رئيس رابطة المسلمين في الهند، في هذا الكتاب ينتقد السيد جمال رؤية سيد أحمد خان و نهجه الفكري و يفنّد المادية و يحمل على نظرية داروين،[4] يعدّ هذا الكتاب إلى جانب صحيفة العروة الوثقى، من أهم المصادر التي يمكن بواسطتها التعرّف على أفكار السيد و طروحاته.

ـ «خاطرات الأفغاني ـ آراء و افكار ـ» و يجمع آراء و أفكار السيد ضمن مباحث مختلفة علمية و دينية و يصطبغ معظمها بصبغة كلامية و فكرية، تم تقريرها بقلم محمد باشا المخزومي في السنوات الأخيرة من عمره (١٨٩٢ ـ ١٨٩٧م) أثناء إقامته الجبرية في الأستانة بتركيا، و قد حصل المقرّر على إجازة من السيد لنشر هذه الخاطرات كما اختار العنوان بتوجيه منه،[5] و لكن لم تطبع إلّا بعد سنوات من وفاته و ذلك لأسباب معينة.[6]

---

١. انظر: حسن حنفى، جمال الدين الافغانى، ص٣٥ـ٣٦.

٢. المصدر نفسه.

٣. النص الأصلي للرسالة كان باللغة الفارسية، ثم ترجمها لاحقاً محمد عبده و عارف افندى إلى اللغة العربية.

٤. جيهان عامر، اسلام المصلحين، ص٦٣.

٥. انظر: مخزومى، خاطرات الافغانى، ص٢٦.

٦. انظر: حسن حنفى، المصدر نفسه، ص٣٤،٢٢؛ شيخ بو عمران، مسأله اختيار در تفكر اسلامى و پاسخ معتزله به آن، ص٤٠٠ـ٤٠٢.

- «التعليقات على شرح العقائد العضدية» النص الأصلي للكتاب هو للقاضي عضد الدين الإيجي (م ٧٥٦هـ).[1] قام بشرحه الملا جلال‌الدين محمد بن أسعد الدواني (٩٠٨هـ). اتّخذه السيدجمال الدين مادة لتدريس علم الكلام أثناء إقامته في مصر[2] و قد قام الشيخ محمد عبده بتقريره و تحريره.[3]

- الرسائل العربية من جملتها: العلة الحقيقية لسعادة الانسان، و المهدية و المهدي السوداني، و الحكومة الاستبدادية، و البابية، و الرد على رينان، و الاسلام و العلم، و مرآة العارفين[4] «تفسير سورة الحمد»، و «الوارادت في سرّ التجليات»، و «مباحث عرفانية»، و فلسفة التربية و فلسفه الصناعة، و العلم و تأثيره في الارادة و الاختيار.

- رسائل و مقالات فارسية مثل: نيچريه، اكهوريان يا رفتار و اخلاق نيچريان، تفسير مفسر، درباره دين و فلسفه، درباره تعليم و تربيت (تعليم و تعلم و فلسفه تربيت) سعادت انسان و... بالإضافة إلى رسائل إلى علماء الشيعة و التلاميذ و الأصدقاء و سلاطين و أمراء تركية، و إيران و مصر.

دور السيد في تأسيس و تطوير العلوم و الحركات السياسية و الاجتماعية

السيد جمال بوصفه شخصية مفكرة يمتلك الموهبة و النبوغ[5] و له شبكة واسعة من العلاقات مع مختلف الطبقات الاجتماعية في العديد من بلدان العالم، استطاع أن يشخّص الآفات و العيوب القائمة بين المسلمين و بين العلوم الإسلامية في عصره، و كان في نفس الوقت يحدّد الآليات الناجعة لمعالجة تلك العيوب، و التي من أهمها تشجيع العلماء المسلمين على العلوم الدينية و

١. كتابه الآخر هو «المواقف في علم الكلام» الذي قام بشرحه السيد شريف الجرجاني (٨١٦هـ) في ثمانية أجزاء.

٢. انظر: رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام، ج١، ص٢٦.

٣. البعض يعتقد أنّه من تأليف محمد عبده، بيد أنّ ثمة قرائن عديدة تقطع بنسبتها إلى السيد انظر: محمد عمارة، مقدمة التعليقات/ ١٤ ـ ٣٦، نفس المؤلف، الاعمال الكامله للامام الشيخ محمد عبده، ج١، ص ٢١٤ـ ٢٣٠. جبرئيلى، سير تفكر كلامى معاصر، ص١٠١ ـ ١٠٢.

٤. يشكك البعض في نسبتها إلى السيد جمال. انظر: بيدارگر عصر، ص٢٧، ٢٨.

٥. السيد موسى شبيرى زنجانى، جرعه اى ازدريا، ج٢، ص٣٧٣.



الإسلامية ضمن مقاربة وظيفية، و العودة إلى القرآن الكريم و الاهتمام أكثر من ذي قبل بمفاهيمه السامية، و تنمية و تطوير العلوم الإسلامية و تأسيس الحركات السياسية و الاجتماعية.

أ) الثقافة و المجتمع

١. العودة إلى الإسلام و القرآن الكريم

من المعلوم أنّ التعاليم الدينية تنطوي على خير الإنسانية و سعادتها، و أنّ المعارف الدينية تنسجم و تتناغم مع روح الإنسانية، و إذا ما تمّ تعريف حقيقة الدين بشكل صحيح، فسيكون أفضل و أنجع علاج للكثير من الأمراض و الآفات البشرية، و يجب على الزعماء و الحكام و علماء الدين بوصفهم أطباء المجتمع، أن يعملوا على تقديم الدين الصحيح و تعريفه بصورة صحيحة، و تشخيص الأشياء المضرّة، و تهيئة الناس لجهة الاستعداد العقلي، و أن يشرحوا المعارف و التعاليم الدينية بلغة منطقية و معقولة و مفهومة.[1]

من بين جميع الأديان السماوية تظلّ الشريعة الإسلامية هي الأكثر وضوحاً و صراحة و السبيل الأقرب للإنسان و ذلك لتطابقها مع الفطرة و العقل السليم.[2] إنّ أصول الإسلام و أحكامه لا تقتصر على البعد الروحاني و الأخروي أو التربية الباطنية و الروحية فحسب، و إنّما تتضمن هذه الأشياء مجتمعة، و هي تتكفل بجميع القوانين الاقتصادية و الحقوقية و السياسية و القضائية، و على عكس الأديان الأخرى التي تصرف كل جهودها نحو الحياة الأخروية، فإنّ الإسلام يهتمّ بحياة الناس في هذه الدنيا أيضاً، و في نفس يأخذ سعادة الدنيا و الآخرة في الاعتبار.[3]

ولو تمّ تعريف أحكام الإسلام و تعاليمه كما هي حقّاً في الواقع و كما أنزلت لا كما يطرحها

---

١. مخزومی، خاطرات الأفغانی، ص١٧٥ ... لو لم تكن تعاليمهم محض خير و موافقة لروح البشر و الانسانيه، لما اخذ التكاثر من تابعيهم رغم مقاومة المجموع و رغم الاضطهاد و القتل و الاستهزا و النفی و الصلب و كل انواع العذاب، حتى صاروا أمما و فتحوا ممالك....

٢. المصدر نفسه، ص٢٩٠؛ نفس المؤلف، رساله نيچريه، ص٥٧.

٣. المصدر نفسه، ص٣٢٤_٣٢٦.

المسلمون اليوم و يعرّفونها، لأضاء بنوره العالم كله، و لجعل منه أرض العدل و القسط.[1]

لقد وجد السيد في القرآن الكريم دواء المجتمع الإسلامي في عصره، و آمن بأنّ علاجه هو التدبّر في معاني القرآن الكريم و العمل بأحكامه.[2] كان يعتقد أنّه: «مادام القرآن يتلى بين المسلمين و هو كتابهم المنزل و امامهم الحق و هو القائم عليهم يأمرهم بحماية حوزتهم و الدفاع عن ولايتهم و مغالبة المعتدين و طلب المنعة من كل سبيل فإننا لا نرتاب في دعوتهم الى مثل نشأتهم و نهوضهم الى مقاضاة (مطالبة) الزمان ما سلب منهم فيتقدّمون على من سواهم في فنون الملاحمة و المنازلة و المصاولة حفظاً لحقوقهم و ضناً بأنفسم عن الذُل و ملّتهم عن الضَياع و إلى الله تصير الامور».[3] إنّ واجب العلماء و المفكرين هو شرح و تفسير آيات القرآن الكريم و إحيائه في نفوس المؤمنين و قلوبهم، إذ إنّ ثمرة ذلك هو رقي المجتمع المسلم و سؤدده و تعاليه[4]

٢. الدفاع عن العقلانية و العلم

تعمل الرؤى العقلانية و الإبداعات العلمية على التقوية الداخلية للمسلمين و في نفس الوقت تقدّم إجابات عن الأسئلة الخارجية الغربية، طبعاً مع الحذر ألّا يصبح المرء علموياً من فرط تماهيه في العلم، لذلك، انبرى السيد إلى توجيه النقد لسيد أحمدخان، كما ينبغي عدم التحدّث بلغة غربية، فتفشل الوحدة الدينية و السياسية للمسلمين، و تؤدّي إلى إطراءات انفعالية من قبل الأبطال الأوربيين.

٣. رائد التيار الفكري في العالم الإسلامي

لا شكّ في أنّ الشيخ جمال الدين الأفغاني أو السيد جمال الدين يعدّ المحرّك أو الملهم الأول للنهضات الإسلامية في العصر الحاضر، فقد كان أول من أطلق شرارة حركة الصحوة الإسلامية

---

١. المصدر نفسه، ص١٨٠.

٢. المصدر نفسه، ص٨٠.

٣. المصدر نفسه، ص٢٧٨. سيد جمال الدين، العروة الوثقى، ص٩١، ٤٤٥.

٤. المصدر نفسه، ص٢١٣. وفي الظن أن العلماء لو وعظوا الكافه بتبيين معانى القرآن. انظر: المصدر نفسه، ص٢٠٠.

في البلدان الإسلامية و لا سيّما في بلدان شمال أفريقيا و بالتحديد في مصر، و تركت أفكاره و آراؤه تأثيرها على جميع البلدان الإسلامية.[1]

والحقيقة إنّ نهضته كانت فكرية و اجتماعية في آنٍ معاً، فأحدث صحوة في فكر المسلمين و كذلك في منظوماتهم الحياتية،[2] و نفخ في طلابه روح النقد الاجتماعي، و أوقد شعلة الفكر الفلسفي في نفوسهم، و أثار في دواخلهم العزيمة على الثورة و مواكبة نهضة المجتمعات الإسلامية و فتح عيونهم على الأوضاع الفاسدة، و بعث هممهم لبذل الجهود الحثيثة من أجل التخلّص من نير الأجانب و الوقوف بوجه الاستبداد و الطغيان و الظلم.[3]

٤. احداث انقلاب في الأدبيات السائدة

استطاع السيد أن يخلق تحوّلاً جذرياً في مسار الأدبيات في مصر، فحوّل هذا المسار من استغلال الارستقراطيين و الارستقراطية و حدودها الضيقة المتمثلة في النفاق و تملّق الملوك و الأمراء، إلى خدمة الناس و الدفاع عن حقوقهم و النضال ضدّ الطغاة و المستبدين، و سعى إلى شنّ هجوم على الأعداء باستخدام هذا السلاح، ليردّ كيدهم إلى نحورهم. و بناءً على هذا، تبلور نمط جديد من الأدبيات قوامه جعل الشعب محور الاهتمام بدلاً من الحاكم. فحضّ على الحرية و السعي في طلبها، و تحدّث عن حقوق الناس و واجبات الحكام و مسؤولياتهم.[4] و في هذا السياق، عمل على تشجيع طلابه و أتباعه على كتابة المقالات الأدبية و الفلسفية و الدينية.

---

١. مطهري، مجموعه آثار، ج ٢٤، ص ٣٠ عنايت، سيرى در انديشه سياسى عرب، ص ٧٧؛ حسن حنفى، جمال الدين الافغانى، ص ١١؛ محمد البهى، الفكر الاسلامى الحديث و صلته بالاستعمار الغربى، ص ٧٤؛ ماجد فخرى، سير فلسفه در جهان اسلام، ص ٣٥٧؛ احمد امين، زعماء الاصلاح، آلبرت حورانى، تاريخ مردمان عرب، ص ٤٣٥؛ اجناس گلدزيهر، مذاهب التفسير الاسلامى، ص ٣٤٨ _ ٣٤٩؛ حامد الگار، نهضت بيدارى در جهان اسلام، ص ٣٧؛ شيخ بو عمران، مسأله اختيار در تفكر اسلامى، ص ٤٠ و ٤١؛ مارسل بوازار، انسانيه الإسلام، ص ٣٠٧؛ مصطفى عبد الرزاق، مقدمه العروه الوثقى، ص ١٤.

٢. مطهرى. مجموعة آثار، ج ٢٤، ص ٣٠؛ رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام، ج ١، ص ١٠٢.

٣. انظر: م.م شريف، تاريخ فلسفه در اسلام، ج ٤، ص ٩١. مصطفى عبد الرزاق مقدمة العروة الوثقى، ص ١، ٢. برهان غليون، ص ٨٠، احمد امين، پيشگامان مسلمان، ص ٤٤، جيهان عامر. إسلام المصلحين، ص ٥٥ _ ٥٦.

٤. احمد امين، المصدر نفسه، ص ٦٧ _ ٦٨.

٥. فضح الهيمنة الاستعمارية أمام الشعوب المسلمة

لم تكن الشعوب المسلمة قبل السيد جمال تعرف شيئاً اسمه الهيمنة الاستعمارية، لذا، فقد كان أول من طرح مفهوم الهيمنة الاستعمارية الغربية و بالتحديد الاستعمار البريطاني و بيّن معناه للناس، لا سيّما في إيران، و مصر، و تركيه، و الهند و بشكل عام في منطقة الشرق الأوسط و آسيا و أفريقيا، و من خلال شرح ما قام به المستعمر في البلاد الإسلامية نبّه الناس إلى هذه الحقيقة المرّة و دفعهم إلى التفكير بها،[1] و حذّر الجميع بألّا ينطلي عليهم مظهره الخداع حيث يأتيهم بلبوس المحبة و الصدق، فهو بهذا المظهر الخداع يخفي مقاصد خبيثة تتمثل في الإساءة للعقائد الإسلامية و النبي الأكرمﷺ و القضاء على الدين الإسلامي.[2]

٦. التأكيد على تعزيز و ترسيخ البنية الدفاعية للمسلمين

لطالما أكّد السيد على قضية الدفاع عن حياض الدين بمختلف أبعادها و عن المجتمعات و البلدان الإسلامية و خاصة في البعد العسكري. من وجهة نظره، لم يأمر القرآن الكريم المسلمين أن يكونوا على أهبة الاستعداد[3] ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَااسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ﴾[4] بهدف سفك الدماء و القتل، بل مجرّد إرهاب العدو و إلقاء الرعب و الخوف في قلوب أفراده كما تفصح عن ذلك تكملة الآية الكريمة ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ و عَدُوَّكُمْ﴾ لكي يرتدع الذين يفكّرون في شنّ الحرب و سفك دماء الناس.

والحقيقة إنّ زيادة العدّة و العديد و التجهيز و الاستعداد و تهيئة القدرات الدفاعية إذا كان بقصد إرهاب العدو و ليس الحرب و سفك الدماء فهو الوسيلة الأنجع و الأكثر تأثيراً لتلافي

---

١. سيد جمال الدين، العروه الوثقى، ص٢٠٣.... و حجبت بالجهل عن معرفه احوال الغربيين و صنائعهم و عوائدهم، فكان الشرقيون يعدون كل غريبه معجزه و كل بديع من الإختراع سحرا و كرامة فانتهز الإنجليز تلك الفرصه و اندفعوا الى الشرق و بسطوا سلطتهم على غالب أرجائه.... انظر: المصدر نفسه، ص٢٢١ ـ ٢٢٤؛ جيهان عامر، ص٥٦ ـ ٥٧.

٢. انظر: سيد جمال، المصدر نفسه، ص٤٤٥.

٣. انظر: سيد جمال، الرسائل و المقالات، العدد ٢، ص٤٨.

٤. الانفال،٦٠.

وقوع الحرب، و إذا كانت المستشارة الألمانية ميركل تصرّح اليوم بأنّ «أبطال الحرب لإبطال الحرب» فقد قالها القرآن الكريم قبلها بألف و ثلاثمائة سنة.[1]

وقد قالها السيد صراحة بأنّ أيّ تقاعس أو تقصير في تهيئة القدرات و تجهيز القوة الدفاعية سوف يؤدّي إلى ذهاب المُلك و الوقوع في أتون الأخطار، و قد أمر الله تبارك و تعالى من خلال الآية الكريمة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم﴾ أن تكون الأمة و الدولة الإسلامية على أهبة الاستعداد للقتال، و أناط بالناس حجم و مقدار تلك الاستعدادات في ضوء المقتضيات التي تتطلبها الظروف و الحاجة،[2] لقد شاء الله عزّ و جلّ أن تكون زمام المبادرة بيد المسلمين في القضايا العسكرية و الأمنية، و أن يكون في المرتبة الأولى على صعيد الدفاع. كما كان حالهم في القرون الخمسة الأولى من عمر الإسلام، لكنّهم، مع الأسف، تراجعوا فيما بعد و تقهقروا بعد أن ابتعدوا عن دينهم و أصوله، و غاصوا في وحل الخرافات و استسلموا للجبرية و تضادوا مع العقل فأصابهم الوهن و الضعف.[3]

٧. الردّ على الشبهات

إنّ انتشار الإسلام في أوروبا، و سيطرة الدين المسيحي و هيمنته و كذلك النشاطات التبشيرية المسيحية، كل ذلك وضع أمام الإسلام و المسلمين إشكالات و شبهات أثارها الأوروبيون، من أهمها تخلّف المسلمين و تراجعهم، و تحجّر الإسلام و ضعف المسلمين، و إجبار الناس على الدخول في الإسلام أثناء الفتوحات الإسلامية الأولى. و في المقابل، قدّم علماء المسلمين بمختلف مذاهبهم و تياراتهم و بلدانهم أجوبة متعددة على تلك الشبهات، و بدوره كان السيد جمال يطرح أجوبة مقارنة و وظيفية في مقالاته في صحيفة «العروة الوثقى» و كذلك في خطبه و كلماته التي كان يلقيها.

أ) في الردّ على الشبهة الأولى انبرى إلى شرح مزايا الإسلام و تفوقه النفسي و الذاتي، و راح

---

١. مخزومي، خاطرات الافغاني، ص ١٣٤-١٣٧.

٢. سيد جمال الدين، العروه الوثقى، ص ١٨٥ - ١٨٦.

٣. المصدر نفسه، ص ٩٠ - ٩١.

يقارنه بالمسيحية، و استنتج بأنّ الإسلام أقرب إلى الحضارة و العلم و التقدم مقدّماً العديد من الأدلة و الشواهد لدعم رؤيته هذه.[1]

التأكيدات المتكررة للنبي الأكرمﷺ على العلم و طلب العلم و تكريم العلماء كما ورد في المجاميع الحديثية مثل «اُطلبوا العلم و لو بالصين»[2] و «عَظِّموا مَنْ علَّمُكم كلمةً كَتعظيمكم آباءكم».[3] و قد أدّى ذلك إلى تأسيس المسلمين لحضارة عظيمة وصل شعاعها في القرن الثاني الهجري إلى قلب أوروبا ليساهموا في ازدهارها و إخراجها من ظلمات الجهل. و عندما كانوا يفتحون المدن و القرى، كان أول عمل يقومون به هو تأسيس مدرسة إلى جانب المسجد من أجل تعليم الناس و حثّهم على العلم.

تصدّرت المساواة بين الناس ـ و هي إحدى الأسس التي تقوم عليها الحضارة المعاصرة ـ المبادئ الإسلامية، حيث جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ و الْإِحْسَانِ﴾.[4] و كان النبي الأكرمﷺ يقول بأنّ «الناس سواسية كأسنان المشط».[5] و كان الإمام عليؑ صهر النبي الأكرمﷺ يكدّ و يعمل ليؤمّن قوت يومه، و كان عمر يصنع الطوب. كما أنّ مبدأ رعاية حقوق المرأة و صيانة مكانتها و قيمتها كان موضع اهتمام أكبر قياساً بما كان معمول به في المسيحية.[6]

ب) و في ردّه على شبهة انتصار الإسلام بقوة السيف، يقوم بتفسير معنى الآية الكريمة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا استَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ و مِن رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾،[7,8] و يؤكّد على الفرق بين الحروب التي تشنّ اليوم

---

١. انظر: نفس المؤلف، الرسائل و المقالات العدد ٣، ص٤٧ ـ ٥٣. مقالة: باب مايؤول اليه امر المسلمين فى المستقبل.

٢. متقى هندى، كنز العمال، ج١٠، ص٦٠، العدد ٢٨٦٩٣؛ محمد باقر المجلسى، بحار الانوار، ج١، ص١٦٤، ١٧٧، ١٨٠.

٣. سيد جمال، المصدر نفسه، ص٤٩.

٤. النحل، ٩٠.

٥. سيد جمال، المصدر نفسه، ص٥٠.

٦. المصدر نفسه، ص٥٠ ـ ٥١. للاطلاع على رأيه حول المرأة والأسرة، انظر: جبرئيلى، سيرى در تفكر كلامى معاصر، ص١٤٥ ـ ١٥

٧. الانفال، ص٦٠.

٨. انظر: مخزومى، خاطرات الافغانى، ص١٣٤ ـ ١٣٧.

في العالم و بين الجهاد في سبيل الدعوة إلى الدين. إنّ الهدف الرئيسي من الجهاد هو الدعوة إلى الدين و إعادة الخلق إلى الحقّ، و لم يأت هذا الحكم الإسلامي عن ارتجال أو تعجّل أو بلا مقدمات أو اعتباطاً أو اندفاعاً أو تهوراً، و إنّما حدث ذلك بصورة تدريجية عبر مراحل و عملية متواصلة حتى تكاملت مع بعثة الأنبياء أولو العزم.

لقد أنزل الله تبارك و تعالى في الماضي التوراة و الإنجيل على موسى و عيسى. بيد أنّ أتباع الديانتين عملوا على تحريف الشريعتين الموسوية و العيسوية و تغيير عقائدهما، فنتج عن ذلك حدوث اضطرابات عقدية و ظهور منظومات و مذاهب و فرق، و غشيت المجتمع الضلالة و التيه بسبب عبادة الأوثان، و في هذه الأثناء بُعث النبي الأكرم محمّد المصطفى الذي صدّق بالتوراة و الإنجيل الأصليين المنزّهين من التحريف،[1] و دعا الناس إلى الله الواحد الأحد، و هداهم إلى الخير و الصلاح و بشّر بتحقيق السعادة لعموم البشر تحت ظلّ شريعة سهلة سمحاء[2] و معجزة سماوية و حجة بالغة، عنيتُ «القرآن الكريم».

وقد تعامل مع المشركين المعاندين اللجوجين باللطف و المداراة، و الأمر بالمعروف و دعاهم إلى وحدانية الله تعالى بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي أحسن، و كم من مصائب عظيمة و شدائد تحمّلها و أصحابه مثل السخرية و الاستهزاء و العذاب و النفي و التعذيب... إلخ. لكنّ المشركين أصرّوا على عنادهم و معارضتهم، و أقاموا على شركهم و عبادة الأوثان التي كانت تعمّ بلواها المجتمع، و في آخر المطاف حذّر المشركين بأن يرعووا و يؤمنوا بالله الواحد و أن يحطموا الأصنام.

وفي تعاملهم الإيجابي مع أهل الكتاب ـ الموسويين و العيسويين ـ خيّرهم بين اثنتين، إمّا أن يدفعوا الجزية فيكونوا أحراراً في التمتّع بمقدرات الدنيا و شركاء مع المسلمين في هذه الحياة «له ما لهم و عليه ما عليهم» مع ضمان إقامتهم لشعائرهم الدينية و الالتزام بأصول عباداتهم و تقاليدهم

---

١. انظر: البقره، ٢٨٥.

٢. انظر: الحج، ٧٨... ما جعل عليكم من الدين من حرج؛ الكليني، الكافي، ٥، ص ٤٩٤. ... بعثني بالحنيفية السهلة السمحة.

بحرية دونما إساءة أو أذى. و إمّا أن يدخلوا في الإسلام و يشاركوا المسلمين في منافع الدنيا، و ثواب الآخرة، و الأمر الواضح في كلا الخيارين هو الحؤول دون سفك الدماء و المحافظة على كيان المجتمع من التدمير و الفناء، فضلاً عن هداية الناس نحو العبودية الخالصة لله الواحد، و تأسيس بنيان العدل و إعطاء كل ذي حق حقه بما تمليه أسس العدل. و لهذا، فأي بلاد فتحها الإسلام، أرسى فيها قواعد السلام و الأمن و العدل و المساواة، و نمت و تعاظمت في ربوعها الخيرات و البركات. و لا ننسى هنا بأنّ البلاد و المدن المفتوحة بالصلح أكثر بكثير من البلاد المفتوحة عنوة. هذا فضلاً عن أنّ عديد جنود المسلمين لم يكن شيئاً يُذكر في مقابل المخالفين و الأعداء الذين واجهوهم حتى يتمكّنوا بقوة السيف أن يسيطروا عليهم.[1]

من نافلة القول، إنّ تعامل الإسلام مع المخالفين لا يشبه أبداً ما حدث في حروب الغرب المتحضّر، فهو لم يعمل على توسيع هيمنته و نفوذه على البلدان المفتوحة بضمّها إليه أو استعمارها، و بالتالي وضع نير العبودية على رقاب شعوبها.[2]

ب) القرآن و التفسير

منزلة القرآن الكريم و مكانته في المنظومة الفكرية و السيرة العملية للسيد جمال جدّ رفيعة، فقد كان هذا الكتاب المقدس القاعدة و الأساس الذي شاد عليه أفكاره و آراءه، و كان يستلهم نظرياته و مقارباته من الآيات الكريمة، و لطالما استند إليها في العديد من المواقف، و قام بتفسيرها و تحليلها.

١. القرآن محور الحياة

لقد عني السيد بشكل خاص بالأبعاد الاجتماعية للقرآن الكريم و برامجه المؤثرة في جميع ميادين الحيادة الدنيوية و قدرته على حل معضلات المجتمع الإنساني المعاصر، فبذل جهوداً مضنية ليشرح بشكل فعال و قوي أهمية حضور هذا الكتاب العزيز في جميع زوايا الحياة البشرية. كان الشيخ يؤكّد

---

١. انظر: مخزومي، خاطرات، ص١٣٥ ـ ١٣٦.

٢. سيد جمال الدين، الرسائل و المقالات، ج٣، ص٥٠.



على أنّ القرآن هو كتاب دين و دنيا، و حياة و موت، و كفاح و مثابرة. و أنّ في تعاليمه و أحكامه الخير و السعادة، و اجتناب الشر و الويلات، لذلك لا عجب أن يموت المرء كمداً و حسرة حين يرى المسلمين و قد حبسوا تعاليمه الراقية و التي هي بمثابة كنز نفيس بين دفتي المصحف الشريف، و اكتفوا بتلاوته بألفاظ اللسان.[1]

ومن حيث أنّ البشرية لا تستطيع بالاتكاء إلى العلم وحده أن تبلغ مراقي الكمال و تكتشف أسرار الخلق، و أنّ من يزعم أنّه أحاط بخبايا الكون و أماط اللثام عن أسراره لمجرّد امتلاكه ورقتين أو ثلاث مهملة، فهو إمّا أن يكون قد ابتُلي بجهل مركّب، أو إنّه مصاب بالمالينخوليا. لذا فإنّ أيّ شخص و أيّ مجتمع أراد أن يطوي مدارج الكمال العقلي و الحياتي، فما عليه إلّا أن ينظر في ذلك الكتاب العزيز و يتبصّر فيه و يتأمله وينهل منه وينال حظّاً جديداً في كل يوم.[2]

من هذا المنطلق، كان يرى في القرآن الكريم الدواء الناجع لأمراض المجتمع المسلم في عصره، و أنّ طريق علاجه هو التدبّر في معانيه و العمل بأحكامه.[3] فمن وجهة نظره، «مادام القرآن يتلى بين المسلمين و هو كتابهم المنزل و امامهم الحق و هو القائم عليهم يأمرهم بحماية حوزتهم و الدفاع عن ولايتهم و مغالبة المعتدين و طلب المنعة من كل سبيل فاننا لا نرتاب فى دعوتهم الى مثل نشأتهم و نهوضهم الى مقاضاة (مطالبة) الزمان ما سلب منهم فيتقدّمون على من سواهم فى فنون الملاحمة و المنازلة و المصاولة حفظاً لحقوقهم و ضناً بانفسم عن الذُل و ملّتهم عن الضّياع و الى الله تصير الامور».[4]

---

١. مخزومي، المصدر نفسه، ص١٣٧.

٢. انظر: سيد جمال الدين، مجموعه رسائل و مقالات، ج٩، ص١١٠.

٣. مخزومي، المصدر نفسه، ص٨٠.

٤. سيد جمال، العروة الوثقى، ص٩١ـ٤٤٥. مادام القرآن يتلى بين المسلمين و هو كتابهم المنزل و امامهم الحق و هو القائم عليهم يأمرهم بحماية حوزتهم و الدفاع عن ولايتهم و مغالبة المعتدين و طلب المنعة من كل سبيل فإننا لا نرتاب في دعوتهم الى مثل نشأتهم و نهوضهم الى مقاضاة (مطالبة) الزمان ما سلب منهم فيتقدّمون على من سواهم في فنون الملاحمة و المنازلة و المصاولة حفظاً لحقوقهم و ضناً بأنفسم عن الذُل و ملّتهم عن الضّياع و إلى الله تصير الامور. انظر: المصدر نفسه، ص٤٤٥؛ مخزومي، المصدر نفسه، ص٢٧٨.



٢. نظرة شمولية إلى معارف القرآن

كان السيد يعتقد بأنّ القرآن الكريم «كتاب عزيز» أنزله الله تبارك و تعالى على نبيه المختار محمد المصطفى ﷺ و هذا الكتاب العزيز هو معلم الحكمة الأول للمسلمين، و أنّ معارفه و تعاليمه هي وصفة طبية شاملة لهذا العالم الواسع، بحيث أنّ كل شخص فيه حرف و كل نوع كلمة و كل جنس سطر و كل عالم صغير صفحة و كل حركة و تغيير شرح و حاشية.

بالإضافة إلى الظاهر، فإنّ للقرآن الكريم باطناً بل بواطن و مراتب عديدة لا حصر لها و لا نهاية. فلا يمكن للإنسان أن يحصي حروفه و كلماته و سطوره و صفحاته. فكل كلمة بل كل حرف يستبطن أسراراً و رموزاً كامنة، بحيث لو اجتمع جميع الحكماء الماضين و الحاليين و أُعْطُوا عمر نوح، و عمل كل منهم على حلّ ألف سرّ و كشف ألف سرّ في كل يوم، لما استطاعوا مع ذلك أن يحصوا تلك الأسرار، و لاعترفوا بقصورهم و عجزهم.

بعد الدعوة إلى توحيد الله و رسالة الأنبياء، ذمّ القرآن الكريم كل جهل و عمى و عمش و اتباع الظنون و الأوهام، و الانقياد للتقاليد و العادات، و في المقابل، امتدح كثيراً كل علم و حكمة، و معرفة و تدبّر، و تفكّر و تبصّر، و بيّن مفاسد الأخلاق الرذيلة و منافع الملكات الفاضلة بعبارات وافية و شافية و محكمة، و شرح أقوال الأمم السالفة و ذكر الجزاء الدنيوي للاستقامة و الاعتدال و العقاب العاجل للاعوجاج و الانحراف لأخذ العبر و الدروس، و بيّن أساس جميع القوانين المنزلية و المدنية الموجبة للسعادة المطلقة، و أوضح مضار الظلم و التعدّي الناجم عن التوحّش و التبرير، و على الرغم من اجتنابه، لأسباب عديدة، الولوج الصريح في دائرة المباحث العلمية، و الاكتفاء في حالات معينة بالتلميح و الإشارة، إلّا أنّ مضمونه لا يتعارض مع مفاد العلم الحقيقي، و ينسجم و يتناغم مع عموميات المباحث العلمية، و إنْ دَفَع تحجّر و جهل بعض المفسرين إلى اعتباره مخالفاً لكل مظهر من مظاهر العلم.[١] لقد زرع القرآن الكريم بآياته المحكمة أصول الفنون الحكيمة في النفوس

١. سيد جمال، مجموعة رسائل و مقالات، العدد ٩، ص١٣٧.

المطهرة، و بيّن للإنسان طريق الإنسانية،[1] و خاطبه بالقول أنّ كل ما على الأرض خُلق من أجلك، فلا ترتهب، ومتّع نفسك باللذائذ بما ينسجم و نهج العدل، و لا تحرم نفسك ممّا أنعم الله عليك من الطيبات، و قد وعد الكُمّل في العقل و النفس الصالحين أن يورثهم حكم الأرض.[2]

لذا فالعرب كانوا، بعبارة أخرى، بعيدين عن التمدّن، غارقين في البداوة و التخلّف، ساقطين في التوحّش و الهمجية، ثم انتقلوا ببركة الإيمان بالقرآن الكريم و التمسك به و الاستناد إليه من عالم الجهل إلى العلم و من العمى إلى البصيرة و من التوحش إلى التمدّن و من البداوة إلى الحضارة، و أدرك الاحتياجات في الكمال العقلي و النفسي و في المعيشة، و تدرّج في وادي الكمال، و زاد و نمّى أفكاره العلمية و العقلية، و سار في طلب الكمال و نيله، و باستلهامه من القرآن لم يصرف وجهه عن أيّ علم و هو يسعى إلى نيل كمال العقل و العلم، و في عين الشوكة و السطوة و العزة طأطأ رأسه أمام رعاياه من النصارى و اليهود و المجوس من أجل شرف العلم و رفعته و علوّ مقامه، و أظهر التواضع قبالهم، و استطاع عن طريقهم ترجمة الفنون الحكمية من الفارسية و السريانية و اليونانية إلى العربية.[3]

٣. تأسيس أو استخدام أسلوب التفسير الاجتماعي للقرآن

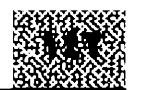
التفسير الاجتماعي هو أحد الاتجاهات التفسيرية في العصر الراهن، يسعى المفسّر من خلاله إلى طرح المباحث الاجتماعية بشكل معمق و واسع إلى جانب المباحث الفردية القرآنية، و التعاطي مع الآيات القرآنية من زاوية طرح المشاكل الاجتماعية للمجتمعات الإنسانية و بخاصة المسلمين و تقديم الحلول المناسبة لها، و أن يطبّق تعاليم القرآن الكريم على القضايا و المشاكل الاجتماعية، ثم يعرضها على القرآن الكريم و يستنطقه من أجل استنباط الحلول و المعالجات من آياته الكريمة، بعبارة أخرى، التركيز في هذا الاتجاه التفسيري يكون بشكل أكبر على الأحكام و المعارف

---

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه، ص١٠٨ ـ ١٠٩.

٣. المصدر نفسه، ص١٠٩.



الاجتماعية و الموضوعات التي تعنى بالأبعاد الوجوية للإنسان و التحولات التي يمرّ بها المجتمع، و الأهداف التربوية و إصلاح أحوال الإنسان و تشريع القوانين، هذا الاتّجاه التفسيري للقرآن إمّا أنّه لم يكن موجوداً قبل السيد جمال و إمّا أنّه كان نادراً، فأجواء الخمود السياسي و الاجتماعي و الجمود الفكري و الكلامي في العالم الإسلامي و على الأخص في مصر و بلدان شمال أفريقيا[1] لم يترك مجالاً للاهتمام بهذه القضايا و المباحث، حتى جاء السيد جمال بروحه الثورية و هواجسه في الكفاح ضدّ الاستعمار السياسي و الثقافي، و شمّر عن ساعد الجد و نفخ في العالم الإسلامي روح الرقي و التطور و بالتحديد في مصر هذا البلد العريق ذو التاريخ المشرق، و استطاع بخطبه و كتاباته أن يشيع هذا الاتّجاه التفسيري في صفوف طلابه، و ظلّ المفسرون شيعة و سنّة من بعده أوفياء لهذا النهج التفسيري على الرغم من الاختلاف في الأسلوب و الآراء و الأفكار، بل لعبوا دوراً حاسماً في تطويره ليبلغ مراتب جديدة من الكمال، و في هذا السياق يمكن أن نشير من أهل السنّة إلى دور محمد عبده (١٣٢٣هـ) في تفسير «المنار»، و جمال الدين القاسمي (١٣٣٢هـ) في «محاسن التأويل»، و محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ) في تفسير «المنار» و مقالات صحيفة «المنار»، و احمد مصطفى المراغى (١٣٧١هـ) في «تفسير المراغى»، و محمد طاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ) في تفسير «التحرير و التنوير»، و من الشيعة محمد جواد البلاغى (١٣٥٢هـ)، في تفسير «آلاء الرحمن» و السيد محمود طالقانى (١٣٩٩هـ) في تفسير «پرتوى از قرآن» (قبس من القرآن)، و مرتضى مطهرى (١٣٩٩هـ) في العديد من مؤلفاته من مقالات و خطب، و السيد محمد حسين الطباطبائي (١٤٠٢هـ) في تفسير «الميزان»، و ناصر مكارم شيرازى في تفسير «الأمثل»، و السيد على خامنئي في «الإطار العام للفكر الإسلامي في القرآن» بالإضافة إلى الآخرين من الشيعة.

يمكن أن نشير إلى الحالات التي تناول فيها السيد تفسير الآيات الاجتماعية وفق هذا الاتّجاه التفسيري مثلاً، وحدة المسلمين و فُرقتهم و تشتتهم،[2] و تعزيز العلاقات بين الدول الإسلامية،[3] و

---

١. احمد امين، زعماء الإصلاح.

٢. آل عمران، ١٠٥. نفس المؤلف، العروه الوثقى، ١٨٣، ١٩٢ ـ ١٩٤.

٣. آل عمران، ١٠٣، المصدر نفسه، ص٩٢ ـ ٩٥.

ضرورة المحافظة على الجهوزية الدفاعية،[1] و مصير الأمم و الشعوب،[2] و التربية و التعليم العام،[3] و سنّة الابتلاء و الامتحان،[4] و حكومة الصالحين في المستقبل.[5]

ج) تأسيس الإلهيات الاجتماعية

المقصود بالإلهيات هو الاستخدام العام لها في أوساط المعاصرين، و الذي يشمل المباحث و القضايا العقدية في المجالين القديم و الجديد، و حيث أنّ مصطلح «الكلام الاجتماعي» هو التعبير الآخر لها، كما أنّ الظرف «اجتماعي» ليس صفة للإلهيات أو الكلام حتى يتداخل مع «علم الاجتماع»، و إنّما المقصود هو «العقائد و التعاليم العقدية المعنية بالاجتماع الإنساني».[6]

لقد قصد المتكلمون المعاصرون بهذه الخطوة تحقيق ثلاث وظائف أو إيصال ثلاث رسائل هي:

أ) شرح التعاليم العقدية ضمن مقاربة اجتماعية تركّز على أبعادها و آثارها الاجتماعية.

ب) توضيح دور و مهمة المباحث و الموضوعات المهمة في المجتمع بالاستناد إلى المبادئ العقدية و الكلامية و استلهامها.

ج) الردّ على الأسئلة و الشبهات المثارة في المجتمع حالياً، الناجمة عن التحديات الاجتماعية في زمننا المعاصر.

صحيح أنّ الدين الإلهي و بنحوٍ خاص الإسلام هو دين اجتماعي يعنى بمختلف جوانب المجتمع، و لكن قلّما تمّ الاعتناء بهذه الأبعاد في المراحل التاريخية، مثلاً، من القرن الثامن إلى القرن الثاني عشر، فجاء

---

١. الانفال، ٦٠. المصدر نفسه، ص ١٨٥ ـ ١٨٦، مخزومي، خاطرات الأفغاني، ص ١٣٤ ـ ١٣٧.

٢. الرعد، ١١؛ المصدر نفسه، الاحزاب، ٦٢؛ مصر ١٠٧ ـ ١١٥.

٣. التوبة، ١٢٢؛ المصدر نفسه.

٤. العنكبوت، ٢ ـ ٣؛ المصدر نفسه، ص ١٧٨ ـ ١٨٠، ايران، ص ١٩٧ ـ ١٩٨ مصر.

٥. القصص، ٥؛ المصدر نفسه، ص ١٨٨ ـ ١٩٨، ٢٠٦ ـ ٢٠٨ مصر.

٦. انظر: السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان ١/ ١٨٥ فمن الواجب أن يحصل الباحث في المعارف الدينيه و تطبيق ما شرعه الإسلام على هيكل الإجتماع الصالح و المدنيه الفاضله تمام ما رامه الإسلام من الأصول و القوانين المنطبقة على الإجتماع كيفيه ذلك التطبيق (قد يُفهم من عبارة العلامة المصدر نفسه المعنى الأول للإلهيات الاجتماعية)

السيد جمال بعد فترة انتظار طويلة و استطاع من خلال تبنّيه للفكر الاجتماعي، أن يُظهر الأبعاد الإلهياتية و العقدية لهذا الفكر في المجتمع، و أن يعالج عبر هذا النهج، إلى حدّ ما، الفراغ الموجود في المجتمع.

١. وظيفية الدين و التعاليم الدينية

حاول السيد مطابقة الأفكار العلمية مع حقائق الحياة و المزاوجة بينهما. و أراد أن يوصل القضايا الجزئية الصغيرة في الحياة العملية و العلمية بعضها ببعض، و يجمع كل الأشياء في سلّة واحدة، و يفتح النوافذ فيما بينها، ليحصل على تركيبة موحدة و كيان واحد. بحسب وجهة نظر السيد، لا يمكن للتصوف، أو الفلسفة، أو العالم خارج الإنسان، و العالم داخل كل إنسان، لا يمكن لكل من هذه العناصر أن تحبس نفسها في غرفة مغلقة و تنقطع عن العوالم الأخرى، بل عليها جميعاً أن تتواجه و ترتبط فيما بينها و تتواصل، و أن تتحرك على إيقاع واحد و متوازن، في هذه الحالة فقط يمكن أن تنعقد الآراء الكونية البشرية بالشكل الصحيح، و ينزاح الكثير من الشكوك المؤلمة و التشديدات الصارمة المنهكة، حينها سوف يعرف الإنسان ما يضرّه و ما ينفعه، و يعرف كل شخص ما عليه فعله و ما عليه تركه.[1] هذا هو الشيء الذي استطاع أن يجذب الشيخ محمد عبده و الكثير من الطلبة إليه و يريحهم من سأم و ملالة دروس الأزهر و نمطيتها.

٢. أبعاد الدين و آثاره

في إطار شرحه لفضائل الدين ـ على الخصوص الدين الإسلامي ـ و مزاياه و منافعه، يعتقد السيد أنّ الأديان السماوية و منذ قديم الزمان أودعت في الإنسان ثلاثة مبادئ أو ثلاث خصال، و كل منها تمثّل، من جهة، قوام و ديمومة المنظومة الاجتماعية للأمم و الشعوب و حضارتها و رقيّها، و من جهة أخرى، القاعدة الصلبة و الأساس القويم و العنصر الفعال لدفع الشرور و الفساد الذي يقضي على الأمم و يذهب بها.[2]

---

١. المصدر نفسه، ص٦٥ ـ ٦٦.

٢. سيد جمال، المصدر نفسه، ج٩، مجموعه رسائل و مقالات، «رساله نيچريه»، ص٢٣، ٢٢؛ انظر: العروة الوثقى، ص١٠٥.

خصوصا دين الاسلام فهو الذي رفع امة كانت من اعرق الامم في التوحش و القسوة و الخشونة و سما بها الى ارقى مراقى



و المبادئ الثلاثة هي:

- النظرة السامية للإنسان و المتمثلة في كونه ملاك يمشي على الأرض و أشرف الخلائق؛
- اليقين بأنّ الدين هو الأكرم و الأسمى، و أنّ جميع الأمم، سوى أمته، على باطل و في ضلال مبين؛
- الهدف من الخلقة هو اكتساب الفضائل و من ثم الانتقال إلى عالم أفضل و أرقى بكثير و على جميع الصعد من هذا العالم.

إنّ الإيمان بهذه المبادئ ضمانة لسعادة الإنسان، فعندما يعرف أنّه أشرف الخلائق، سوف يترفّع عن ارتكاب السفاسف و الخبائث من أجل المحافظة على هيبته و وقاره و علوّ مقامه، و يبتعد عن الخصال الحيوانية، و تزداد حظوظه في الارتقاء إلى عالم العقل، و مع ارتقائه إلى عالم العقل، سوف يحلّق عالياً في سماء المدنية، و يحقّق لنفسه المدينة الفاضلة، و يكون أحد أربابها، فيكون ذلك حافزاً له للتعامل مع أخيه الذي لم يسعفه حظه للوصول إلى هذه المرتبة على أساس المحبة و الحكمة و العدل.

إنّ الإيمان بأفضلية الأمة بين سائر الأمم يدفعه إلى التسابق مع سائر الأمم ليفوز بنيل الفضائل العقلية و النفسية و الاجتماعية.

هذا المبدأ هو أسمى و أكبر و أقوى عنصر لنسابق الأمم الأخرى في المدنية، و نطلب العلوم و المعارف و الصنائع، و نسعى حثيثاً لتحقيق علو الكلمة و اضطراد الشرف.

إنّ الإيمان بنيل الفضائل و الانتقال إلى عالم آخر يدفع الإنسان إلى أن يزيّن عقله بالمعارف الحقّة و ينوّره بالعلوم الصحيحة، و يفجّر جميع قواه و مشاعره و يخرجها من كمونها إلى العالم، و يجاهد خلال سنيّ حياته لتهذيب نفسه و تزكيتها من أدران الصفات الرذيلة، و لا يقصّر في تصحيح و تقويم ملكاته، و يكون دائم السعي لكسب الثروة و المال من طرقه الصحيحة و الحلال لا عبر الكذب و الغش و الحيلة و الخيانة و البدعة و الارتشاء.[1]

ذكرنا بأنّ التعاليم الدينية تنطوي على خير الإنسانية و سعادتها، و أنّ المعارف الدينية تنسجم و

الحكمة و المدنية في اقرب مدة و هي الأمه العربيه.

١. المصدر نفسه، ص٢٢ـ٢٦

تتناغم مع الروح الإنسانية، و إذا ما تمّ تعريف حقيقة الدين بشكل صحيح، فسيكون أفضل و أنجع علاج للكثير من الأمراض و الآفات البشرية، و يجب على الزعماء و الحكام و علماء الدين بوصفهم أطباء المجتمع، أن يعملوا على تقديم الدين الصحيح و تعريفه بصورة صحيحة، و تشخيص الأشياء المضرّة، و تهيئة الناس من ناحية الاستعداد العقلي، و أن يشرحوا المعارف و التعاليم الدينية بلغة منطقية و معقولة و مفهومة.[1]

من بين جميع الأديان السماوية تظلّ الشريعة الإسلامية الأكثر وضوحاً و صراحة و السبيل الأقرب للإنسان و ذلك لتطابقها مع الفطرة و العقل السليم.[2] لا تقتصر أصول الإسلام و أحكامه على البعد الروحاني و الأخروي أو التربية الباطنية و الروحية فحسب، و إنّما تتضمن هذه الأشياء جميعاً، و تتكفل بجميع القوانين الاقتصادية و الحقوقية و السياسية و القضائية، و على عكس الأديان الأخرى التي تصرف كل جهودها نحو الحياة الأخروية، يهتم الإسلام بحياة الناس في هذه الدنيا أيضاً، و في نفس الوقت يأخذ سعادة الدنيا و الآخرة في الاعتبار.[3]

ولو تمّ تعريف أحكام الإسلام و تعاليمه كما هي حقّاً في الواقع و كما أنزلت لا كما يطرحها المسلمون اليوم و يعرّفونها، لأضاء بنوره العالم كله، و لجعل منه أرض العدل و القسط.[4]

الإسلام أفضل دين استطاع أن يقنّن العلم و المعرفة و الآداب و الأخلاق بين أتباعه على أحسن وجه، فعرب الجاهلية الذين كانوا يغطّون في بحر التوحّش و القساوة و الخشونة و الفُرقة و التحزّب و القبلية، استطاع الإسلام ببركة تعاليمه و في فترة قصيرة أن ينقلهم إلى طور الحضارة و الحكمة و الاتحاد و الوحدة، فراحوا ينقلون إلى ديارهم طب أبوقراط جالينوس و الهندسة

---

١. مخزومي، خاطرات، ص١٧٥... لو لم تكن تعاليمهم محض خير و موافقة لروح البشر و الانسانيه لما اخذ التكاثر من تابعيهم رغم مقاومة المجموع و رغم الاضطهاد و القتل و الاستهزاء و النفى و الصلب و كل انواع العذاب حتى صاروا أمما، و فتحوا ممالك و صار لاولئك الافراد و الشراذم دول.

٢. المصدر نفسه، ص٢٩٠؛ نفس المؤلف، رساله نيچريه، ص٥٧.

٣. مخزومي، المصدر نفسه، ص٣٢٤_٣٢٦.

٤. المصدر نفسه، ص١٨٠.



الإقليدية و علم الفلك لبطليموس و فلسفة أفلاطون و أرسطو.[1]

أربعة أشياء:

ـ محاربة الخرافات، الإيمان بالشرف الذاتي لجميع أفراد المجتمع في الوصول إلى أقصى مراتب الشرف.

ـ امتلاك الدلائل و البراهين المحكمة و اجتناب الظنون.

ـ ضرورة التربية و التعليم في إطار التعليم.[2]

ـ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.[3]

ومن خلال عرضه للأدلة و الشواهد و طبعاً مقارنة الإسلام بسائر الأديان، يعتقد السيد أنّ الإسلام يمتاز عليها في عدد من العوامل الرئيسية التي توجب سعادة أفراد المجتمع، منها:

أولاً: الإسلام يدعو إلى تجلية التوحيد و التنزيه من صدأ الخرافات و كدورة الأوهام، و أول تعاليمه هو أنّه لا يجوز للإنسان أن يعتبر إنساناً آخر أو أحد الجمادات العلوية و السفلية الخالق و المالك و القاهر و المعطي و المانع و المعزّ و المذلّ و الشافي و المهلك.[4]

ثانياً: لقد فتح الإسلام أبواب العزّ و الشرف أمام النفوس، و برهن على حق كل نفس في التماس الفضيلة و الكمال، و أزال شرف الجنس و الفئة، و جعل مزية الإنسان في الكمال العقلي و النفسي فحسب.[5]

ثالثاً: الإسلام هو الدين الوحيد الذي يذمّ الإيمان بدون برهان، و اتباع الظنون، و يبيّن للمؤمنين وجوب المطالبة بالبرهان في جميع الأمور، و يخاطب العقل في مواضع عديدة، و يبيّن بأنّ جميع السعادات هي ثمرة التعقّل و الوعي، و ينسب الضلالة إلى اللاعقل و عدم التبصّر.[6] لذلك

---

١. المصدر نفسه، ص٢٦٥.

٢. التوبة، ١٢٣.

٣. آل عمران، ١٠٤.

٤. المصدر نفسه.

٥. المصدر نفسه.

٦. المصدر نفسه.

نجد القرآن الكريم يقيم الحجة على كل أصل من أصول العقائد و يستدلّ له بأسلوب مفهوم للجميع، حتى أنّه يقرن ذكر معظم الأحكام بالحكمة منها و فوائدها.[1]

ثم يعقد مقارنة تفصيلية للأشياء المذكورة مع الأديان الأخرى، و يبرهن على أفضلية الإسلام و مزيّته عليها، و أحد الأمثلة على ذلك عقيدة «التثليث» كإحدى المبادئ الرئيسية في الديانة المسيحية، حيث عرف الجميع و سلّم بأنّها لا تنسجم مع أصول العقل، و لا يمكن فهمها إلّا إذا تخلينا عن العقل.[2]

وفي ردّه على السؤال: إذا كان الإسلام يحمل كل هذه المزايا فلماذا حال المسلمين على هذا النحو البائس و المحزن؟ يقول السيد إنّهم نالوا السعادة بسبب كونهم مسلمين، و التاريخ يشهد بذلك، و لكن طبقاً للسنّة الإلهية «لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم»[3] و لأنّهم عملوا على تغيير عقائدهم و أعمالهم، فقد حُرموا تلك السعادة،[4] و في بحث آخر، يرى أنّ أسباب و علل تخلّف المسلمين لا تعود إلى الإسلام و القرآن و الالتزام بالسنّة، بل إلى تركهما و عدم الاكتراث لهما.[5]

٣. القضاء و القدر و آثاره الإيجابية

إنّ الفرق الرئيسي و المهم بين القضاء و القدر و بين الجبرية من جهة، و الوهم الذي وقع فيه الغربيون و كذلك انحراف عامة المسلمين عن هذه العقيدة الإسلامية الأصيلة و القيمة من جهة أخرى، جعل هذه المسألة تكتسب أهمية كبيرة، و لذلك كتب السيد جمال رسالة قصيرة لكنّها تزخر بالمضامين المفيدة في صحيفة العروة الوثقى.[6]

---

١. المصدر نفسه.

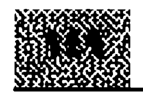
٢. المصدر نفسه، سيد جمال، رسالة نيچريه، ج٩، ص٥٧ ـ ٦٣.

٣. الرعد، ١١.

٤. رساله نيچريه، ص٦٣.

٥. مخزومي، خاطرات، ص٢٠٧.

٦. انظر: سيد جمال، العروة الوثقى، ص١١٢ـ١٢١ (ايران).



إنّ خلط بعض عوام المسلمين عقيدة القضاء و القدر بالجبرية مهّد لبعض المصائب و الكوارث التي حلّت على المسلمين في القرون الأخيرة.[1] و في المقابل يفنّد ما ذهب إليه الغربيين من أنّ السبب الوحيد وراء الفقر و الفاقة و التخلّف الذي يعانيه المسلمون في المجالات القضائية و السياسية و الأخلاقية و كذلك تشتتهم و تفرّقهم إلى فرق و نحل و مذاهب عديدة يعود إلى اعتقادهم بالقضاء و القدر الإلهي،[2] و يعلّل سبب تفنيده هذا الرأي بالأسباب التالية: أولاً، لا يؤمن أيّ من المسلمين و الفرق و المذاهب الإسلامية بالجبر المحض و سلب اختيارات الإنسان، بل إنّ جميعهم يؤمن بأنّ للإنسان إرادة و دور في أعماله و تصرّفاته.[3]

ثانياً، إنّ عقيدة القضاء و القدر تنسجم و فطرة الإنسان و طبيعته، و أنّ البراهين المحكمة و المستدلة أيضاً تشهد بذلك.[4] ثالثاً، هذه العقيدة آثار مهمة و قيمة على مختلف أبعاد الحياة الشخصية و الاجتماعية للإنسان. فهي تعزّز قوة الإرادة في داخله، و ترسّخ قواعد الأخلاق و الخصال الحميدة في أعماقه، و تعلّمه الشجاعة و الصبر.[5]

ويعتقد السيد بأنّ الإنجازات و الانتصارات التي حقّقها المسلمون و غير المسلمين رهنٌ بالإيمان بعقيدة القضاء و القدر الإلهية، مستنداً في ذلك إلى الحوادث و الوقائع التاريخية.[6]

---

١. المصدر نفسه، ص٩١ ـ ١١٩.

٢. المصدر نفسه، ص١١٣ ـ ١١٤.

٣. في العصور الإسلامية الأولى كان هناك فريق من المسلمين يعتقدون بالجبرية، و كانوا يقولون بأنّ الإنسان مكره على جميع أفعاله ولا اختيار له، و قد اندثر هذا الفريق و لم يبق له أثر في أواخر القرن الرابع الهجري. المصدر نفسه، ص١١٥.

٤. المصدر نفسه، ص١١٥؛ الاعتقاد بالقضاء يؤيده الدليل القاطع بل ترشد اليه الفطرة.

٥. المصدر نفسه، ص١١٦؛ الاعتقاد بالقضاء و القدر اذا تجرد عن شناعة الجبر يتبعه صفة الجرأة و الاقدام، و خلق الشجاعة و البسالة و يبعث على اقتحام المهالك التى توجف لها قلوب الاسود و تنشق منها مرائر النمور، هذا الاعتقاد يطبع الأنفس على الثبات و احتمال المكاره و مقارعة الاهوال و يحليها بحلى الجود و السخاء و يدعوها الى الخروج من كل ما يعز عليها بل يحملها على بذل الأرواح و التخلى عن نضرة الحياة كل هذا فى سبيل الحق الذى قد دعاها للاعتقاد بهذه العقيده.

٦. المصدر نفسه، ص١١٧ ـ ١١٩.

٤. آثار الإيمان بالمعاد

إنّ الإيمان بالمعاد له آثار و بركات وفيرة في هذه الدنيا. فالمؤمن بالمعاد يسعى إلى تزيين عقله بالمعارف الحقّة و تنويره بالعلوم الصحيحة، و أن يسخّر كل ما استودعه الله من قوى فاعلة و مشاعر عالية و خواص جليلة ليجد و يجتهد و يخرجها من كمونها إلى العالم و مسرح الشهود، و يجاهد خلال سنيّ حياته لتهذيب نفسه و تزكيتها من أدران الصفات الرذيلة، و لا يقصّر في تصحيح و تقويم ملكاته، و يكون دائم السعي لكسب الثروة و المال من طرقه الصحيحة و اللائقة، و أن يجتنب المكر و الكذب و الغش و الحيلة و الخيانة و البدعة و الارتشاء.

تشكّل عقيدة المعاد أفضل حافز للوصول إلى الحضارة و المدنية القائمة على المعارف الحقيقة و الأخلاق و الفضيلة، و أصلح مقتضى لقوام الهيئة الاجتماعية و مراعاة حدود المعاملات و الصلح و السلام في العلاقة مع الآخرين و اجتناب الشرور و البؤس و الشقاء.[١]

أضف إلى ذلك، إنّ الإيمان باليوم الآخر يوجب الأمانة و الصدق أيضاً، و إلى جانب المبادئ الثلاثة الأساسية و المهمة يمكن أن يجعل الهيئة الاجتماعية راسخة، و الأمم قويمة، و أساس الحضارة محكم، و يؤدّي إلى رقي الأمم و القبائل، و يدفع شرور الفساد.[٢]

وكما أنّ الإيمان باليوم الآخر يوجب الأمانة و الصدق، فإنّه يؤدّي إلى تبلور ملكة الحياء لدى الإنسان.

د) الفقه السياسي

من بين الخدمات التي قام بها السيد شرح ضرورة الدولة الدينية في العالم الإسلامي، حيث تناول مبدأ الدولة و أنواعها و أقسامها، و كذلك تحدّث عن طرحه لنموذجه الخاص عن الدولة الدينية طبعاً وفقاً للظروف و المقتضيات، بحسب رأيه، هناك فرق بين الدولة و الحكومة، فالحكومة شأن من شؤون الدولة و الحاكمية، و الدولة هي لأئمة الدين بينما الحكومة للعاملين.

---

١. نفس المؤلف، رساله نيجريه، ص٢٦ ـ ٢٧، ٥٥.

٢. المصدر نفسه، ص٢٣.



١. الدولة و الحكومة

يؤمن السيد بضرورة الدولة، إذ إنّ رفاهية الناس و استقرارهم و انتظام معيشتهم و حياتهم رهن بها، و في هذا الإطار يقسّم الدولة إلى ثلاثة أنواع «جمهورية» و «دستورية» و «مطلقة».[١] و يفضّل السيد الدولة «الجمهورية» على الرغم من قوله بأنّ الظروف الفكرية و الثقافية السائدة في الشرق و العالم الإسلامي من بينها الهيمنة الاستعمارية طويلة الأمد تحول دون قيام النظام الجمهوري و شرح جوهره و شروطه و مزاياه و فوائده،[٢] و يتابع فيقسّم الدولة الاستبدادية إلى ثلاثة أنواع.[٣] و في نهاية المطاف يستقر رأيه على دولة الحاكم العالم الحكيم الماهر الخبير المدبّر و المتبصّر، و طبعاً يؤكّد على أنّ من مقتضيات هذه الدولة التمهيد لمقدمات و أسباب العلوم و الصناعات. و ديمومة هذه الدولة و ثباتها رهن بأن يحظى القانون الشرعي بالكمال و الجامعية و أن يكون قوامه العدل و الإنصاف. يجب على المسؤولين في هذه الدولة أن يكونوا قانونيين و أمناء و عدول و واعين و ثاقبي البصر و أن يتحلّوا برهافة الحس، و أن يكونوا متبصرين و خيّرين.[٤] و بالنتيجة فإنّ هذا النمط من الدول جمهوري بنحوٍ ما، و ذلك لأنّه يسعى لتحقيق أهداف و شروط الحكم الجمهوري.[٥]

٢. الدولة الدينية

لقد أكّد السيد في مواضع عديدة على ضرورة الدولة الدينية، و أنّ الدولة هي من مقتضيات الدين، و لا يتسنّى تطبيق الأحكام إلّا في ظلّها.[٦] و نستنتج من هذا أنّه بالقطع يؤيّد الحكومة الدينية، و يعارض الاستبداد المطلق و السلطة الفردية. و يحثّ على ضرورة التشاور مع الشعب و ممثليه، و

---

١. نفس المؤلف، رسائه نيچريه، ج٩، ص٢٩.

٢. نفس المؤلف، الرسائل و المقالات، ش٣، ص٥٧ ـ ٥٨.

٣. المصدر نفسه، ص٥٩.

٤. المصدر نفسه، ص٦٢ ـ ٦٣.

٥. انظر: المصدر نفسه، ص٥٨ و ٦٣.

٦. انظر: نفس المؤلف، العروة الوثقى، ص١٤٢ نامه‌ها و اسناد، العدد ٨، ص١٤.

ينيط بهم دوراً مهماً يصل إلى حدّ انتخاب الحكومة و العاملين فيها. و يبدو أنّه طرح نموذجين للدولة الدينية القائمة على رأي الشعب، النموذج الأول، خاص بعالم أهل السنّة، و قد بيّنه في صحيفة «العروة الوثقى» و بعض مقالاته، و النموذج الثاني هو للعالم الشيعي، و منه إيران، و قد شرحه في مراسلاته إلى العلماء و مراجع التقليد آنذاك.[1]

الدولة التي كان ينظّر لقيامها في عالم التشيّع هي الدولة الدينية القائمة على مبدأ ولاية الفقهاء و علماء الشريعة،[2] طبعاً كان يعتبر العلماء جميعاً مسؤولين، لكنّهم ليسوا على درجة واحدة من حيث المستوى العلمي و الزعامة و الوجاهة بين الناس، أضف إلى ذلك أنّهم غير مستعدين لأن يتآلفوا و ينسجموا بعضهم مع بعض ليشكّلوا وحدة حقيقية و قوة اجتماعية تستطيع أن تنهض بمهمة دفع شرور العدو و صيانة البلاد من الأخطار،[3] و من ناحية ثانية، لم يكن يؤيّد نظام الشورى للعلماء، و لذلك كان يؤكّد على ضرورة أن يتصدّى واحداً منهم لهذه المهمة، حيث أناط الله سبحانه و تعالى هذه المهمة في عصر الغيبة بمجتهد واحد جامع للشروط.[4]

أحد أهداف و مقاصد الدولة الدينية صيانة بيضة الإسلام، و حراسة الحقوق العامة للناس، و إنقاذ الدين و المجتمع من السقوط و الهلاك و الفناء،[5] و لا يوجد هدف، من وجهة نظر الشريعة، أكبر من صيانة بيضة الإسلام، و إنّ العلماء أولى من بقية الناس للقيام بهذه المهمة.[6]

٣. شروط الحاكم الديني

يؤكّد السيد على ضرورة أن يكون العالم الذي يضطلع بهذه المسؤولية مخالفاً لهواه، و ملمّاً بوقائع

١. انظر: نفس المؤلف، نامه‌ها اسناد سياسى ـ تاريخى في ثمانية أجزاء، القسم ٣، ست رسائل إلى علماء الشيعة.

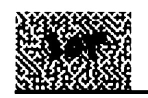
٢. لمزيد من الاطلاع على الشواهد والأدلة انظر: داريوش رحمانيان مقالة: سيد جمال و انديشه حكومت اسلامى، اطلاعات حكمت و معرفت، العدد ٥، ص٢٠ ـ ٢٣.

٣. انظر: سيد جمال، المصدر نفسه، ص٦٦.

٤. انظر: المصدر نفسه، ص٦١، ٦٣ ـ ٦٤.

٥. انظر: المصدر نفسه، ص٧٩.

٦. انظر: المصدر نفسه، ص٨٤.

عصره، فلا يصاب بالغفلة و لا ينبهر بحوادث الأيام، صائناً للشريعة، قلبه و روحه مفعمان بالشريعة الإلهية، بحيث يطرد عن نفسه الهوى و الشقاق و الخلاف.[1]

رئيس الدولة هو من يطبق القانون و اللوائح و أحكام الدين، و يجب انتخابه بإذن العلماء الورعين و بالتشاور مع الصالحين و المخلصين من الشعب و الملمين بالسياسة الإلهية الذين ينتخبون من قبل فئات خاصة، و من ثم يؤدّي القسم القانوني بحضور الشعب و العلماء، و من تتم المصادقة على انتخابه.[2] يجب ألّا يقوم بأيّ عمل من دون إذن العلماء الورعين،[3] و إذا ابتعد المسؤول و رئيس الدولة عن واجباته و مسؤولياته المناطة به و اتجه نحو الاستبداد و الحكم الفردي، فمن واجب الحاكم الديني عزله، و أن يعلن حرمة طاعته من وجهة نظر الدين، و على الشعب الامتثال لهذا الحكم و الالتزام به.[4]

ومن الشروط الواجب توفرها في رئيس الدولة، و حسن التدبير و، القدرة على التنفيذ، و العلم و القدرة و الشعور بحب الوطن،[5] و من مسؤولياته المناطة به بسط العدل و المساواة،[6] و الحؤول دون الاحتكار، و تسهيل وسائل الاتصال،[7] منح حرية المطبوعات بصورة مشروطة[8] و التمهيد للتربية و التعليم العام،[9] منع الاعتداء على الحدود الشرعية،[10] و الأهم من كل هذا، تأمين الناس على أرواحهم و أموالهم،[11] و غير ذلك من المسؤوليات.[12]

---

١. نفس المؤلف، نامه ها و اسناد، العدد ٨، ص٦٩ ـ ٧٢.

٢. المصدر نفسه، ص٨٦.

٣. المصدر نفسه.

٤. المصدر نفسه، ص٧٢، ٧٩ ـ ٨٠، ٨٤، ٨٥.

٥. المصدر نفسه، ص٩٦، ١٠٠؛ العروة الوثقى، ص١٥٣ ـ ١٥٤.

٦. المصدر نفسه، ص٩٨.

٧. المصدر نفسه، ص٩٦ ـ ٩٨ ـ ٩٩؛ العروة الوثقى، ص١٥٣.

٨. المصدر نفسه، ص١٠١.

٩. المصدر نفسه، ص٨٨.

١٠. المصدر نفسه، العروة الوثقى، ص١٥٣. يوقفون الرعيه عند حدود الشريعه.

١١. المصدر نفسه، نامهها و اسناد، ص٩٩.

١٢. انظر: العروة الوثقى، ص١٥٣ ...لا صيانة بها و لاحراسة الآن يتناول عمالها رجال ذوو خبرة و اولو راى و حكمة

ه) إحياء و نشر العلوم العقلية

١. تدريس الفلسفة

أثناء فترة إقامته في مصر، كان السيد يجمع في بيته المستأجر بعض الطلاب و علماء الأزهر مثل الشيخ محمد عبده و الشيخ عبد الكريم سلمان و الشيخ إبراهيم لقاني و بعض الشخصيات مثل سعد زغلول و إبراهيم الهلباوي و يدرّسهم كتب الكلام و الفلسفة و المنطق و التصوف و علم الفلك، و من هذه الكتب: شرح العقائد العضدية للمحقق الدوانى، و شرح الشمسية في المنطق، و الاشارات، و الهداية، و الشفاء، و حكمة العين و حكمة الاشراق، في الفلسفة، و كذلك كتب و نصوص في علم الفلك و النجوم.[١]

هذا، فضلاً عن إلقائه دروس غير منتظمة في موضوعات شتى عندما كان يزوره أحد في بيته، أو عندما كان يزور بعض الشخصيات المرموقة، أو حتى أثناء حضورة في المقاهي ويجتمع فيها أهل الفكر و الثقافة، و يتجمهرون حوله، أو في أي اجتماع يعقد في مناسبات معينة.[٢] و من بين الطلاب الذين كانوا يحضرون هذه الندوات أو الجلسات محمود سامى البارودى، و عبد السلام المويلحى، و ابراهيم المويلحى، و سليم النقاش، و اديب اسحاق و... غيرهم.

٢. ضرورة علم الفلسفة

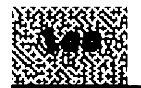
يعتقد السيد بأنّ لكل علم موضوع خاص،[٣] و يرى، في نفس الوقت، ضرورة الترابط بين العلوم. فكل علم بمثابة عضو لشخص العلم، و لا يمكن لأي من العلوم أن يحافظ على نفسه بشكل منفرد و مستقل،

يتعهدونها بالاصلاح زمن السلم و يستعملونها فيما قصدت له زمن الحرب و ليس بكاف حتى يكون رجال من ذوى التدبير و الحزم و اصحاب الحذق و الدراية يقومون على سائر شؤون المملكة يوطئون طريق الرعية عند حدود الشريعة، ثم يراقبون روابط المملكة مع سائر الممالك الاجنبية ليحفظوا لها المنزلة التى تليق بها بينها. انظر: المصدر نفسه، ص١٥٤ ـ ١٥٥.

١. رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام، ج١، ص٢٦؛ احمد امين، زعماء الاصلاح، ص٦٤ ـ ٦٥.

٢. المصدر نفسه، ص٣٥؛ المصدر نفسه، ص٧٢؛ خاطرات الافغانى.

٣. المصدر نفسه، ١٣٠.



و أن يكون نافعاً للعالم البشري... فإذا انفرد العلم و استقلّ فلن يحصل فيه أيّ تطوّر و لن يدوم.[1]

شرط هذا الترابط وجود علم يكون بمثابة الروح الجامعة الكلية لجميع العلوم، يقوم بصيانة وجودها، و يكون كل علم هو نفسه سبباً في بعض الأحيان لتطبيق و رقي كل علم من تلك العلوم، فيكون هذا العلم الروح الجامعة و القوة الحافظة و العلة المبقية. هذا العلم هو علم الفلسفة و الحكمة.[2]

تبحث الفلسفة في أحوال الكائنات الخارجية، و تبيين عللها و أسبابها و لوازمها و مستلزماتها،[3] و توضّح اللوازم البشرية، و تكشف عن الحاجات إلى العلوم، و تطبّق كل علم في مظانه التي تليق به، و إذا غابت الفلسفة عن أمة من الأمم، و كان جميع أفراد تلك الأمة علماء في علوم ذات موضوعات خاصة، فمن غير الممكن أن تدوم تلك العلوم في الأمة لقرن واحد، و لا يمكن لتلك الأمة أن تستخلص النتائج من تلك العلوم من دون «الروح الفلسفية».[4]

٣. وجود الروح الفلسفية

يميّز السيد جمال بين الفلسفه ـ بوصفها علماً خاصاً ـ و بين الروح الفلسفية المنبثقة عن الدين الإسلامي و التي تستلهم من التعاليم الإلهية، و يمثّل القرآن الكريم النسخة الجامعة لها،[5] و ذلك لأنّ المسلمين في عصر صدر الإسلام على الرغم من أنّهم لم يكونوا يحملون أيّ علم أو معرفة، لكنّ الدين الإسلامي نفخ فيهم روح الفلسفة، و بفضل تلك الروح الفلسفية كانوا يبحثون في الأمور العامة للعالم و اللوازم الإنسانية، و قد أدّى بهم ذلك في عصر الخليفة المنصور الدوانيقي إلى ترجمة جميع تلك العلوم التي تحتوي على موضوعات خاصة من السريانية و الفارسية و اليونانية إلى العربية، و أن يتشربوها في فترة قصيرة.[6]

---

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه، ص١٣٠ ـ ١٣١.

٣. المصدر نفسه، ص١٣٢. الحكيم هو من تحرّك الحوادث وأجزاء العالم عقله. المصدر نفسه/ ١٣٣.

٤. المصدر نفسه، ص١٣١.

٥. المصدر نفسه، ص١١٠.

٦. المصدر نفسه، ص١٣١.



والإشكال الرئيسي للدول الإسلامية مثل الدولة العثمانية و تركية و مصر أنّها استحدثت قبل ستين سنة مدارس لتدريس العلوم الحديثة، و لكن لم تحصل منها على أيّ فائدة، و ذلك لغياب التعليم الفلسفي و بالتحديد غياب الروح الفلسفية، و لو كانت هذه الروح موجودة في تلك المدارس، لاستغنت، بلا شك، خلال فترة الستين سنة عن بلاد الإفرنج، و لسعت تلك المدارس إلى إصلاح بلدانها بواسطة العلم، و لما أرسلت أبناءها كل عام للدراسة في تلك البلدان، و لما طلبت إرسال أساتذة من تلك البلدان للتدريس في مدارسها.[١]

إنّ غياب الروح الفلسفية يؤدّي إلى تقهقر المجتمع و انحداره، فالفلسفة هي التي تكشف للإنسان عن ماهية الإنسان، و تبين منزلته و شرفه، و تعلّمه الطرق المناسبة له و اللائقة به، و اعلم أنّ أيّ أمة تبدأ روحها بالانحدار، فإنّ النقص الأول الذي يصيبها هو في روحها الفلسفية، و من ثم يسري هذا النقص في سائر العلوم و الآداب و المعاشرة.[٢]

و) التأكيد على مكانة العلوم الإنسانية و دورها في التطور

يؤكّد السيد كثيراً على أنّ أيّ دولة تحقّق تقدماً و تنتصر، فإنّ مردّ ذلك هو «العلم»، فالعلم هو سلطان الدنيا.[٣] و بدونه لا و لم و لن يوجد مُلك.

يستعرض السيد بعض العلوم مثل المنطق و الحكمة و الفلسفة و الفقه و الأصول، و يبيّن الآثار المترتبة عليها، ثم يؤكّد على أنّه لما كانت الفلسفة تبيّن للإنسان المستلزمات الإنسانية، و تكشف عن الحاجات إلى العلوم، و تطبّق كل علم في مظانه التي تليق به، و من دون روح الفلسفة يتعذّر استنتاج النتائج من تلك العلوم، إذن، لا بد أن تسود روح الفلسفة في المجتمع.[٤]

وفي استعراضه لثمرات الفقه و الأصول يؤكّد على أنّ الفقه الإسلامي يتضمّن جميع الحقوق

---

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه.

٣. الامام على عليه السلام: العلم سلطان من وجده صال به و من لم يجده صيل عليه، ابن ابى الحديد، شرح نهج البلاغه، ج٢٠، ص٣١٩، العدد ٦٦٠.

٤. انظر: المصدر نفسه، ص١٣١.

الأسرية و الاجتماعية و الحكومية، لذا، بمقدور الذي يخوض في علم الفقه أن يتصدّى لمنصب الصدر الأعظم للملك أو سفير حكومي كبير، علم الأصول هو نفسه فلسفة الشريعة، و من يدرس هذا العلم، سيكون قادراً على وضع القوانين و إرساء أسس الحضارة في العالم.[1]

ونظراً إلى المكانة الراقية للعلم، فإنّ أهم واجبات الدولة و أكثرها وجوباً تأسيس العلوم و نشر المعارف، و يجب على كل حاكم و كل دولة أن تنهض بهذا الواجب حتى لو كان لمصلحة نفسها.[2]

بالإضافة إلى العلوم و المعارف النظرية، يؤكّد السيد كثيراً على دور النظام الأخلاقي في سلامة المجتمع و تقدّمه، و يعتقد أنّ «أخلاق» الأفراد هي أساس استقامة أطوار المجتمع و اعتداله، و أنّ تحقيق هذا الهدف رهنٌ بثلاثة عوامل هي: نقاء الفطرة، و الشرف الذاتي، و العقل و العقيدة الراسخة.

وبغياب هذه العوامل الثلاثة، فإنّ كيان الأسرة سوف يصاب بخلل كبير، و فساد انتظام دوائر المدن و السلطات، و يؤدّي هذا الفساد بالتبع إلى زعزعة أركان البلاد و بالتالي زوالها و انقراضها.

وفي ضوء قانون العلية، فإنّ زوال المعلول برهان قاطع على زوال العلة، و من خلال ضعف الدول و خراب البلاد و اضطراب أحوال الناس يمكن أن نستنتج بأنّ غالبية النفوس خالية من العوامل المذكورة آنفاً، حينذاك تحكم بإباحة جميع المحذورات، و جواز جميع المنهيات، و تحسب جميع القبائح و الشنائع أمور عادية و طبيعية، و الافتراء و الكذب شطارة و فطنة، و تفخر بالظلم و الجور.[3]

على كل فرد من أفراد البشر أن يتّخذ له صنعة من الصنائع التي يحتاجها المجتمع، و أن يؤدّي دوره في بلوغ المجتمع الإنساني ذرى الكمال و الغاية النهائية. بعض الصنائع لازمة و ضرورية، و اقتضاء ضرورتها هو توفير منفعة إنسانية.

من بين الصنائع اللازمة و الضرورية، صناعة الحكمة، و هي أنفعها للإنسان، و لا تنطوي على أيّ نفع سوى النفع الإنساني. طبعاً الحكمة ليست الفلسفة بمعناها الخاص، بل هي[4] تشرّع القوانين، و تنير

---

١. انظر: المصدر نفسه، ص١٣٣.

٢. انظر: المصدر نفسه، ص١٢٩.

٣. نامهها و اسناد، ج٨، ص١٤.

٤. قد تعبّر هذه العبارات عن تفسيره للنبوة في إحدى مراحل حياته. فقد طرحها طبقاً للمنهج الفلسفي وبتأثير من الحكماء

الدروب و تضع أسس النظم الاجتماعية، و تشخّص الفواصل، و تفصّل حدود الفضائل الأخلاقية و الرذائل، و بعبارة واحدة، إنّما سبب قوام الكمالات العقلية و الأخلاقية، و هي تخوض في كل ما يرتهن الحياة العلمية و الأخلاقية للإنسان. و لذلك، فهي أفضل الصنائع و باقي الصنائع في خدمتها.[١]

النتيجة

الشيخ جمال الدين الأفغاني (السيدجمال أسد آبادي) مفكر عاش في القرن الثالث عشر الهجري، كان يحمل هواجس الإسلام و المسلمين بعيداً عن كل المواصفات المذهبية و القومية، و كان يرصد الضعف السائد في المجتمعات و البلدان الإسلامية، و الهزائم العسكرية و السياسية و الاقتصادية التي لحقتها على يد روسية و بريطانيا، و من جهة ثانية، كان شاهداً على رقي و تطوّر الثقافة و الحضارة الغربية، و كان يقول بأنّ سبب هذا الضعف و الهزائم، و ذلك التطور و الرقي هو هيمنة الاستعمارين الشرقي و الغربي على العالم الإسلامي، عبر المعاهدات و الاتفاقيات. و كان يعتقد أنّه من أجل الخلاص من هذا الخمود و الضعف و الجمود لا ينبغي الاكتفاء بالحل العلمي و النظري، بل يجب علينا السفر إلى مختلف نقاط العالم، و الالتقاء بأشخاص كثيرين لاجتراح الآليات العلمية و العملية و التي من أهمها إيقاظ الناس و تنويرهم، و التأكيد على أهمية العلم و الفكر و الحضارة، و توعيتهم إزاء مسألة الاستعمار الأجنبي و الاستبداد الداخلي بالاستناد إلى القرآن و الإسلام الحقيقي، و إحياء الفكر الديني، لقد طرح السيد هذه الهواجس و الأهداف و إن في المراحل الأولى، على الصُعُد السياسية و الاجتماعية و الثقافية في العالم الإسلامي، لا سيّما في بلدان شمال أفريقيا و شبه القارة الهندية و إيران، و استطاع أن يكون الملهم لشخصيات عديدة في المنطقة.

والفلاسفة ومباحث العلوم الطبيعية في دار الفنون التي تأسست حديثاً في تركيا. ولذلك رمي باللادينية من قبل حسن افندى مفتى و شيخ الاسلام في تركيه، وعلى إثر ذلك سافر إلى مصر امتثالاً لنصيحة أصدقائه الخيرين المطلعين على سلامة عقيدته.

انظر: بيدارى مشرق زمين، ص٧٩؛ رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام، ج١، ص٤٠.

١. سيد جمال، رسائل فى الفلسفة و العرفان، ص١٠٦.



المصادر

١. الامام محمد عبده، *رسالة التوحيد*، مصر، مكتبة الاسرة، ٢٠٠٥، الاولى.

٢. امين، احمد، *پيشگامان مسلمان تجددگرايي در عصر جديد*، حسن يوسفى اشكورى، طهران، منشورات علمى، فرهنگى، ط٣، ١٣٧٦هـ ش.

٣. باقى، عماد الدين، *معماى سيد*، مجلة «مهرنامه» الشهرية، العدد ٤٨.

٤. البهى، محمد، *الفكر الاسلامى الحديث و صلته بالاستعمار الغربى*، دار الفكر، ط٨، ١٤٢٤هـ.

٥. البهى، محمد، *انديشه نوين اسلامى در رويارويى با استعمار غرب*، السيد حسين سيّدى، مشهد، العتبة الرضوية المقدسة، ط١، ١٣٧٧هـ.

٦. بوعمران، شيخ، *مسأله اختيار در تفكر اسلامى و پاسخ معتزله به آن*، ترجمة: اسماعيل سعادت، طهران، هرمس، ط١، ١٣٨٢هـ.

٧. جبرئيلى، محمد صفر، *سيرى در تفكر كلامى معاصر*، طهران، المجمع العلمي العالي للثقافة و الفكر الإسلامي، ط١، ١٣٩١هـ.

٨. جولد تسيهر، *مذاهب التفسير الاسلامى*.، ترجمة عبد الحليم نجار، قاهرة مكتبة الخانجى، ١٣٧٤هـ.

٩. حبيبى، عبد الحى، *نسب و زادگاه سيد جمال الدين الافغانى*، افغانستان، و زارة الثقافة، ١٣٨٥هـ.

١٠. الحسينى الاسدآبادى، السيد جمال الدين، *التعليقات على شرح العقائد العضديه*، الآثار الكامله، إعداد و تقديم: السيد هادى خسروشاهى، القاهره، مكتبه الشروق الدوليه، ١٤٢٣هـ، ط١.

١١. ــــــــــ، *الرسائل و المقالات*، الآثار الكامله، إعداد و تقديم: سيد هادى خسروشاهى، القاهره، مكتبه الشروق الدوليه، ١٤٢٣هـ، ط١.

١٢. ــــــــــ، *العروه الوثقى*، الآثار الكامله، إعداد و تقديم: السيد هادى خسروشاهى، القاهره، مكتبه الشروق الدوليه، ١٤٢٣هـ، ط١.

١٣. ــــــــــ، خاطرات الأفغانى ـ آراء و افكار ـ تقرير: محمدپاشا المخزومى، *الآثار الكامله*، إعداد و تقديم: السيد هادى خسروشاهى، القاهره، مكتبه الشروق الدوليه، ١٤٢٣هـ، ط١.

۱٤. ــــــــــ، مجموعه رسائل و مقالات، *الآثار الكامله*، إعداد و تقديم: السيد هادى خسروشاهي، القاهره، مكتبه الشروق الدوليه،۱٤۲۳، ط.

۱٥. ــــــــــ، *نامه ها و اسناد سياسى - تاريخى، الآثار الكامله*، إعداد و تقديم: السيد هادى خسروشاهي، القاهره، مكتبه الشروق الدوليه،۱٤۲۳هـ، ط۱.

۱٦. حنفي، حسن، *جمال الدين الافغاني*، مصر، مكتبة الاسره، ۱۹۹۹م.

۱۷. حوراني، آلبرت، *الفكر العربي في عصر النهضة*، ۱۷۱۹ ـ ۱۹۳۹م، ترجمة: كريم غرقول، بيروت، نوفل ۱۹۹۷.

۱۸. ــــــــــ، *تاريخ مردمان عرب*، ترجمة: فريد جواهر كلام، طهران، امير كبير، ۱۳۸٤، ط۱.

۱۹. خدورى، مجيد، *گرايشهاى سياسى در جهان*، ترجمة: عبد الرحمن عالم، طهران، مكتب الدراسات السياسية و الدولية التابع لوزارة الخارجية، طهران، ۱۳٦۹،

۲۰. *دائرة المعارف جهان نوين اسلامى*، (۲ ج)، رئيس المحررين النصوص الإنجليزية. جان ل. اسپوزيتو. ترجمة و تحقيق و تعليق و إشراف: حسن طارمى، محمد دشتى، مهدى دشتى، طهران، نشر كتاب مرجع، نشر كنگره، اول، ۱۱ عنايت، حميد، دين و جامعه، طهران، مكتب نشر فرهنگ اسلامى، ۱۳٦۹، ط۲.

۲۱. رجايي، فرهنگ، *انديشه سياسى معاصر در جهان عرب*، طهران، مركز الأبحاث العلمية و الدراسات الاستراتيجية الشرق أوسطية، ۱۳۸۱ ط۱.

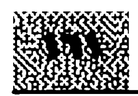
۲۲. رشيد رضا، السيد محمد، *تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده* (۳ج)، دار الفضيلة، القاهرة، ۱٤۲۷هـ، ط۲.

۲۳. رضوان السيد، *اسلام سياسى معاصر در كشاكش هويت و تجدد*، ترجمة: مجيد مرادى، طهران، مركز «بازشناسى اسلام و ايران»، ۱۳۸۳هـ، ط۱.

۲٤. *سيد جمال الدين اسدآبادى و نهضت بيدارى اسلامى*، (مجموعه مقالات) طهران، القسم الثقافي في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ۱۳۸۳.

۲٥. شبيرى زنجانى، سيد موسى حسينى، *جرعه اى از دريا*، مقالات و مباحث شخصيت شناسى و كتاب شناسى (ج۲) قم، مؤسسه كتاب شناسى شيعه،۱۳۹۲، ط۳.

۲٦. شرابي، هشام، *روشنفكران عرب و غرب*، ترجمة: عبد الرحمن عالم، طهران، دفتر مطالعات سياسى و بين الملل.



٢٧. شرفي، عبد المجيد شرفي، *اسلام و مدرنيته*، ترجمة: مهدی مهریزی، طهران، منظمة الطباعة و النشر و الثقافة و ارش.

٢٨. عبده، محمد، *رسالة التوحيد*، مصر، مكتبة الاسرة، ٢٠٠٥، ط١.

٢٩. ــــــــ، رشيد رضا، السيد محمد، *تفسير المنار*، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٣٠. عدد من الكتّاب، *مجلة حوزه*، سيّد جمال حوزه ها، قم، مركز منشورات مكتب الإعلام الإسلامي، في الحوزة العلمية بقم، ط١، ١٣٧٥هـ.

٣١. علي خاني، علي اكبر و آخرون، *انديشه سياسى در جهان اسلام*، (ج١)، طهران، معهد دراسات العلوم الإنسانية و الثقافة و المطالعات الاجتماعية و «الجهاد الجامعي»، ط١، ١٣٨٤هـ.

٣٢. عنايت، حميد، *انديشه سياسى در اسلام معاصر*، ترجمة: بهاء الدين خرمشاهي، طهران، خوارزمي، ط٣، ١٣٧٢هـ.

٣٣. عنايت، حميد، *سيرى در انديشه سياسى عرب*، طهران، امير كبير، ط٦، ١٣٨٥هـ.

٣٤. مجتهدي، كريم، *سيد جمال الدين اسدآبادى و تفكر جديد*،

٣٥. مطهري، مرتضى، *مجموعه آثار*، ج٢٤، تهران، انتشارات صدرا،

٣٦. ــــــــ، *مجموعه آثار*، ج٣، طهران، منشورات صدرا،

٣٧. ــــــــ، *يادداشت ها*، ج١ «الجزء الأول من القسم الألفبائي» طهران، منشورات صدرا، ط٢، ١٣٧٩هـ.

٣٨. نيكي، آر.كدي، *و اكنشى اسلامى به امپرياليسيم*، ترجمة: مريم السادات سيد كريمي، طهران، صمديه، ط١، ١٣٩٦هـ.

٥

علماء الشيعة و تصانيفهم في شمال أفريقيا

على رضا الميرجليلى[1]

١. باحث و مدرس فى مادة العلوم الإسلامية بجامعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم العالمية.

الملخص

لا يوجد خلاف حول حضور الشيعة في السنوات الأولى لظهور الإسلام في شمال أفريقيا، كما لا يوجد خلاف حول المحاولات المستمرة منذ القرون الماضية و في العصر الراهن و الرامية لمحو الآثار الحضارية للشيعة في تلك المنطقة. و في هذه الأثناء، فإنّ مساعي الشيعة لصيانة تراثهم النفيس أمر يستحق الثناء و التقدير. يسعى كاتب المقالة بأسلوب تقريري و تحليلي إلى تقديم صورة و إن منقوصة حول نشاطات أتباع أهل البيت﵈ و حضورهم في بلدان شمال أفريقيا في عصر صدر الإسلام، و كذلك في العصر الراهن، خصوصاً مع ظهور موجة اعتناق المذهب الشيعي بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، كما سيشير إلى بعض المدن و الحواضر التي شيّدها الشيعة و التصانيف التي دوّنوها في بلدان شمال أفريقيا.

الكلمات المفتاحية: الإسلام، التشيع، اهل البيت، شمال أفريقيا، الفاطميون، مصر، تونس، الجزائر.

المقدمة

إنّ الحضور العريق للحكومات الشيعية (العلوية و الفاطمية و الإسماعيلية و الزيدية و...) في بلدان شمال أفريقيا و منجزاتهم الحضارية أمر لا ينكره أحد، كما لا يخفى على أهل البحث و التمحيص أهمية الخوض في هذا الموضوع.

ممّا يؤسف له، إنّه نتيجة لأوضاع القمع و الاستبداد التي عاشها الشيعة في الماضي و المستمرة حتى يومنا هذا، و التي تمارسها الحكومات و مختلف التيارات المعادية، و التي سعت و ما تزال إلى

طمس المعالم و الآثار المتعلقة بالشيعة، و آخر حلقة في هذه السلسلة هي الفكر الوهابي التكفيري الذي لم يدّخر جهداً في تدمير الآثار الإسلامية و الشيعية بحجة محاربة الإلحاد و الشرك، ممّا أدّى إلى محو الآثار و المظاهر الخاصة بأهل البيت في شمال أفريقيا..

كان البحث، و ما يزال، في أوضاع الشيعة في أفريقيا برمتها محط اهتمام شديد من قبل العديد من الحكومات و الناشطين في مجال الأديان و المذاهب و كذلك الساسة... و غيرهم، إذ إنّ انتشار أتباع مدرسة أهل البيت و لا سيما في القرن الأخير، أدّى إلى إثارة حساسية خاصة لدى الدول تجاه هذا الموضوع، فدفعها إلى تخصيص مبالغ طائلة لدراسة أبعاد هذه القضية، من هذه الحالات صدور كتاب تحت عنوان «التشيع فى افريقيا» في ٧٥٠ صفحة، عن «مركز نماء للبحوث و الدراسات» و يبدو أنّ هذا البحث قد أنجز بطلب من الدول العربية بواسطة لجنة سمّيت «لجنة تقصّي الحقائق بمجلس الإمناء!» و يشير ظاهر هذا البحث المفصّل (الذي شارك في إعداده أكثر من ٤٠ باحث باعتراف المؤلفين أنفسهم) إلى وجود قلق عميق من انتشار التشيّع في أفريقيا.

على الرغم من مساعي هذا الكتاب لتقديم وجهة نظر محايدة و منصفة، لكنّه عكس في كثير من الحالات و بوضوح محاولات خفية لنقل وجهات نظر أشخاص ليس لهم أدنى اطلاع بهذ الموضوع، أو إنّهم خصوم للشيعة، كاشفاً بذلك عن مصادره و أهدافه.

مع ذلك، فإنّه فى كثير من الحالات يمكن الاستناد إليه (من أجل إثبات الحد الأدنى لوجود الشيعة)، و هو ما ستتّبعه في هذه المقالة في بعض الأحيان.

ليس غرض هذه المقالة[1] استرجاع التراث النفيس لأهل البيت (لأنّ ذلك لوحده يتطلّب مجالاً أوسع للباحثين الماهرين)، و إنّما تهدف فقط إلى تقديم تقرير موجز عن الأوضاع الراهنة للشيعة في بلدان شمال أفريقيا.

والمقصود بـ«شمال أفريقيا» جزء محدود منها فحسب، و الذي يشمل بلدان مثل مصر، ليبيا،

١. لمزيد من المعلومات انظر مقالة: نقش صحابه و تابعين در گسترش علوم و تمدن اسلامى در شمال آفريقا (با تاكيد بر تشيع)، ضمن مجموعة مقالات هذا المؤتمر.

تونس، الجزائر، المغرب، و الأندلس (والتی كانت في الماضي جزءاً من الحضارة الإسلامية القديمة)، لأنّ بلدان مثل نيجيريا و حركتها السريعة و الواسعة، أو السودان و بعض بلدان شرق أفريقيا، كل منها يتطلّب بحثاً مستقلاً و منفصلاً، حيث نشهد اليوم في هذه البلدان نهضة شيعية واسعة و تاريخية.

كما أنّ الخوض في الأوضاع السابقة و الراهنة للتشيّع في كل من ليبيا و المغرب و الأندلس أيضاً يستدعي بحثاً مفصّلاً و مستقلاً، لهذا السبب و نظراً لضيق المجال في هذه المقالة، فسوف نستثنيها من هذا البحث، لنحيلها إلى فرصة أخرى.

إنّ المقصود بلفظ الشيعة هو المعنى الأعم، أي كل من يعتقد بولاية الإمام علي بن أبی طالب ﷺ كوصی و خليفة للنبي الأكرم ﷺ، و يؤمن بأفضليته و أولاده الطاهرين على سائر الخلق. و بناءً عليه، فجميع الفرق الشيعية من بينها: الإثنا عشرية، و الإسماعيلية، و الزيدية، و الفاطمية... ستكون داخلة ضمن مصطلح الشيعة.

ولغرض الاختصار، فإنّنا سوف نعمد إلى حذف الكثير من الإيضاحات، و سنكتفي بالإشارة إلى جوهر الموضوع على شكل رؤوس موضوعات، و في بعض الحالات سوف نحيل على المصادر.

في ضوء مستوى قرّاء هذه المقالة، فإنّنا في الكثير من الحالات، و لغرض عدم الإطالة، سوف نكتفي بذكر النصوص العربية و عدم ترجمتها إلى الفارسية.

الحضور التاريخي للتشيع في عصر صدر الإسلام

يعتقد الكثير من الباحثين في مجال الدراسات الشيعية، أنّ أتباع أهل البيت ﷺ قد ظهروا في بلاد مختلفة في شمال أفريقيا مع البدايات الأولى لعصر صدر الإسلام، و كانت لهم مساهمات في التأثيرات السياسية و الاجتماعية:

تتحدّث المصادر التاريخية عن أنّ التشيّع انتشر و ترسّخ بين شعوب المغرب، و لا سيّما البربر،

و ذلك بعد أن وجد العلويين في تلك البلاد الملجأ الوحيد الذي يأويهم، و بعد أن فشل القمع السياسي و الفكري للأمويين و العباسيين في منع نشاطات أئمة الشيعة و العلويين، فانبرى هؤلاء إلى الدعوة إلى التشيّع بطرق مختلفة في بلاد المغرب. انطلاقاً من هذا المبدأ، فإنّ نفوذ التشيّع في بلاد المغرب يعود إلى ما قبل عصر الأدارسة (١٧٢ ـ ٣٧٥هـ) و الفاطميين (٢٩١ ـ ٣٦١هـ).[١]

يقول المقريزي (متوفى ٨٤٥هـ) في الخطط:

ذهب ابو القاسم رستم بن حسين بن حوشب إلى اليمن، فدعا الناس إلى المهدوية... و أرسل رجلين أحدهما يدعى الحلواني و الآخر أبا سفيان إلى المغرب و قال لهما: المغرب أرض بوار، فاذهبا و احرثاها حتى يأتي صاحب البذر

وجاء في مصادر أخرى على النحو التالي:

وكان أصل ظهورهم بإفريقية دخول الحلواني و أبي سفيان من شيعتهم إليها أنفذهما جعفر الصادق، و قال لهما بالمغرب أرض بور فاذهبا و احرثاها حتى يجيء صاحب البذر. فنزل أحدهما ببلد مراغة، و الآخر ببلد سوف جمار و كلاهما من أرض كتامة ففشت هذه الدعوة في تلك النواحي.[٢]

يتبيّن لنا من هاتين الروايتين (على الرغم من الخلاف حول راويها الحقيقي) أنّه ليس محبّو أهل البيت فقط بل الشيعة و الذين ساروا في ركاب أتباع أهل البيت أيضاً كانوا يدبّرون الخطط السياسية و العسكرية للتمهيد لثورة الإمام المهدي و يحاربون مع العقيدة الشيعية منذ البدايات الأولى لظهور الإسلام في تلك المنطقة.

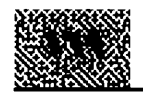
وروي أيضاً:

دخل التشيّع في صورته غير الإمامية إلى أفريقيا في القرن الثاني الهجري، عندما حمل إدريس بن عبد الله الحسني (م٢٧١هـ) معه المذهب «الزيدي» إلى المغرب، و انتشرت دعوته بين الناس في تلك النواحي، فأسس أول دولة شيعية، كانت لها سطوة و نفوذ حتى بدايات القرن الرابع

---

١. «بررسى زمينەها و راههاى و رود تشيع به مغرب». مجلة «شيعه پژوهى»، السنة الثانية، العدد الخامس.

٢. المقريزي، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار: ١/ ٤١.



الهجري. في ذلك الوقت استطاع الإسماعيليون بعد فترة طويلة من الدعوة السرية و العلنية دخول أفريقيا و الاستيلاء على تونس، و نجحوا في توسيع نفوذهم و سلطانهم شيئاً فشيئاً فأسّسوا لإمارة مقتدرة و قوية. أما عن حضور الشيعة الإمامية في هذه المنطقة فليس لدينا أخبار موثقة تؤكّد ذلك، و لكن يمكننا أن نحدس فقط بأنّ عدداً من الشيعة الإمامية هاجروا في زمن الفتوحات الإسلامية أو بعده إلى بلاد المغرب. و نفس الحدس ينطبق على بلاد الأندلس أيضاً، على الرغم من محاولات البعض تقديم شواهد تدلّل على حضور التشيّع في تلك البلاد.[1]

كتب ابن كثير في حوادث عام ٧٠٤هـ يقول: و في هذه السنة قُتلَتْ الشيعة الذين ببلاد إفريقية و نهبت أموالهم، و لم يترك منهم إلا من لا يعرف.[2]

ولكن من خلال مراجعة بعض الوثائق التاريخية نتبيّن بأنّ الشيعة على مدى مراحل التاريخ الإسلامي، كان لهم حضور فعال و مؤثّر في تلك المناطق. و بعيداً عن دور أهل البيت عليهم السلام في القرون الهجرية الأولى (وذلك لأنّه و منذ البداية كان الاهتمام منصبّاً على نشر الإسلام في تلك المناطق)، فإنّه في العصرين الأموي و العباسي أيضا، كان أهل البيت عليهم السلام يرسلون الوفود للدعوة إلى التشيّع و نشره.[3]

في ضوء ما تقدّم ذكره، يمكن تقسيم دخول التشيّع إلى بلاد المغرب إلى ثلاث مراحل و هي كالتالي:

---

١. مكى (محمود على)، التشيّع في الاندلس.

٢. ابن كثير، البداية و النهاية، ج١٢، ص٥.

٣. الامام الصادق عليه السلام و الدعوة الشيعية في المغرب «كانت بلاد شمال أفريقيا تربة خصبة لبث الدعوة الشيعية. يضاف إلى ذلك ان بلاد المغرب كانت بعيدة عن السلطة المركزية في بغداد مما جعل من الصعب على العباسيين فرض رقابتهم التامة على تلك البلاد و تعقب العلويين فيها».

ويرجع الفضل الأول في نجاح الدعوة الشيعية ببلاد المغرب إلى مؤسس دولة الأدارسة (١٧٢هـ) ادريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

على أن هذا الداعية لم يكن أول من دعا للشيعة بالمغرب الاسلامي، فقد سبقه فى هذا المضمار دعاة آخرون مهّدوا السبيل لنجاح دعوته، فيروى المقريزي أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (ت ١٤٨هـ) أوفد إلى المغرب داعيين أحدهما يعرف بالحلواني و الآخر يعرف بأبي سفيان و قال لهما «إن المغرب أرض بور فاذهبا و احرثاها حتى يجيء صاحب البذر» فذهبا إلى هناك و اخذا يدعوان الناس لطاعة آل البيت حتى استمالا قلوب جمع كثير من قبيلة كتامة وغيرها و ظلا هناك إلى أن ماتا. العبادي، مختارة في تاريخ المغرب و الأندلس، ص١٧٢.

۱. عن طريق البربر

تشي بعض المعتقدات عند عامة الناس في المغرب بنفوذ قوي لأهل البيت بين قبائل البربر، فعلى سبيل المثال، يعتقد الكثير من الناس هناك بأنّ العدد ٥، و الذي يشير طبقاً للمعتقدات الرمزية الشيعية إلى الخمسة أهل الكساء من أهل البيت، يحفظ الإنسان من الحسد.[١]

۲. عن طريق الحلواني و السفياني

بدأت هذه المرحلة منذ سنة ١٤٥هـ حتى ١٧٢هـ، أي حتى أوائل تأسيس دولة الأدارسة.[٢]

۳. عن طريق العلويين في المغرب

أدّى الحضور المتواصل للعلويين إلى تأسيس حكومتهم هناك، و التي بدأت مع إدريس الأول (١٧٢ ـ ١٧٧هـ).[٣]

أما أهم و أشهر شخصية علوية ظهرت في تاريخ بلاد المغرب الأقصى فهو إدريس بن عبد الله بن حسن (١٧٢ ـ ١٧٧هـ) مؤسس دولة الأدارسة،[٤] فبعد وصوله إلى المغرب، التحق به جماعة من العلويين ممّن نجوا من واقعة «الفخ»، ثم لاحقاً انضمّ إليه أخوه «سليمان بن عبد الله»، و لكن بعد أن قُتل هذا الأخير، ذهب إدريس إلى نواحي «تاهرت»؛ لكنّه لم يستطع المكوث هناك بسبب وجود حكومة الأغالبة (١٨٤ ـ ٢٩٧هـ) فذهب مع بقية العلويين إلى «تلمسان» فقطن فيها، فسلّمت له «زناته» و سائر قبائل البربر. و حظي باستقبال مهيب من قبل سكان تلك المناطق بسبب ما يكنّوه من احترام و تبجيل لنسبه الشريف، و أسّس دول صغيرة هناك. كانت هذه الإمارات الحسنية جميعها في حلف مع أبناء عمومتها من الأدارسة، و على الرغم من أنّ أيّاً منها لم

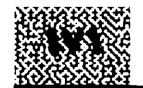
---

١. سيد بن طاووس، الاقبال، ٠٧٩: ٦١٢.

٢. ابن ابى زرع الفاسى، الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينه فاس. ٥٧.

٣. ابن قتيبه، المعارف، ٠٦٩٦: ٦٠٦.

٤. ابن قتيبه، المعارف، ٢١٣، الطبرى: تاريخ الرسل و الملوك ٤١٦/ ٦؛ المسعودى، مروج الذهب و معادن الجوهر، ٢٦٩/ ٣.



تكن تمتلك القوة و النفوذ اللذين كان للأدارسة، لكنّها مع ذلك كانت إمارات مزدهرة ساهمت كثيراً في نشر الإسلام و القيم العلوية في بلاد المغرب.[1]

٤. تحليل

انتشر الإسلام في تلك المناطق بعد فتح بلاد المغرب على يد الجيش الإسلامي، و منذ ذلك الوقت ساهم البربر و سكان المغرب إلى جانب جميع المسلمين في نشر الإسلام و توسيعه. لم تكن قبائل البربر بعد الفتوحات الإسلامية تتمتع بحقوقها و ذلك بسبب إهمال حكام بني أمية و بني العباس لها، و لذلك وجدت في أهل البيت عليهم السلام و العلويين ضالّتهم الوحيدة، فلجأوا إليهم لإصلاح الأوضاع التي كانت سائدة. كان حبّ أهل البيت عليهم السلام شائعاً بين سكان المغرب، و كان الانتساب لأهل البيت عليهم السلام شرف لا يضاهيه شرف. من هنا، لم تستطع سلطة الحكومات الأموية و بشكل أخص العباسية أن تفعل شيئاً لمنع انتشار النفوذ السياسي و الفكري للتشيّع في بلاد المغرب. و بحسب المصادر التاريخية، فقد ركب الأمويون و العباسيون أنفسهم الموجة و حظوا بالمكانة و المنزلة في أوساط الناس بسبب رفعهم لشعار أهل البيت عليهم السلام، و كانوا يعدّون أنفسهم من أهل البيت عليهم السلام. و كما أشرنا سابقاً فإنّ الإمام الصادق عليه السلام أرسل دعاةً إلى بلاد المغرب في عام ١٤٥هـ لنشر المذهب الشيعي. و كان هؤلاء الدعاة يحثّون الناس على طاعة أهل البيت عليهم السلام، و عن هذا الطريق استطاعوا أن يكسبوا ودّ و محبة أهالي كتامة و سائر المدن لأهل البيت عليهم السلام و دخلوا في التشيّع. و كان لمبادرة الإمام الصادق عليه السلام أثر كبير في إعداد الأجواء المناسبة لحضور العلويين إلى المغرب و نشاطهم فيه. كان للعلويين نفوذ عظيم، و كانوا يتمتّعون بقاعدة شعبية كبيرة بين قبائل البربر المغربية. و قد أدّى حضورهم المستمر هناك إلى تأسيسهم الحكومات في تلك البلاد. لذا، يمكن القول، بأنّ نفوذ الشيعة و العلويين في بلاد المغرب ظهر منذ أزمنة سبقت حضور الأدارسة و الفاطميين، حيث يعود حضور الشيعة في المغرب إلى أواخر القرن الأول و أوائل القرن الثاني الهجري.[2]

---

١. «بررسى زمينه‌ها و راههاى و رود تشيع به مغرب». مجلة «شيعه پژوهى»، السنة الثانية، العدد الخامس.

٢. «بررسى زمينه‌ها و راههاى و رود تشيع به مغرب». مجلة «شيعه پژوهى»، السنة الثانية، العدد الخامس.

المدن التاريخية الشيعية في شمال أفريقيا

وفقاً للوثائق التاريخية، قام الشيعة و أتباع أهل البيت بتأسيس بعض المدن و البلدات في شمال أفريقيا، أو قاموا بتجديد بنائها، حيث نشير هنا إلى بعض تلك المدن:

١. زواله: أو زويله مدينة في تونس بناها العبيديون للناس العاديين إلى جانب المهدية التي كانت تختص بالخدم و الحشم و الجند و الأعوان. عندما هاجر المعزّ إلى مصر بعد فتحها، هاجر معه جمع كثير من الناس إلى مصر أيضاً.[١]

٢. المهديه: شيّدها عبيد الله مهدى على سواحل البحر، و سمّيت باسمه، ثم أصبحت لاحقاً عاصمة الدولة و الحكم، و في عصر الموحدين صارت تونس عاصمتهم. لقد أنجبت هذه المدينة عدداً من الأدباء و الشعراء، ذكر ابن رشيق بعضاً منهم في كتابه «الروضة الموشية في شعراء المهدية».[٢]

طبقاً لرأي صاحب كتاب (الطالع السعيد) كان للشيعة حضور أيضاً في مدن مصرية أخرى..

٣. ادفو: تقع على الجهة الغربية لنهر النيل، و في وسط طيبة أسوان. كان التشيّع هناك منتشراً، و كان أهلها ينتمون إلى الطائفتين الإسماعيلية و الإمامية. بعد ذلك دبّ فيهم الضعف و انحسر التشيّع هناك، فلم يبق إلّا القليل منهم.

٤. ارمنت: قرية تبعد كيلومتر واحد عن مدينة الأقصر كانت تزخز بالكثير من الشيعة فقلّوا أو فقدوا.

٥. اسفون: مدينة اشتهرت بتشيّعها الذي انمحى أو قلّ.

٦. اسنا: مدينة كان التشيّع فيها شائعاً، فقلّ تدريجياً حتى جفّت منابعه تماماً.

---

١. زوالة: هي زويلة، مدينة بالقطر التونسي على نحو ثلاث مراحل من صفاقس و هذه المدينة بناها بنو عبيد حين بنوا المهدية، فخصوا المهدية لانفسهم و حشمهم و اعيان جندهم و اسكنوا زويله هذه سائر الناس، و لما ارتحل المعز الى مصر بعد فتحها ارتحلت معه طائفة من أهل زويلة هذه فاليهم ينسب الباب و الحارة التي بالقاهرة اليوم. نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر، ص٩.

2. المهدية: و قد أنشأها عبيدالله المهدي ـ و به سميت ـ على ساحل البحر، و انتقل إليها من رقادة التي كانت مقر الدولة الأغلبية. و منذ خلفت المهدية رقادة صارت مقر الدولة و مركز السلطان، و بقيت محتفظة بهذه الصفة إلى أن حلت محلها مدينة تونس في عهد الموحدين، و قد أخرجت المهدية طائفة من الشعراء و الأدباء ذكر بعضهم ابن رشيق في كتابه «الروضة الموشية في شعراء المهدية». انظر: نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر، ص٩.

اسوان: خلال حكم العلويين كان أغلب أهلها من الشيعة، بل و قبل العلويين أيضا، لكنّهم نقصوا حتى انمحوا تماماً.[1]

٧. القاهرة:

كما توجد في هذه المدن أقليات من الشيعة الإثني عشرية لا يتجاوز عددها بضعة آلاف، و فى النصف قرن الأخير كان يؤدّون شعائرهم الخاصة بحرية و احترام، كما كانت لهم موقوفاتهم التي يقيمون فيها مجالس العزاء للإمام الحسينع و بقية الأئمةع ، و كان العزاء الحسيني يبدأ من الأول من محرم إلى بداية شهر ربيع الأول من كل عام، و كان يرتقي المنابر خطباء يحيون تلك الشعائر بتعزياتهم و من بينهم المرحوم السيد صالح مرتضى شقيق الشهيد رشيد مرتضى.[2]

وعلى بعض الروايات، فإنّ مدن الزهرة، و مكناس، و طنجه، و فاس، و القيروان، و كذلك جامعة سيدى محمد في مدينة فاس... و غيرها بناها الشيعة طبقاً لطرز معمارية خاصة بهم (وهو ما يتطلب بحثاً مفصلاً في هذا الموضوع).[3]

الأوضاع الراهنة للشيعة في بلدان شمال أفريقيا

يعدّ حضور الشيعة في الوقت الراهن في بلدان شمال أفريقيا موضوعاً معقداً و محفوفاً بالحساسيات السياسية و الأمنية، و قد تعرّضوا على مدى السنوات الماضية، للقمع من قبل الحكومات و الجماعات المتطرّفة، و مع ذلك، فقد شهدنا ظهور شخصيات شيعية بارزة في تلك الفترة. كما أنّه لا تُعرف بالتحديد النسبة السكانية للشيعة في مناطق شمال أفريقيا و ذلك لاعتبارات أمنية و سياسية. و هنا نستعرض بصورة موجزة جوانب من نشاطات الشيعة و حضورهم في تلك المناطق.

---

١. ادفوى، الطالع السعيد الجامع اسماء نجباء الصعيد، المتوفى سنة ٤٨٧هـ.

2. الامين (حسن) دائرة المعارف الاسلامية الشيعية:، ص٣٥، ٩٠ ١٢٢، ١٢٨.

٣. مرغى، الشيعه فى شمال افريقيا، ص٦٤٩.

أ) مصر

لاشك في أنّ مصر كانت في العصر الذهبي لازدهار الحضارة الإسلامية محلاً لتردّد الشيعة و أتباع مدرسة أهل البيتعليهم السلام، و في العصر الحاضر أيضاً، و على الرغم من غياب الإحصاءات و الأرقام الدقيقة فإنّ عدد الشيعة يتراوح بين بضعة مئات الآلاف و عدّة ملايين، و أنّ موضوع محبة أهل البيتعليهم السلام بين شعوب هذه البلدان، و لا سيّما مصر، أمر تقريباً شامل و عام، و ما ذلك إلّا ببركة وجود العديد من المزارات و المشاهد المشرّفة في هذا البلد، حيث سنشير إلى بعضها في هذه العجالة، فوجود هذه المزارات و المحافظة عليها و إقبال الناس في مصر على زيارتها يعكس المنزلة الرفيعة التي يحتلها أهل بيت الرسولصلى الله عليه وآله و ذراريهم في قلوب الناس هناك، و قد كانت لهم مواقع خاصة في مجتمعات تلك العصور:

١. مشاهد و مراقد اهل البيتعليهم السلام في مصر

أولاً: مشهد رأس الحسينعليه السلام:

في كتاب «اهل البيت في مصر» بعد أن ينقل المؤلف آراءً مختلفة حول موضع رأس الحسينعليه السلام، يعزّز رأي القاهرة.[1]

ثانياً: مشهد السيدة زينبعليها السلام:

ثالثاً: مرقد مالك الأشتر:

يوجد في قلزم مصر في بناية تعلوها قبة صغيرة كُتب على القبر التاريخ و أشياء أخرى، كما يطلق على المرقد قبر العجمي.

رابعاً: مسجد الحسينعليه السلام:

خامساً ـ الرؤوس الثلاثه: و هي عبارة عن: مشهد رأس زيدعليه السلام: خلف حي السيدة زينب بالقاهرة يوجد مكان يُعرف بـ«سيدى على زين العابدين» و في حي بنفس الاسم يوجد مكان دفن رأس زيد بن عليعليه السلام.

---

١. مرغى، الشيع فى مصر، ص١٤٧/ ١٧٧.

رأس ابراهيم الكامل ابن عبد الله المحض و النفس الزكيه: قُتل في عام ١٤٥هـ على يد المنصور الدوانيقي، و طاف برأسه في المدن حتى وصل إلى مصر و دفن فيها.

رأس محمد بن ابى بكر: يقع في شارع باب الوداع بالقاهرة القديمة، طبعاً توجد أماكن أخرى ينسب إليها هذا الرأس، ربما تكون مكان اخفاء و حفظ الرأس. في الماضي كان يُعرف بـ مسجد محرس الخصي.

سادساً: المشهد الزينبي:

ويُنسب إلى السيدة زينب بنت علي، و طبعاً توجد أقوال أخرى في هذا المشهد. تقام في هذا المسجد احتفالات كبرى بمناسبة ولادة السيدة زينب.

سابعاً: الزينبات المباركات: يطلق هذا الاسم على ثمانية نساء من أهل البيت تقريباً مدفونات في مصر.

ثامناً: مرقد السيدة نفيسة

تاسعاً: قبر السيدة سكينة الصغرى:

فهي بنت علي زين العابدين بن الامام الحسين، و قبرها عند مقبرة (الصدفيين)، و هم من السادة التابعين.

عاشراً: قبر السيدة فاطمة المحضية، و اسمها زينب بنت عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي، و قبرها في (العباسية) في شارع معروف باسمها.

حادي عشر: رقية بنت أمير المؤمنين، و هي زوجة مسلم بن عقيل و أم عبد الله و محمد و عاتكه. قيل أنّ قبرها في مصر.

ثاني عشر: اسماعيل بن الامام موسى الكاظم، صاحب كتاب «الجعفريات» قبره في مصر.

ثالث عشر: قبر خال رسول الله، أخو حليمة السعدية.

رابع عشر: ذرية الامام جعفر الصادق: يوجد في القاهرة، أكثر من ١٥ مرقداً منسوباً إلى أبناء الإمام الصادق.



خامس عشر: مراقد آل أبي طالب بمصر. يوجد أكثر من ٢٠ مرقداً و جميعها ينسب إلى آل أبي طالب.[1]

٢. المؤسسات الشيعية في القاهرة و أنحاء مصر

قليلة هي المؤسسات الشيعية المعاصرة في مصر، و حتى هذا القليل يتناقص عدده يوماً بعد آخر و تمّ غلق بعض هذه المؤسسات بسبب القمع الشديد الذي مارسته و تمارسه الحكومات السابقة و الحالية:

أولاً: دار آل البيت عليهم السلام: أسّسها العلامة السيد طالب الرفاعي بأمر من السيد محسن الحكيم.

ثانياً: دار التقريب بين المذاهب الاسلامية: تأسست في عام ١٩٤٦م من قبل مجموعة من كبار العلماء الشيعة و السنة، و كانت منبعاً فياضاً للخير و البركات.[2]

ثالثاً: جمعية آل البيت:

رابعاً: المجلس الأعلى لرعاية آل البيت: أسّسها السيد محمد الدرينى

خامساً: مركز الامام علي لحقوق الانسان: أسّسها في عام ٢٠٠٥م السيد محمد الدرينى، و تم توقيف نشاطها في عام ٢٠٠٧م.

سادساً: جمعية الحوراء: تأسّست في عام ٢٠٠٢م. و تم غلقها على أثر اعتقال مؤسّسيها من بينهم احمد عبد الحليم و سيد احمد الحسيني و... .

سابعاً: المركز الفاطمى لدراسات اسلام اللا عنف: تركّز هذه المؤسسة بحوثها على القضايا التشريعية في الإسلام.

ثامناً: جمعية الشيعه بمصر: بعد تقديم عشرات الأسماء من أجل تسجيل هذه المؤسسة، بدأت نشاطها من دون دعم الدولة، و من ثمّ تمّ توقيف نشاطها.

تاسعاً: المكتبات الشيعية فى القاهرة

عاشراً: مكتبة النجاح: تأسّست في عام ١٩٥٢م على يد سيد رضوى.

---

١. ابراهيم (محمد زكى) مراقد اهل البيت فى القاهرة. و كذلك مرغى، الشيعه فى مصر.

٢. مرغى، الشيعه فى مصر، ص٢٣٣/ ٢٣٤.

حادي عشر: دار الهدف: مؤسسة للثقافة و النشر، بعد غلقها، تمّ افتتاحها من جديد.

ثاني عشر: مركز الفجر للدراسات و البحوث و النشر و التوزيع

ثالث عشر: دار البداية: تأسّست في عام ١٩٨٦م، على يد صالح الورداني و هي مؤسسة للنشر، و حالياً تمّ غلقها.[1]

رابع عشر: دار ابن لقمان: تأسّست في المنصورة على يد السيد نبيل خالد.

جدير بالذكر أنّ الأزهر الشريف بمصر و طبقاً للأدلة و القرائن التاريخية، تأسّس في عهد الفاطميين.[2]

٣. الكتب المطبوعة في مصر حول أهل البيت‌ و الشيعة

صدرت كتب كثيرة في مصر تمجّد فضائل أهل البيت‌ و تثني على خصائلهم، و هذا في حدّ ذاته دليل على حبّ المصريين الشديد لآل بيت النبوة‌، و يمكن أن نستشف من هذه النقطة الجذور العميقة للتشيّع في مصر في الوقت الحاضر، و نشير هنا إلى بعض ما صنّف في أهل البيت‌ :

أولاً: الكتب المتمحورة بصورة عامة حول موضوع أهل البيت‌ :

الاتحاف بحب الاشراف، للشيخ جمال الدين أبي محمد عبد الله بن عامر الشبراوي القاهري (١٠٩٢ ـ ١١٧٢هـ(طبع بمصر عدة مرات. اتحاف أهل الاسلام بما يتعلق بالمصطفى و أهل بيته الكرام، محمد بن علي الصبان المصري (..... ـ ١٢٠٩هـ(مطبعة التقدم بمصر. احياء الميت بفضائل أهل البيت، جلال الدين السيوطي (..... ـ ٩١١هـ(مطبوع. اسعاف الراغبين في سيرة المصطفى و فضائل أهل بيته الطاهرين، محمد بن علي الصبان المصري (..... ـ ١٢٠٩هـ(، طبعة حجرية بمصر سنة ١٢٨١هـ. أهل البيت، عبد العزيز سيد الأهل المصري. أهل البيت، عبد الحميد جودة السحار المصري، مطبوع بمصر. أهل البيت، توفيق أبو علم المصري، مطبوع بمصر. رشفة الصادي من

---

١. صالح الورداني، شيعه در مصر از آغاز تا عصر امام خمينى، ص١٧٩.

٢. في المقالة الأولى من هذا الكتاب، قدّمت إيضاحات حول الأزهر بمصر.

بحر فضائل بني النبي الهادي، أبو بكر الحضرمي الباعلوي (١٢٤هـ(طبع بالمطبعة الاعلامية بالقاهرة. شذّ الأثواب في سدّ الأبواب، الحافظ السيوطي، مطبوع بمصر. فضل آل البيت، المقريزي المصري، منشورات دار الاعتصام. قصيدة الحلواء في مدح بني الزهراء، أحمد الحلواني المصري (١٢٤٩ ـ ١٣٠٨هـ(مطبعة بولاق مصر. مشارق الأنوار من نسل النبي المختار، أبو اللطائف عبد الرحمن الأجهوري المالكي المصري، مطبوع بمصر سنة ١٩٥٣م. معرفة ما يجب لأهل البيت النبوي عن الحق على من سواهم، تقي الدين المقريزي المصري، مطبوع بمصر تحقيق محمد. أحمد عاشور سنة ١٣٩٢هـ(.

ثانياً: كتب السير و التراجم:

سيدات بيت النبوة، الدكتورة بنت الشاطيء، و هي كاتبة معاصرة اسمها الحقيقي عائشة عبد الرحمن، مضمون الكتاب هو: أم النبى ـ نساء النبى ـ السيدة زينب ـ السيدة سكينة.

ثالثاً: كتب حول السيدة الزهراء عليها السلام:

الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة، الحافظ جلال السيوطي المصري. فاطمة الزهراء، عبد الفتاح عبد المقصود المصري، ١٩٨٢ م. فاطمة الزهراء. توفيق أبو علم، دار المعارف بمصر. فاطمة الزهراء و الفاطميون، عباس محمود العقاد المصري، دار الهلال مصر. فاطمة سيدة النساء، محمد محمود زيتون المصري، مطبعة صلاح الدين بالاسكندريه.

رابعاً: كتب تتمحور حول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام

الامام علي من أبي طالب، عبد الفتاح عبد المقصود المصري، ٩ أجزاء في أربعة مجلدات، أعيد طبعه عدة مرات. الامام علي بن أبي طالب محمد رضا المصري، مطبوع بمصر. حياة علي بن أبي طالب، محمد حبيب الله الجكني ـ مطبوع بمصر. خصائص علي عليه السلام النسائي، صاحب السنن، مطبعة التقدّم بالقاهرة ١٣٤٨هـ. دستور معالم الحكم و مأثور مكارم الشيم من كلام امير المؤمنين على ابن أبي طالب عليه السلام القاضي القضاعي، مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣٤هـ. سجع الحمام في حكم الامام، علي الجندي و محمد ابو الفضل ابراهيم و محمد يوسف المحجوب، مطبعة الانجلو.

شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي (٥٨٦ ـ ٦٥٦هـ)، أعيد طبعه عدّة مرات. عبقرية الامام علي، عباس محمود العقاد المصري، أعيد طبعه عدّة مرات. العقد المبين، في إثبات وصاية أمير المؤمنين‌، التويسركاني الصنعاني، المطبعة العلمية، مصر، ١٢٨هـ. علي إمام الأئمة، الشيخ أحمد حسين الباقوري المصري، مطبوع بمصر، المكتبة المصرية. علي إمام الساقين، عبد الرحمن الشرقاوي المصري، في جزأين، منشورات غريبس للطباعة، القاهرة. علي بن أبي طالب، مطبعة دار المعارف، مصر، سنة ١٩٧٣م. علي بن أبي طالب، محمد الهادي عطيه المصري، مطبوع بمصر. علي بن أبي طالب، أحمد زكي صفوت المصري، مطبوع بمصر

علي بن أبي طالب، محمد صبيح المصري، مطبوع ضمن سلسلة «كتاب الشهرة»، مصر. علي بن أبي طالب امام العارفين، العلامة القبطى الغماري المغربي، القاهرة، مكتبة السعاده. «علي بن أبي طالب شعره و حكمه» أحمد تيسور ساتا مصري، طبعة شركة الاتحاد للتجارة و الطباعة و النشر، مصر. على و بنوه، الدكتور طه حسين، دار المعارف. غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب، لشيخ محمد الخطيب، مطبعة طنطاسى، مصر، سنة ١٣٧١هـ. فتح الملك العلي بصحة حديث، «أنا مدينة العلم و علي بابها»، العلامة أبو الفيض العماري السعري، القاهرة سنة ١٢٥١هـ. في رحاب علي، خالد محمد خالد المصري، طبعة أيار الكتاب العربي. كفاية الطالب في مناقب علي عن أبي طالب، فخر الدين أي عبدالله النوفلي انكلجي، مطبوع بمصر. كفاية الطالب لمناقب علي بن أبي طالب، المحسد حبيب الله بن عبدالله الجكني الرسفي، طبعة القاهرة سنة ١٢٥٥هـ مشهد الامام علي في النجف و ما به من الهدايا و التحف، الدكتورة سعاد عامر سحسند ـ دار التعارف ـ مصر.

خامساً: كتب حول الإمام الحسن‌ و الإمام الحسين‌:

مقاتل الطالبين، للاصبهاني، طبعة القاهرة. الحسن و الحسين، توفيق أبو علم المصري، مطبوع. الحسن و الحسين، محمد رضا المصري، مطبوع بمصر. خامس الخلفاء الراشدين الامام الحسن بن علي: استاذ حسين كامل السلطاوى القاهرة، وزارة الاوقاف، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية، مطبعة الأهرام التجارية. واقعة كربلاء. آل محمد في كربلاء ـ عمر أُبو النصر، مطبوع بمصر. ثار الله

(الحسين ثائراً) مسرحية: عبدالرحمن الشرقاوي المصري. الدار انتقوسيقه ١٩٧٠م. ثار الله (الحسين شهيداً) مسرحية سيّد شباب أهل الجنة الحسين بن علي، حسين محمد يوسف المصري. مؤسسة دار الشعب، القاهرة. الشهيد الخالد الحسين بن علي، حسن أحمد لطفي المصرى. مطبوع بمصر سنة ١٣٩٧هـ : عبد الرحمن الشرقاوي المصري. الدار القومية. ١٩٧٢م. الحسين بن علي، عمر أبو النصر، مطبوع بمصر. قرة العين في الأخذ بثأر الحسين، أبو عبد الله بن محمد، طبعة القاهرة سنة ١٢٧١هـ، مطبعة البابي الحلبي. المدائح الحسينية، أحمد خيري المصري، مطبوع بمصر. سيد شباب أهل الجنة ـ محمد أحمد عاشور، طبعة القاهرة.

سادساً: كتب حول السيدة زينب

ابنة الزهراء بطلة الفداء زينب رضي الله عنها، علي أحمد شلبي الرئيس مجلس إدارة المسجد الزينبي بالقاهرة، خلال جلسة التعارف للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية مصر العربية، دشّن حفل التوقيع على الكتاب من قبل محمد توفيق عويضة، ط٢ (محرم ١٣٩٨هـ ـ ديسمبر ١٩٧٧م) و ذلك بمناسبة الاحتفال بنصب الضريح الجديد للسيدة زينب ـ مطبعة الاهرام ـ القاهرة. أبناء الرسول في كربلاء، خالد محمد خالد المصري، مؤسسة دار الشعب. القاهرة. تاريخ السيدة زينب، محمود علي البلاوي. تاريخ السيدة زينب، تأليف لجنة نشر العلوم و المعارف، القاهرة. تاريخ المشاهد الزينبية، الأستاذ حسن محمد قاسم المصري. مقالات حول السيدة زينب حياتها و مرقدها، مجلة عدى الاسلام، مصر). تاريخ و مناقب و مآثر البنت الطاهرة البتول السيدة زينب و أخيار الزينبيات، العبدلي التابة المتوفى ٣٧٧هـ. المؤلف: حسين محمد قاسم. الطبعة الثانيه. بالقاهرة، بطلة كربلاء الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، مطبعة مصر. حفيدة الرسول نفحات من مسيرة السيدة زينب ٤ أحمد الشرباصى الأزهري. طبع الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة. السيدة زينب، محمود الشرقاوي. زينب بنت على عقيلة بني هاشم: عبد العزيز سيد الأهل المكتبة العلمية، الطبعة الثانية. القاهرة.١٩٦٦ م. السيدة سكينة بنت الحسين: الدكتورة ينبت الشاطيء، مطبوع بمصر. الطاهرة السيدة زينب بنت علي، عبدالخير الخولي، طبعة القاهرة. العقيلة الطاهرة السيدة زينب، الشيخ الاستاذ أحمد فهمي محمد المصري.

سابعاً: كتب مطبوعة حول سائر الأئمة الأطهار:

الامام على زين العابدين، الدكتور بيومي مهران، دار النهضه الأميريه، بيروت. زين العابدين، اسد فهمي المصري، مطبوع بمصر. زين العابدين، الدكتور عبد الحليم محمود (أستاذ جامعة الأزهر) طبعة القاهرة. زين العابدين على بن الحسين، عبد العزيز المصرى، مطبوع بمصر. الامام الصادق، محمد ابو زهرة المصري، مطبوع بمصر. الامام جعفر الصادق، المستشار عبد الحليم الجندي، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة. علامات المهدي المنتظر، ابن حجر الهيثمي، مطبوع بمصر، مكتبة القرآن للطبع و النشر.

فتح المنان في شرح وسيله الفوز و الأمان في مدح صاحب الزمان. موسوعة الشيعة في العالم، المنيفي الحنفي (١١٧٢هـ)، مطبوع بمصر سنة ١٢٨٨هـ. القطر الشهدي في أوصاف المهدي، احمد الحلواني المصري، ١٣٠٨هـ مطبعة السعاده، مصر.

ثامناً: كتب مطبوعة حول أولاد الأئمة الأطهار:

ادب الشيعة، عبد الحسين طه حميدة، مطبعة السعادة، القاهرة١٩١١م. شرح هاشميات لمحمد شاكر، مطبعة مصر، ١٣٢١هـ. شرح الهاشميات، محمد محمود الرافعي المصري، طبعة القاهره.

قصيدة الحلواء في مدح بني الزهراء، أحمد الحلواني المصري،١٢٦٢هـ. تحفة الراغبة، احمد بن أحمد بن سلامة القليوبي المصري، متوفى ١٠٩٩هـ. غاية الاختصار، تاج الدين محمد بن حمزة بن زهرة الحسيني، ١٣١٠هـ. صحاح الأخيار، محمد سراج الدين بن عبد الله الرفاعي الحسيني المخزومي، متوفى سنة ٨٨٥ هـ و هي انساب نسل السيدة فاطمة الزهراء.

تاسعاً: كتب حول الشيعة و الدولة الفاطمية بمصر:

الشيعة في مصر، أبو الشهداء عباس محمود العقاد المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهره ١٩٧٧م. سرعة الشيعة في العالم بالمطبعة السلفية بالقاهرة. الشيعة في مصر، المحامي، طبعة القاهرة. تاريخ الدولة الفاطمية، حسن ابراهيم، دار النهضة العربية، القاهرة. ظهور خلافة الفاطمين و سقوطها في مصر، الدكتور عبد المنعم ماجد، دار المعارف، مصر. مجموعة الوثائق الفاطمية، نشر و تحقيق و تعليق الدكتور جمال الدين الشتال، دار المعارف مصر. الوزارة و الوزراء

في العصر الفاطمي، للدكتور محمد حمدي المناوي، دار المعارف، مصر. مساجد القاهرة و مدارسها في العصر الفاطمي، الدكتور احمد فكرى، دار المعارف، مصر. الطائفة الاسماعيلية، محمد كامل حسين، دار النهضة العربية، القاهره. الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية و الاثنى عشرية، محمد حسن الاعظمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. نظرية الامامة و الدين الشيعة الاثنى عشرية، الد كتور احمد صبيحى، دار المعارف، القاهره. الميراث المقارن بين المذاهب السنية و المذهب الجعفري و القانون، الاستاذ بدران أبو العينين بدران، دار المعارف، مصر. الصلة بين التصوف و التشيع، للدكتور كامل مصطفى الشيبي، دار المعارف، مصر. الأزهر و ما حوله من الآثار، الدكتور عبدالرحمن زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. دعائم الاسلام، القاضي النعمان بن محمد، تحقيق السيد الصف ين عني أصغر فظي، دار التعارف مصر.[1] الشيعة في مصر، محمد الدريني. الشيعة في مصر، جاسم عثمان الميرغني. عصر جهنم، صالح الورداني. و اكتشفت الحقيقة هشام آل قطيط.

ب) تونس

طبقاً لما طرحه مركز الابحاث العقائديه، فإنّ حضور الشيعة في تونس كان قبل الفاطميين، و في العصر الراهن فإنّ النزوع نحو التشيّع يشهد وتيرة متصاعدة، و هو يغطي جميع المدن التونسية، خصوصاً بعد استبصار الدكتور التيجاني حفظه الله، و نشر كتبه و كتب أمثاله من العلماء، و غياب التعصب الديني في صفوف الشعب التونسي، و الحب و الولاء الذي يكنّه هذا الشعب لأهل البيت‰.

إذن، فجذور التشيّع في تونس قديمة جداً، و تسبق حضور الفاطميين في مدينة المهدية، كما أنّ قبائل البربر و هم السكان الأصليون لهذه المدينة كانوا يكنّون حباً و ولاءً عظيمين لأهل البيت و قد وقعت ثورات كثيرة من أجل الدفاع عنهم، و لا سيّما بعد استشهاد الإمام الحسين‰.

كما أنّ التشيّع المعاصر انتشر بشكل متزايد بعد هجرة الشيخ التيجاني إلى العراق، بحيث تسكن في كل مدينة مجموعة من الشيعة، و من أهم هذه المدن ولاية قفصة و قابس و سوسه و

---

١. مرغى، الشيعة في مصر ٣١٧.

المهدية و كذلك العاصمة تونس. و يقوم بعضهم بفعاليات واسعة مثل طبع و نشر الكتب، و إقامة الاحتفالات الدينية، و توزيع الأقراص المدمجة و الأشرطة الصوتية و غير ذلك، و البعض الآخر ينتشر في المهاجر لغرض مواصلة دراسة العلوم الدينية.[1]

وبالنسبة لعدد سكان الشيعة في تونس، فلاتوجد إحصاءات و أرقام دقيقة، بيد أنّ مركز الأبحاث العقائدية يقول في هذا الصدد: توجد في هذا البلد أعداد لا بأس بها من الشيعة الإثني عشرية، لا سيّما إذا عرفنا أنّه لا تخلو مدينة تونسية من تواجد الشيعة.[2]

نقلاً عن كتاب التشيّع في أفريقيا، و استناداً إلى اللقاء الصحفي الذي أجري مع الدكتور التيجاني من قبل وكالة ابنا، حيث ذكر فيها: «لقد تشيّع معي العديد من الأصدقاء، ثم بدأوا بعد ذلك بالدعوة إلى التشيّع، عندما بدأنا كنّا عشرات الأشخاص، و وصل العدد إلى آلاف المستبصرين، بل ربما مئات الآلاف أو أكثر».[3]

١. مصادر تقدم المزيد من المعلومات حول شيعة تونس:

١. مركز الأبحاث العقائدية (شيعي)

٢. مؤسسة الرسول الأعظم (شيعي).

٣. موقع المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية ـ التونسية

٤. شيعة شمال أفريقيا، جاسم مرغي.

٥. وكالة أخبار ابنا الشيعية.

٦. الموقع الألكتروني «الميزان» (شيعي).

٧. الشيعة في تونس، نور المباركي.

٨. http://www.ebaa.net تحت اشراف الباحث في العلوم الإسلامية، السيد التيجاني التونسي.

1. http://www.mezan.net/mostabsirin.

---

1. http://www.aqaed.com/shia/world/_tunisia/

٢. نفس المؤلف.

٣. مرغي، التشيع في افريقيا، ص٧٢٢.

٢. كتب مطبوعة في تونس

١. التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر، أسعد بن علي.

٢. صلح الإمام الحسن القليل من منظور آخر، أسعد بن علي.

٣. اختلاف الفقهاء في تركة سيد الأنبياء غيثة، محمد الصغير الطيب السندي.

٤. الصحابة في حجمهم الحقيقي، هاشمي بن علي.

٥. حوار مع صديقي الشيعي، هاشمي بن علي.

٦. ثم اهتديت، الدكتور محمّد التيجاني، تحقيق و تعليق مركز الأبحاث العقائدية.

٧. لأكون مع الصادقين، الدكتور محمّد التيجاني، تحقيق و تعليق مركز الأبحاث العقائدية.

٨. فاسألوا أهل الذكر، الدكتور محمّد التيجاني، تحقيق و تعليق مركز الأبحاث العقائدية.

٩. الشيعة هم أهل السنة، الدكتور محمّد التيجاني، تحقيق و تعليق مركز الأبحاث العقائدية.[١]

١٠. نعم لقد تشيّعت و هذا هو السبب، محمّد الرصافي المقداد.

١١. بينات من الهدى، محمّد الرصافي المقداد.

١٢. مأساة الزهراء و أثرها في التشيع، الدكتور محمّد التيجاني، تحقيق و تعليق مركز الأبحاث العقائدية.

١٣. الرحلة إلى الثقلين، مبارك البعداش.

١٤. التشيع في تونس، مبارك البعداش.

١٥. قصة الاستبصار، لمحمد الصغير.

١٦. «الرحلة إلى الثقلين»، لمنصف حمادي.

١٧. «الصحابة بين الشيعة و السنة»، للهاشمي بن علي.[٢]

---

١. مرغى، التشيع فى افريقيا، ص٧٢٥.

٢. مرغى، التشيع فى افريقيا، ص٧٢٥.



ج) الجزائر

وهي كسائر بلدان شمال أفريقيا و باعتراف العدو و الصديق، عرفت التشيّع مع دخول الإسلام إليها، و كان يقطن فيها عشاق أهل البيت، و لكن في العصر الراهن و بسبب القمع الشديد، لا توجد إحصاءات دقيقة عن عدد الشيعة أو أماكن تواجدهم.

يعتقد بعض الباحثين أنّ أول دولة شيعية تأسّست بعد العراق هي الجزائر، و أنّ آثار محبة أهل البيت سكنت قلوب الجزائريين منذ ذلك التاريخ و حتى اليوم.[1]

لم تأل الوهابية و أعداء أهل البيت جهداً في نسبة التشيّع إلى دولة بعينها و إلى دعم إيران له لتتمكن بهذه الأقوال من ربط مسار حركة الاستبصار بالثورة الإسلامية الإيرانية، و أن تعطي صبغة سياسية لهذا الموضوع، علّها تستطيع وقف هذا الزحف المتنامي، هذا في حين أنّ الثورة الإسلامية وفّرت الأرضية المناسبة و الظهير القوي للشيعة في العالم من أجل التعبير عن هويتهم و وجودهم و تسريع وتيرة الاستبصار، و على حدّ تعبير الإمام الخميني: إنّ ثورتنا كانت انفجاراً من نور.

مع ذلك فإنّ شخصاً يدعى عمر الروائحي يذكر في كتابه (بما لا يخلو من تعصّب ضدّ الشيعة) نقلاً عن نور الدين ختال و هو باحث جزائري قوله: إنّ الذين يعتنقون التشيّع يتمتّعون في غالبيتهم بمستوى جيد من التعليم، و هم في سوادهم الأعظم من شريحة الشباب و الجامعيين، و يتراوح متوسط أعمارهم بين الثلاثين و الأربعين.[2]

يؤكّد هذا الباحث على أنّ الشيعة يتواجدون في معظم مدن الجزائر، و لهم أماكن معينة يقيمون فيها شعائرهم الدينية الخاصة، و من هذه المدن نذكر مثلاً: تبسة، باتنة، سطيف، عنابة، برج بوعريريج، البويرة، وهران، مستغانم، تيارت، معسكر، بلعباس بالإضافة إلى تواجد أعداد كبيرة

---

1. http://www.aqaed.com/shia/world/algeria/

تواجد الشيعة في الجزائر منذ القدم، حيث بدأت أول دولة شيعية في التاريخ العالمي بعد العراق، و بهذا التاريخ بقيت آثار حب مذهب اهل البيت لحد اليوم، رغم مرور عدة توجهات دينية و سياسية، لم تطمس هذا الاثر الذي يحارب من طرف الاصوليين المتطرفين المدعومين من الوهابية.

٢. روابحي، التشيع ـ في ـ الجزائر ـ بين ـ الظاهرة ـ الطبيعية ـ و ـ صناعة ـ الأقلية، ص ٤.

من الشيعة الجزائريين في العاصمة الجزائر، و خاصة في منطقة عين تموشنت التي تعدّ أشهر مركز للشيعة على صعيد البلاد.[1]

مصادر لمزيد من المعلومات حول شيعة الجزائر

- الشيعة في شمال أفريقيا، جاسم عثمان مرغي (ص٦٢٢).
- مركز الأبحاث العقائدية.
- مؤسسة الإمام الحسين.
- شبكة شيعة الجزائر.
- www.algeriashia.com
- شيعة الجزائر... موسم خلط الأوراق و اللعب بورقة البربر.

دراسة الشيعة و التشيع في الجزائر، موقع الكاتب الصحفي الجزائري أنور مالك.[2]

النتيجة

يعود تواجد الشيعة في بلدان شمال أفريقيا إلى عصر صدر الإسلام، حيث واكب حضور الفاطميين و...، و كان للشيعة الإثني عشرية منذ البدء بوصفهم الخط الأصيل للشيعة تواجد كثيف و ملموس.

ممّا لا شك فيه هو التواجد القديم و المؤثّر للشيعة (بالمفهوم الأعم لكلمة شيعة) في منطقة شمال أفريقيا ماضياً و حاضراً، هذا على الرغم من أنّه في أغلب الأحيان و حتى في عصر الدولة الفاطمية و... لم يكن الشيعة الإثنا عشرية يعيشون ظروفاً مثالية تسمح لهم بالتعبير عن معتقداتهم، و لكن هذا لم يمنعهم أبداً من الانخراط في التأثير الحضاري و كذلك تسجيل حضور مؤثر في المجتمع من خلال التصدّي للمسؤوليات المهمة و الرسمية، و تقديم الخدمات العلمية و

---

١. نفس المؤلف.

٢. مرغى، التشيع فى افريقيا، ص٦٦٣.

الاجتماعية و الدينية... إلخ، و أبرز دليل على ذلك محبة آل البيت التي تسكن قلوب الناس في تلك الرقعة الجغرافية، بالإضافة إلى وجود المزارات و الأضرحة و مقامات الأولياء من أهل البيت و أتباعهم في كل شبر من هذه المنطقة الواسعة، و على الأخص في مصر.

إنّ اهتمام أهل البيت منذ عصر الإمام أمير المؤمنين علي بهذه البلاد الذي تجلّى بإرسال خواص أصحابهم مثل محمد بن أبي بكر و مالك الأشتر و... إلى مصر، و كذلك وجود أضرحة الأشراف السادة في مناطق متفرقة من شمال أفريقيا، أقول إنّ اهتمام أهل البيت يعكس نظرتهم الخاصة لهذه المنطقة من البلاد الإسلامية، و معرفتهم بالأهمية القصوى التي تجسّدها.

بعد انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية المباركة، و انطلاق الحركات الإسلامية، انصبّت جهود الغرب و أعداء الإسلام لقمع هذه الحركات الإصلاحية الإسلامية في إطار التنكّر لهوية الشيعة و وجودهم في أفريقيا، و قطع تواصلهم مع إيران الإسلام، و تصوير إيران على أنّها الخطر الحقيقي على العالم الإسلامي، و بمساعدة الحكام الفاسدين و الدولارات النفطية و عدم وعي الشعوب الإسلامية عن أوضاع بعضها البعض، و فوق كل هذا وجود علماء غافلين أو أحياناً فاسدين، تمّ إشعال فتنة مذهبية، فكان المسلمون بعيدين بعضهم عن بعض إمّا غفلةً أو خشية، و كان عدوّهم هو المستفيد الأول من هذه الأوضاع. و لكن، بعد هبوب رياح الصحوة الإسلامية الجديدة، خاصة مع سقوط دولة الخرافة الداعشية، وانزياح فكرة الخلافة المزعومة لفترة معينة، و ما أصاب الذين كان يحلمون بتأسيس دولة إسلامية على النمط التكفيري الوهابي من يأس و إحباط، تهيّأت الساحة من جديد في المجتمعات الإسلامية لتسليط الضوء على الثورة الأصيلة و الفكر المتعالي لولاية الفقيه و حكومة الفقهاء و الصلحاء للأمة الإسلامية، ويحدونا أمل كبير في نشر هذا الفكر في المجتمعات الإسلامية بإذن الله، و ذلك بفضل صحوة الشعوب و إرادة و عزم العلماء الأصلاء للنهوض بدورهم الحقيقي (وهو إصلاح المجتمع و هدايته نحو كلمة التوحيد).

المصادر

١. إبراهيم، محمد زكي، *مراقد أهل البيت ﷺ في القاهرة*، مؤسسة إحياء التراث الصوفي، ١٤٢٤هـ.

٢. ابن ابى زرع، على، *الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار الملوك المغرب و تاريخ مدينه فاس*، الرباط، دار المنصور للطباعه و النشر، ١٩٧٢م.

٣. ابن جرير الطبرى، ابو جعفر محمّد بن جرير. *تاريخ الرسل و الملوك*، تحقيق: ابو الفضل ابراهيم، القاهره: دار المعارف، الطبعة السادسة. ١٩٦٤م.

٤. ابن فقيه الهمدانى، ابو بكر احمد بن محمد، *مختصر البلدان*، بيروت: دار احياء التراث العربى، الطبعة الاولى. ١٤٠٨هـ.

٥. ابن قتيبه، عبد الله بن مسلم، *المعارف*، تحقيق: ثروه عكاشه، قم: منشورات رضى. ١٣٧٣ش.

٦. ابن كثير، اسماعيل بن عمر، *البداية و النهاية*، تحقيق: شيرى، على بيروت، دار احياء التراث، ١٤٠٨هـ.

٧. ادفوى كمال الدين، *الطالع السعيد الجامع اسماء نجباء الصعيد*، القاهرة، ١٩٦٦م.

٨. الامين، حسن، *دائرةالمعارف الاسلامية الشيعية*، ص٣٥، ٩٠، ١٢٢، ١٢٨، بيروت، ١٩٧٣م.

٩. بررسى زمينه‌ها و راه‌هاى و رود تشيع به مغرب، مجلة «شيعه پژوهى»، السنة الثانية، العدد الخامس.

١٠. البلاذرى، احمد بن يحيى، *فتوح البلدان*، بيروت، دار و مكتبه الهلال، ١٩٨٨م.

١١. التشيع فى أفريقيا (تقرير ميدانى) مركز نماء للبحوث و الدراسات ٢٠١١

١٢. الروابحي، عمر، *التشيع في الجزائر بين الظاهرة الطبيعية و صناعة الأقلية*.

١٣. السلاوى، احمد بن خالد، *الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى*، بحث: احمد ناصرى، الرباط: منشورات و زارة الثقافة و الاتصالات المغربية. ٢٠٠١م

١٤. السيد بن طاووس، على بن موسى، *إقبال الأعمال الحسنة فيما يعمل مرّة فى السنة*، طهران: دار الكتب الإسلاميه، ط٢، ١٤٠٩هـ.

١٥. صالح الوردانى، *شيعه در مصر از آغاز تا عصر امام خمينى*، دائرةالمعارف فقه اسلامى، ١٤٢٤هـ.

١٦. العبادي، أحمد، *مختارة في تاريخ المغرب و الأندلس*، دار النهضة العربية.

١٧. مرغى، جاسم عثمان، *الشيعة فى شمال أفريقيا*، بيروت: مؤسسة البلاغ، دار سلونى. ٢٠٠٥م.

١٨. ـــــــــ، *الشيعة فى مصر*، بيروت: موسسه البلاغ، ١٤٢٣هـ.

١٩. المسعودى، ابو الحسن على بن حسين. *مروج الذهب و معادن الجوهر*، بيروت: دار الكتاب العربية، الطبعة الثانية. ٢٠٠٧م.

٢٠. المقريزى، تقي الدين احمد بن على، *المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار* (المعروف بالخطط المقريزيه)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

٢١. مكى، محمود على، *التشيّع در اندلس*، رسول جعفريان، قم، انصاريان، ١٣٧٦ش.

٢٢. موقع ابنا، *المجمع العالمي للدراسات الشيعية، الدراسات الأفريقية*، مؤسسات الدراسات الشيعية.

٢٣. نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر، مطبعة الفنون المصورة، بوسكا.

2. http://www.aqaed.com/shia/world/algeria/

3. http://www.aqaed.com/shia/world/_tunisia/

٦

المراكز والأنشطة العلمية الإسلامية بشمال افريقيا

محمد على[1]

١. الباحث فى العلوم الإسلامية من افريقيا.

الخلاصة

تعرف الساحة العلمية والفكرية لمنطقة شمال أفريقيا الكثير من التغييرات والتحولات نتيجة مجموعة من العوامل الجيوسياسية والدينية والأمنية وغيرها، مما كان سببا في ظهور ووفود مكونات ثقافية ومذهبية جديدة لم تكن بارزة في السابق لكنها اليوم أضحت بمثابة الظاهرة، مما جذب الكثير من المختصين والمهتمين بالحقل الديني والعلمي لمتابعتها وتحليلها وكذا دراستها و بيان الآثار التي أوجدتها هذه الظاهرة الجديدة. فعلى مر التاريخ تعتبر منطقة شمال افريقيا حصنا أو قلعة خاصة، لها خصوصيات واستثناءات مغايرة لما تعرفه المنطقة في المشرق الإسلامي من تنوع في المذاهب الفقهية والكلامية. إذ ومنذ وفود المسلمين الأوائل إلى هذه المنطقة فإنها ظلت محتفظة بنفس المذهب المالكي (خصوصا لدى دول المغرب العربي) الذي اختارته منذ البداية وكذا العقيدة الأشعرية مع حضور كبير للطرق الصوفية هناك. لكن دول المنطقة عرفت في محطات تاريخية متفاوتة ظهور وحضور المذهب الشيعي، مما يجعلنا نصرح أن ظهور الشيعة الإمامية بالساحة الدينية في شمال افريقيا اليوم ليس جديدا عليها وإنما تجدد ظهوره. ويمكننا رصد هذا الظهور المتجدد للمذهب الشيعي والذي غاب طويلا دام لقرون عديدة مع بزوغ فجر الثورة الإسلامية في إيران، وما لحقه من متابعة وباهتمام كبير من قبل أهل دول شمال إفريقيا لأحداث ظهور دولة شيعية بالمشرق، وانكباب الكثير من المهتمين لفهم هذه الدولة الجديدة و فهم سياستها و منطلقاتها العقدية و المعرفية وغيرها من العوامل التي ساهمت جميعها في إيجاد نزعة جديدة لاتباع مذهب الشيعة الإمامية.[1] إن تفاعل دول

١. الشيعة الإثني عشرية أو الإمامية أو الجعفرية كلها أسماء لنفس المذهب، و غالبا عند ذكر مصطلح الشيعة مطلقا دون

شمال إفريقيا مع أحداث الثورة الإسلامية في إيران واتباع الكثير منهم لمذهب الشيعة الإمامية هي مسألة طبيعية ومنطقية تدخل في إطار تفاعل المكونات الاجتماعية بالمغرب الإسلامي مع المشرق الإسلامي، وكذلك تفاعله مع مختلف المدارس الفلسفية المشرقية، والمذاهب والتيارات الاسلامية الأخرى كالتيار السلفي والمذهب الوهابي، وأيضا اختيار الكثير من الناس لاديولوجيات قادمة من الشرق تحارب الدين كالشيوعية والاشتراكية وأخرى قادمة من الغرب تفصل الدين عن السياسة كالعلمانية. وقد كان لهذا التلاقي والتفاعل تجليات على مستوى الكتابة و التأليف، وظهور أحزاب سياسية على أساس أيديولوجي محض، بل وحتى على مستوى الأنظمة الحاكمة. لذلك لا يجب أن نتابع اختيار البعض لاتباع المذهب الجعفري بحساسية مفرطة أو بمنظار أمني محض. لقد حاول أتباع مذهب الشيعية الإمامية في منطقة شمال إفريقيا أن يكون لهم حضور وعمل متميز في الساحة الدينية والثقافية كسائر التيارات والمذاهب الإسلامية وغير الإسلامية الأخرى، لكنها وبسبب البعد الأمني المفرط وبسبب خصوصيات كل دولة في منطقة شمال إفريقيا لازالت تراوح مكانها ولا يسمح لهذا الوافد الجديد/ المتجدد أن يظهر للعلن، باستثناء وحيد بالدولة التونسية ـ مركز انطلاق الصحوة الإسلامية الأخيرة ـ وما عرفته من تغييرات دستورية جوهرية، فسح المجال كثيرا أمام الحريات الشخصية في الاعتقاد، وكذلك بسط حريات كثيرة في العمل الديني والثقافي والفكري داخل إطار قانوني عام. لذلك سنحاول في هذه المقالة أن نتعرف على أهم المراكز والأنشطة الشيعية بمنطقة شمال إفريقيا وتتبعها وإحصائها قدر المستطاع، وذكر الأسباب التي منعت من ظهور تلك المراكز في بعض الدول.

الكلمات المفتاحية: الحضور الشيعي، المراكز، الأنشطة، الشيعة.

التشيع في شمال افريقيا المعاصر

عند بحثنا لمعرفة الجذور الأولى لدخول المذهب الشيعي إلى المغرب الإسلامي تواجهنا روايات

تخصيص فإن الذهن ينصرف نحو الشيعة الإثني عشرية لكونها الطائفة الأكبر من حيث عدد الأتباع من بين الطوائف الشيعية الأخرى كالشيعة الزيدية والإسماعيلية.



تاريخية متعددة، ولكنها في الجملة تؤكد لنا امرا قطعيا وهو أن المذهب الشيعي كان حاضرا في تاريخ شمال إفريقيا القديم، ومن تلك الجذور ما تعود إلى الدولة الإدريسة التي أسسها المولى إدريس الأول[1] والدولة الفاطمية[2] التي أسسها عبيد الله بن الحسين المهدي.

أما عند الحديث عن الحضور الشيعي بشمال إفريقيا المعاصر لا بد أن نتوقف بداية عند الثورة الإسلامية في إيران وإشعاعها في سماء العالم الإسلامي، وظهور مكون جديد يحمل عنوان الجمهورية الإسلامي في إيران. فكانت محطة أنظار للكثير من المتبعين للشأن السياسي والديني والفكري خاصة لما تزخر به من حوزات علمية حافظت على منهجية فريدة تختلف عما تعرفه حوزات ومدارس الدول الإسلامية الأخرى. وهنا بدأ الكثير يتسائل عن ماهية هذه الثورة؟ و مذهب هذه الثورة؟، فكانت البداية عند الكثير هو ذلك التفاعل مع الثورة الإسلامية، ثم انتقل إلى البحث في المسائل الكلامية، وفي الأخير اختيار البعض للعقيدة الشيعية الإمامية. كما كان لحضور الشيعة من العراق و لبنان بدول شمال إفريقيا ومن خلال اندماجهم في المجتمع، وكلامهم وتعريفهم بمذهب أهل البيت﷛ ، وكذلك تداول بعض الكتب ـ رغم التضييقات ـ لبعض أعلام الشيعة كالشهيد باقر الصدر والسيد فضل الله، وسائر الكتب التاريخية والكلامية والتقريبية التي بينت حقيقة عقيدة الشيعة الإمامية وما تحمله من دعوة للوحدة السلامية، الأثر الكبير في اختيار الكثير من أهل شمال افريقيا للمذهب الشيعي الاثني عشري.

واليوم وفي ظل العالم القرية أصبح الاطلاع على كل ما يدور في العالم في متناول الجميع، وأضحى التضييق والمنع على معارف وعلوم أهل البيت﷛ أمرا مستحيلا. ففي عصر الفضائيات

---

١. هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أول من دخل المغرب من الطالبين، أسس فيها عام ١٧٢هـ الدولة الإدريسية التي تعتبر ثاني دولة إسلامية مستقلة (عن الخلافة الإسلامية) في المغرب الأقصى بعد دولة الأمويين في الأندلس.

٢. أسس الفاطميّون مدينة المهدية في ولاية إفريقية سنة ٣٠٠هـ المُوافقة لِسنتيّ ٩١٢ ـ ٩١٣م، واتخذوها عاصمةً لدولتهم الناشئة، وفي سنة ٣٣٦هـ المُوافقة لِسنة ٩٤٨م، نقلوا مركز الحكم إلى مدينة المنصوريَّة. ولَّما تمَّ للفاطميين فتح مصر سنة ٣٥٨هـ المُوافقة لِسنة ٩٦٩م، أسسوا مدينة القاهرة شمال الفسطاط، وجعلوها عاصمتهم، فأصبحت مصر المركز الروحيّ والثقافيّ والسياسيّ للدولة، وبقيت كذلك حتّى انهيارها.



والشبكات الرقمية، وما تمنحه المقررات والمعاهدات الدولية من حقوق وحريات في المعتقدات وممارستها، اتسع الوجود الشيعي الإمامي في دول شمال إفريقيا ـ رغم صعوبة تحديد إحصاء وأرقام خاصة ـ وأصبح الجميع يتحدث عنه ويتابعه، كما حاولت جهات أخرى محاصرته والتهجم عليه.[1]

للأسف الشديد صاحب هذا الانتشار الواسع للمذهب الشيعي الجعفري إشاعات وتهم كثيرة، كانت الغاية منها الحد من إقبال أهل شمال إفريقيا على مذهب أهل البيت‌عليهم‌السلام. ومن أهم تلك التهم هي ربط التشيع بالثورة الإسلامية في إيران والكلام عن تصدير تلك الثورة إلى المنطقة، ومعنى ذلك أن الأنظمة في المنطقة ستهتز أمام زلزال الإسلام الحركي الثائر، وأن النفوذ الغربي سيتراجع، وأن المصالح الاقتصادية للعالم الحر سوف تتعرض للخطر، وأن الحياة سوف تشهد امتدادا للإسلام باعتباره حركة للفكر وللتشريع وللسياسة والاقتصاد، لتكون البديل عن الواقع المعاصر في كل اتجاهاته الفكرية وخطوطه العملية.[2] مما أثار الخوف لدى الكثير من الأنظمة بمنطقة الشرق الأوسط وكذلك دول شمال إفريقيا، ورغم ان الامام الخميني قدس سره وضح مفهوم تصدير الثورة عندما خاطب سفراء الجمهورية الإسلامية بقوله: «إننا نستطيع تصدير الثورة الإسلامية.. التصدير يتحقق بإنماء الحقائق الإسلامية والأخلاق الإسلامية الإنسانية هناك»[3] كما أضاف أيضا «عندما تدخلون بلدا يجب أن تتصوروا أنكم تريدون تربية أبناء البلد كما تربون أبناء بلدكم، وتبتغون تصدير الإسلام إليه، وتصدير الإسلام يتم عن طريق الأخلاق والآداب والأعمال الإسلامية حتى يقبل الناس عليكم»،[4] إلا أنه لم يشفع في إيجاد درك صحيح لمفهوم تصدير الثورة غير ذلك يحمل مفهوم الإطاحة والانقلاب على الأنظمة الحاكمة. فصار ما يصطلح عليه اليوم بالتشيع السياسي والنفوذ الإيراني في الدول ذات الأكثرية السنية، ذريعة لصد ومنع الناس من اختيار المذهب الشيعي الإمامي للتعبد به، وبدل أن يتم طرح هذا الأمر في المحافل

---

١. كالهجوم الشنيع الذي أدى إلى استشهاد أربعة من الشيعة ومنهم الشهيد حسن شحاتة بقرية زاوية أبو مسلم في محافظة الجيزة بمصر.

٢. سلسلة كتاب التوحيد ـ مقالة محمد حسين فضل الله ـ ص٨٣، العدد ٣ ـ ١٩٩٥م.

٣. مختارات من أقوال الامام الخميني، ج٣، ص٥٠، وزارة الارشاد الاسلامي، ط١، ١٤٠٢هـ.

٤. المصدر السابق، ص٤٨.

العلمية والجامعات والحوزات الدينية، نجده يتداول أكثر في الأرجاء الأمنية والسياسية. وبدل أن ينظر إلى المذهب الشيعي الجعفري كمذهب ومدرسة كلامية فقهية أصولية خاصة، صار يتابع كعقيدة سياسية ذات بعد انقلابي ثوري يهدد الأمن الروحي و الديني بالمنطقة. إضافة إلى تلك الحملة العالمية لمحاصرة امتداد الروح الإستقلالية والإبائية التي انطلقت من خلال الثورة الإسلامية في إيران، خاصة بعدما قدمته من نموذج مثالي للتخلص من التبعية الغربية أو الشرقية، وأيضا ما حققته هذه الثورة من إنجازات عظيمة تشهد عليها المكانة العلمية والقوة الاقتصادية والحنكة السياسية التي تحتلها بمنطقة الشرق الأوسط وفي العالم.

المراكز و الأنشطة الشيعية بشمال افريقيا

١. المغرب

المغرب من الدول التي لم تتأثر كثيرا من رياح الربيع العربي والتغييرات الجذرية التي عصفت ببعض دول المنطقة، لكن النظام الحاكم اضطر إلى الإنحاء لتلك العاصفة القوية وقام بتلبية المطالب التي كان المتظاهرون يطالبون بها، وتمثل ذلك في تعديل الدستور والتصديق على مجموعة من المقرارت كالفصل بين السلطات واحترام استقلال القضاء، ومنح صلاحيات أكثر لرئيس الوزراء بحيث أصبح هو المسؤول عن إدارة الحكومة، ويتم اختياره من الحزب الفائز بأكثرية الأصوات في الانتخابات البرلمانية، في إشارة صريحة لاحترام أصوات الناخبين. وغيرها من الإصلاحات الهامة وصفتها وسائل الإعلام ثورة سياسية وثقافية في المملكة المغربية مما جنبها مآل بعض دول المنطقة.

ذكرنا هذه المقدمة لتبيان أمر أساسي فيما يخص فعالية الشيعة الإمامية بالمغرب، حيث أن النظام العام بالمغرب لم يتغيركثيرا وإنما أضاف إصلاحات هامة على المستوى السياسي و الدستوري، بينما الشأن الديني ظل ثابتا بعيدا عن أي تغييرات أو قراءات جديدة. ومنه فالموقف السلبي العام اتجاه المغاربة الشيعة الإمامية سواء من طرف النظام الحاكم أو من طرف المخيال الإجتماعي لم يتغير، ولازال يعيش توهمات تصدير الثورة والنفوذ الإيراني بالمنطقة.

من أجل ذلك لازال الظهور الشيعي بالمغرب خافت وخفي، لم يستطع أن يجد له موطأ قدم في العلن، لأنه لازال غير مرحب به، وللأسف دائما ما يقرن في الإعلام عند الحديث عن المكونات الأقلية، كالمغاربة الذين تنصروا والفرقة الأحمدية والبهائية. قد كانت هناك محاولات عديدة من طرف بعض الوجوه الشيعية المعروفة بالمغرب للعمل بشكل علني في إطار مؤسساتي كمراكز علمية ثقافية أوجمعيات تهتم بالأنشطة الإجتماعية، لكنها لم تحصل على الترخيص الرسمي من طرف السلطات المعنية، مما دفع البعض منهم أن يلجأ إلى الفضاء الرقمي ليتخذه كمنصة للتعبير عن وجود مكون مغربي شيعي إمامي، وليطرح أفكاره وآراءه بشكل علني.

الاول: جمعية الغدير

تعتبر من أولى المحاولات للعمل المؤسساتي، حيث تقدم بعض الشيعة بمدينة مكناس بطلب تأسيس «جمعية الغدير» لكنها سرعان ما انتهت، إذ «كانت مسألة عفوية وأصحابها أرادوا مجرد عمل جمعوي ذي أهداف ثقافية واجتماعية، لكنهم سرعان ما نسوا الموضوع وتجاوزوه ولكن للأسف الذين يتحدثون عن الموضوع بهذه المبالغة لا يعبرون عن الواقع. ويجعلون من الحبة قبة».[1] وهو ما نشهد اليوم حيث لم يعد لها أي وجود حقيقي أو حقوقي.

الثاني: جمعية أنوار المودة

عرفت مدينتي طنجة وتطوان عدة محاولات لتأسيس جمعيات مدنية تعمل في المجال الثقافي والتربوي باءت كلها بالفشل بسبب رفض السلطات الإدارية في المدينتين منح الترخيص القانوني للشيعة هناك. ومن هذه المحاولات، تقديم طلب تأسيس جمعية «أنوار المودة» بمدينة طنجة سنة ٢٠١٠، وتقديم طلب أول بمدينة طنجة لتأسيس جمعية «رساليون تقدميون» سنة ٢٠١٣، رفض الطلب هو الآخر، ثم تقدموا بطلب ثان بمدينة تطوان بتاريخ ٢٠١٦/ ٠٤/ ١٦ رفضته عمالة سلطات مدينة تطوان هو الآخر.[2]

---

١. من كلام الباحث المغربي الشيعي إدريس هاني في حوار مع الصحفي لحسن ولعنام. http://www.aqaed.com.

٢. جريدة الاتحاد الاشتراكي الصادرة بالمغرب ـ تاريخ ٢٠١٦/ ٠٧/ ٨.



الثالث: مركز الخط الرسالي للدراسات و النشر

بعد الرفض المتتالي لطلبات تأسيس جمعيات في إطار قانون الحريات العامة، توجه مجموعة من الشيعة كانوا قد أعلنوا عن تشكيل تجمع في فضاء الإنترنت يحمل إسم الخط الرسالي، إلى اتباع مسار قانوني آخر لا تكون فيه لوزارة الداخلية أية سلطة على طلبهم حيث تقدموا بطلب سنة ٢٠١٤ للمحكمة التجارية بفاس لتأسيس «مركز الخط الرسالي للدراسات والنشر» يكون خاضعا للقانون التجاري فقط.[١] وحصول هذا المركز على الترخيص القانوني ولو بتلك الصفة يعد إنجازا متقدما في نفسه، رغم ما عرفه من انتقادات واسعة وتهويل للأمر كزحف المد الشيعي بالمغرب من طرف التيار السلفي و بعض الأوساط التي تنتمي للجماعات الإسلامية.

٢. الجزائر

لا أحد يستطيع أن يشكك في قدم الحضور الشيعي بالجزائر، حيث ترجع جذوره إلى فترة قيام الدولة الشيعية في شمال إفريقيا على يد عبيد الله الشيعي (الوفاة ٢٩٨هـ)، بل وكما جاء في كثير من الكتب التاريخية عندما ذكرت قدوم عبيد الله الشيعي إلى الجزائر مع مرافقيه من برابرة الجزائر «أنهم ما إن قاربوا بلادهم حتى لقيهم رجال من الشيعة»[٢] وفيه إشارة صريحة أن تلك البلاد كانت شيعية، وأهلها الذين كانوا يذهبون إلى الشرق أيام الحج إصالة شيعة. ومع توالي السنين أصبحت الجزائر معروفة باتباعها للمذهب السني المالكي مع وجود لأقلية إباضية.

أما اليوم فالشيعة في الجزائر يعتبرون أقلية آخذة في الازدياد، بل وأصبحت ظاهرة نالت من اهتمام الإعلام الداخلي والخارجي، وللأسف وبنفس الدعاية العالمية في التهويل من أمر انتشارهذا الأمر وكأنه امتداد لإيران الشيعية وتوسعا لها خارج منطقة الشرق الأوسط وصولا إلى المغرب العربي، مع مافيه من استخفاف كبير بعقول الناس ووعيهم، وممارسة نوع من الوصاية على

---

١. نفس المصدر السابق ـ ويعتبر موقعه على شبكة الانترنت: http://www.ressali.com النشاط الأساسي الذي يقوم به حاليا.

٢. زبيب، نجيب، دولة التشيع في بلاد المغرب، ص١٧٧.

تفكيرهم وإيذانا بنوع جديد من محاكم التفتيش التي تحاسب الناس على معتقداتهم وإيمانهم. لذلك لم نجد أية مراكز أوأنشطة ثقافية بشكل رسمي للشيعة الإمامية بالجزائر، نظرا للمقاربة الأمنية التي يمارسها النظام مع أي وافد ديني جديد على المجتمع الجزائري،[1] مما دفع البعض منهم إلى اللجوء إلى الفضاء الرقمي لكونه المتنفس الوحيد لهم لإيصال رسائلهم إلى المجتمع وبيان حقيقتهم بعيدا عما يتداول في الفضائيات والشبكات العنكبوتية المغرضة والباثة للكثير من البهتان حول الجزائريين الشيعة الإمامية، كصفحة شيعة أهل البيت عليهم السلام في الجزائر وصفحة شيعة الجزائر على موقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك.[2]

٣. تونس

التشيع في تونس له جذور قديمة ومترسخة في ثقافة هذه الدولة، ويمتد جذوره حتى قبل قيام الدولة الفاطمية إلى حين انتشار التشيع الفاطمي من مدينة المهدية التونسية، حيث عاشت تونس نحو قرن من الزمن تحت حكم الفاطميين. واليوم تعد تونس الاستثناء في شمال افريقيا بسبب وضعية الشيعة الإمامية التونسيين مقارنة مع دول الجوار. وقد ذكرت عدة تفسيرات لهذا الأمر: فثمة من يقول إن حرية المعتقد أمر يكفله دستور البلاد و إن الدولة لا تتدخل في معتقدات الناس والمذاهب التي يعتنقونها. وهناك من يرجع الأمر إلى «طبيعة التونسيين» المتسامحة و قدرتهم على التعايش مع بعضهم البعض، بقطع النظر عن المعتقدات و المذاهب، فيما يرى البعض الآخر أن هذا «الصمت الرسمي» على انتشار التشيع في تونس مرده العلاقات بين الحكومة التونسية و الحكومة الإيرانية، و هي علاقات تو طدت خلال السنوات الأخيرة.[3] لذلك نجدهم يمارسون شعائرهم وطقوسهم بحرية تامة، دون أن يتعرضوا لأي نوع من المضايقات. ومن أهم الوجوه الشيعية

---

١. خصوصا مع ما عاشته الجزائر من حرب أهلية عرفت «بالعشرية السوداء» دارت رحاها بين الجماعات الإسلامية المسلحة المعارضة و الجيش الجزائري وما خلفته من دمار كبير في المدن والقرى، وقدر ضحايا هذه الحرب نحو ٢٠٠٠٠٠.

2. ar-ar.facebook.com.

٣. الشيعة في تونس بقلم: نورالدين المباركي ـ pulpit.alwatanvoice.com

بتونس السيد محمد التيجاني السماوي الذي ألف كتبا عديدة توضح حقيقة الشيعة الإمامية منها: ثم اهتديت، لأكون مع الصادقين، فاسألوا أهل الذكر، الشيعة هم أهل السنة. أما بخصوص المؤسسات والمراكز الشيعية بتونس حاليا، وقبل أن نشير إليها لابد أن نوضح مسألة مهمة، وهو التمييز بين كون مؤسسيها من الشيعة الإمامية وبين عمل تلك المؤسسات في المجال العلمي والمدني والاجتماعي، فالغاية منها هو العمل من خلال ما تخوله القوانين وما تمارسه سائر المؤسسات الأخرى من الاهتمام بالأمور الداخلية لتونس كأي مواطن تونسي، وكذلك التعبير الحر عن القضايا الإسلامية والعالمية وما تعيشه الأمة العربية من حروب وأزمات، وأيضا سعيها إلى التعريف بهوية الشيعة الأمامية بتونس الحقيقية، وليس ما تبثه الفضائيات والشبكات العنكبوتية من نعرات طائفية هدفها هو سعر نار الفرقة والتكفير، فكان لزاما ظهرو هذه المراكز لكي تدافع عن نفسها، وتمنع تأليب المجتمع التونسي ضدها.

الاول: جريدة «الصحوة التونسية»

كان أول صدور لها بتاريخ ٠٢:١٤/ ٢٠١٣ في الذكرى الثانية للثورة التونسية، وجاء في صفحتها الأولى بأنها «صحيفة أسبوعية عربية مستقلة جامعة تقوم على شعار»: الحق أحق أن يُتبع «كما ورد في أول افتتاحية لها أن مشروع الصحوة معني مباشرة» بتعزيز قيم الحرية والعدل والتوحيد وتأصيل قيم الثورة التونسية واستكمالها والمحافظة على مكتسباتها ضمن محور الوحدة والتوحيد والمقاومة، هذا وتطرقت الصحيفة إلى العديد من المواضيع حيث وردت مقالات عن الثورة في البحرين بالإضافة إلى أخبار الشيعة في باكستان والبحرين.[1] مؤسسها ورئيس تحريرها هو د. هشام البوعيدي تخصص فلسفة، وقد صرح في حوار له «إن تونس تخلو من أي صراع طائفي، وصحيفتي ليست شيعية تماماً كما يقولون، بل متنوعة وعامة ومعظمها عن الشأن المحلي».[2]

---

١. https://ar.webmanagercenter.com ـ صدور أول صحيفة للشيعة في تونس ـ يوم ١٨ / ٠١ / ٢٠١٣

٢. www.arrakmia.com هشام البوعيدي مؤسس أوّل صحيفة «شيعية» في تونس.. فيلسوف ـ يوم ١٩ / ٠١ / ٢٠١٣

الثاني: مركز مسارات للدراسات الفلسفية والانسانيات

تعتبر القضية الفلسطينية القلب النابض لهذا المركز والوقوف إلى جانب المقاومة أهم سمة يتميز بها، وقد أسسه د. فوزي العلوي بالعاصمة تونس، ويصدر من هذا المركز مجلة فصلية تحت عنوان «مسارات» متخصصة بالدراسات الفلسفية والإنسانيات.

الثالث: جمعية المودة الثقافية

يذكر مراد الشلبي مؤسس جمعية المودة الثقافية أن الهدف الأساسي لها هو إحياء ونفض الغبار عن تراث أهل البيت عليهم السلام في تونس وبالتحديد لان هذا الإرث التاريخي تعمد الطرف الآخر عبر مدة من الزمن حجبه عن أعين الناس اي المدرسة السنية تحديدا. وقد كانت هنناك محاولة سابقة لتأسيس جمعية الزهراء لكن تم التعاطي مع ملفنا بشكل أمني.[1]

الرابع: الرابطة التونسية للتسامح

إنطلقت الرابطة التونسية للتسامح في عملها بعد سقوط نظام بن علي و ذلك من خلال رؤية تعتبر التعصب أحد المخاطر التي تهدد الثورة التونسية و نسيج المجتمع التونسي ــ وفقا للقائمين على الرابطة ــ ظهرت في الإعلام عام ٢٠١٢ عندما نظمت «مهرجان الأقصى» بمدينة بنزرت أقصى شمال البلاد (٦٠ كلم شمال العاصمة) والذي استضافت فيه «عميد الأسرى اللبنانيين» سمير القنطار، وفي أكتوبر من نفس العام طالبت الرابطة مع جمعيات تونسية أخرى، طالبت بإدخال مادة «تجرم التطبيع مع الكيان الصهيوني» في الدستور التونسي.[2] وقد تعرضت هذه الرابطة للكثير من الاتهامات التي تضعها في إطار التفوذ الشيعي الإيراني، الأمر الذي نفاه السيد صلاح المصري رئيس الرابطة، وأكد أنها جمعية مدنية لا علاقة لها بالانقسامات المذهبية والدينية، وأن الهجمة التي

---

١. ansaar.yoo7.com ـ ملف عن الشيعة في تونس، بعد الثورة من السرية إلى العلنية، ٢٠١٢/٠٦/٠٢

٢. www.assakina.com، الرابطة التونسية للتسامح.

تتعرّض وكذلك اتهامها بنشر التشيع في تونس كلها لها علاقة مباشرة بالتحرّكات التي تقوم بها الرابطة على مستوى القضية الفلسطينية.[١]

الخامس: جمعية اهل البيت الثقافية

ويديرها السيد عماد الدين الحمروني،[٢] وتتواجد بمدينة قابس، وأهم أنشطتها إقامة الشعائر الدينية ونشر ثقافة الوعي في المجتمع.[٣]

٤. مصر

تعتبر «دار التقريب» الحجر الأساس في التقريب والتعريف بالشيعة الإمامية في مصر والعالم الإسلامي، وقبلها كانت فكرة الجامعة الإسلامية التي دعا إليها السيد جمال الدين الأفغاني وعرفت بها حركته الإصلاحية، وأراد منها التأكيد على حقيقة أن مصير العالم الإسلامي ومستقبله وتقدمه لا يتحقق إلا من خلال مفهوم الجامعة الإسلامية.[٤] ومن ثمار دار التقريب تلك الفتوى التاريخية التي أصدرها الشيخ شلتوت شيخ للأزهر التي اعترفت بالمذهب الشيعي وأجازت التعبد به، كما أنها أصدرت مجلة حوارية جامعة باسم «رسالة الإسلام»، فكانت منبرا للتفاعل الحي والحوار الراقي بين الشيعة والسنة، وقد ظلت المجلة تصدر طيلة أربعة عشر عاما دون توقف، كما شرعت في تجميع الأحاديث النبوية المتفق عليها بين الطرفين. لكن هذا الجهد الكبير أحبطته السياسة بسبب توتر العلاقة بين الرئيس السادات والثورة الإيرانية مما أدى إلى شل مشروع التقريب.[٥] فالمذهب الجعفري معترف به من قبل أعلى مرجعية دينية في مصر، وقد أكد الدكتور محمد سيد طنطاوي

١. نفس المصدر السابق.

٢. http://m-mahdi.net

٣. www.aqacd.com، الشيعة في العالم ـ تونس

٤. http://ar.wikishia.net ـ دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

٥. انظر مقاله: فهمي هويدي ـ التقريب بين الدين والسياسة، ٢٣/ ٠١/ ٢٠٠١.

استمرار العمل بالفتوى في يناير/ كانون الثاني ١٩٩٧ حيث كان شيخ الأزهر آنذاك.[١]

نعم هي السياسة ونفس ذلك التهويل من المد الشيعي الإيراني بمنطقة شمال إفريقيا دائما، وليس لأسباب موضوعية مقنعة، حيث مباشرة بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران تم حضر جميع فعاليات دار التقريب، ومنع الحريات الشخصية للشيعة المصريين وأحيانا متابعتهم أمنيا. كما كان للخطاب الإقصائي التكفيري الذي تتبناه مجموعة من التيارات الإسلامية المصرية دورا هاما في إذكاء نار الفرقة بدل التقريب، وتضليل الناس بمغالطات حول المذهب الجعفري، بل سعى أيضا إلى تكذيب أصل إصدار فتوى الشيخ شلتوت. وخير مثال على تدهور الأمور حينها ما حصل ل«جمعية آل البيت»، التي كانت تعد الواجهة الأبرز للتشيع في مصر، ومارست الجمعية نشاطاتها بحرية نسبية، نتيجة للعلاقة القوية التي كانت تربط بين نظام حكم السادات وإيران، إبان حكم الشاه. بيد أن قيام الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩، ودخول نظام السادات في صدام مع ايران، ومن ثم قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، ترتب عليه إلغاء الجمعية بقرار من الحكومة، كما تم مصادرة مسجد آل البيت التابع لها.[٢]

لكن مصر اليوم وخصوصا بعد الثورة ورغم كل التغييرات التي شهدتها على جميع المستويات، إلا أن الحساسيات الأمنية والهجمة الإعلامية ضد الشيعة الإمامية لم تتغير، بل وشهدت تطورات خطيرة إبان الهجمة الوحشية على بعض المصرين الشيعة وقتلهم،[٣] مما جعل أي نشاط أو تحرك للمكون الشيعي بمصر دائما تحت المجهر، والأبواق الإعلامية المتحيزة والمأجورة لتنفيذ أجندات عالمية كحصار ومحاربة مذهب الإمامية دائما مستعدة للقصف وتأليب مختلف فئات المجتمع المصري ضد المصريين الشيعة، كما هو الحال ـ بعد الثورة ـ عندما حاول المفكر الشيعي أحمد راسم النفيس تأسيس حزبا سياسيا باسم «الوحدة والحرية»، ورغم تأكيده أن الحزب يؤمن بمدنية

---

١. www.assakina.com ـ الشيعة والتشيع في مصر ـ ٠٥/ ١٢/ ٢٠١٤.

٢. http://www.aqacd.com، الشيعة في مصر.

٣. الهجوم الشنيع الذي أدى إلى استشهاد أربعة من الشيعة ومنهم الشهيد حسن شحاتة في محافظة الجيزة.



الدولة، ويرفض دخول الدين أو العقيدة في الصراع السياسي، ويجب أن يكون صراعا سياسيا حول مصلحة المجتمع، لكن الآلة الإعلامية أبت إلا أن تلصق به لازمة الحزب الشيعي وإضفاء البعد الطائفي الديني على الحزب،[1] كذلك الدولة رفضت في الأخير منح المجوز الرسمي لتأسيس هذا الحزب تحت ذريعة قانونية بعدم إستيفاء الشروط اللازمة.

مركز علوم آل البيت

من المراكز التي تداولتها الأخبار و بكثرة وكأنه سبق صحفي، تدشين أول حوزة علمية شيعية بمصر يحمل اسم «مركز علوم آل البيتﷺ»، والذي يقع بشارع مجلس الأمة، قريبا من مقر مجلس الشعب، بجوار مقر مشيخة الطريقة العزمية بحي السيدة زينب، كما أن الدكتور عاصم فهيم هو رئيس مجلس إدارة هذا المركز.[2]

٥. السودان

يعد السودان أكبر الأقطار الأفريقية والعربية مساحة ويحتل عشر مساحة أفريقيا، أما سكانه فهم خليط من القبائل العربية والأفريقية والنوبية مع وجود أقليات تركية ومصرية وليبية وغجرية (حلب) وأثيوبية وأريتيرية وهندية، وتضم ما لا يقل عن ٦٠٠ من القبائل و الأعراق المختلفة. وإلى عهد قريب كانت السودان بعيدة عن التماهي مع الهجمة الطائفية العالمية، التي بعدما يئست من صنع حرب قومية (فرس/ عرب) ثانية في العالم الإسلامي كما كان الحال في حرب الخليج الأولى بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران وبإيعاز من أمريكا.

---

١. مع العلم أن الدستور والقانون يمنعان تأسيس مصر هذه الكيانات، حيث تقول نص المادة مادة (٧٤) من الدستور: «للمواطنين حق تكوين الأحزاب السياسية، بإخطار ينظمه القانون. ولا يجوز مباشرة أى نشاط سياسى، أو قيام أحزاب سياسية على أساس دينى، أو بناء على التفرقة بسبب الجنس أو الأصل أو على أساس طائفى أو جغرافى، أو ممارسة نشاط معاد لمبادئ الديمقراطية، أو سرى، أو ذى طابع عسكرى أو شبه عسكرى، ولا يجوز حل الأحزاب إلا بحكم قضائى» www.assakina.com ـ الشيعة والتشيع في مصر ـ ٠٥/ ١٢/ ٢٠١٤.

٢. http://islamstory.com ـ مركز علوم آل البيت أول حوزة شيعية في مصر بالسيدة زينب ٢٠١٢/ ٠٧/ ١٨.

فقد كانت العلاقات السودانية الإيرانية تعيش نوعا من الاستقرار والتعاون في مجالات شتى، لذلك فحضور المكون السوداني الشيعي في الوسط الاجتماعي والثقافي لم يكن يسبب حساسية أمنية، والسلطات السودانية لم تكن منزعجة منها رغم محاولات عديدة من طرف تيارات إسلامية متطرفة من بث أوهام الخوف من المد الشيعي بالسودان. لذلك فالأنشطة الثقافية والعلمية للسودانيين الشيعة إلى عام ١٩٩٢م كانت تتم بشكل رسمي وقانوني، وكانت السلطات تمنح الرخص اللازمة دون إشكال، ومنذ ذلك التاريخ إلى عام ٢٠١٣م كانت تلك الأنشطة تأخذ إطارها الطبيعي في الوسط العلمي والثقافي، وكانت الحريات الشخصية لممارسات معتقدات أي مكون مذهبي بالسودان مسموح بها. ويمكن رصد مجموعة من المراكز والأنشطة الثقافية خلال هذه الفترة.

الأول: الجمعيات والمنظمات

١. جمعية أصدقاء المركز الثقافي الإيراني

٢. رابطة الثقلين.

٣. رابطة آل البيت.

٤. رابطة المودة.

٥. رابطة الظهير

٦. رابطة الزهراء، وهي رابطة خاصة بالطالبات بالمدارس والمعاهد والجامعات، وتشرف عليها إحدى أهم الناشطات بالحركة الشيعية النسائية في السودان، وهي أيضاً عضو مهم ومؤثر بالاتحاد النسائي الإسلامي.

٧. رابطة سفينة النجاة الثقافية الإسلامية، ومقرها بالعاصمة الخرطوم وتحت إشراف مديرها السيد محمد الزاكي، حيث كانت تهتم بإقامة دورات دراسية تأهيلية خاصة بالشيعة، والعمل على بسط حقيقة مذهب أهل البيت عليهم السلام في السودان. وهي رابطة نشطة جدا خاصة في بعض قرى شمال كردفان مثل أم دم حاج أحمد.

٨. جمعية الثقلين الخيرية: تشرف هذه الجمعية حسب بعض المصادر على المساجد والزوايا ذات الميول الشيعية.

٩. جمعية الرسالة والتضامن الإسلامي

١٠. جمعية الاخوة السودانية الايرانية: تنضوي هذه الجمعية تحت لواء مجلس الصداقة الشعبية العالمية بالخرطوم، وهي مؤسسة شبه رسمية تعمل في مجال تعميق الصداقة بين الشعوب أو ما يعرف بالدبلوماسية الشعبية، وقد ترأسها في بدايات نشأتها وزير خارجية السودان الأسبق د. مصطفى عثمان إسماعيل.

١١. جمعية آل البيت الخيرية ولها مجلة (الهدى المحمدي) رئيسها الشيخ نيل ابو قرون.

الثاني: المدارس

١. مدرسة الجيل الاسلامي في منطقة الحاج يوسف بالخرطوم، تخرجت الدفعة الاولى منها بتاريخ ٢٦/ ٤/ ١٩٩٥م.

٢. مدرسة الإمام علي بن ابي طالب الثانوية للبنين بمنطقة الحاج يوسف في محافظة شرق النيل بالخرطوم

٣. مدرسة فاطمة الزهراء لمرحلة الأساس للبنات بمنطقة مايو جنوب الخرطوم أيضاً.

الثالث: المعاهد

١. معهد الإمام جعفر الصادق الثانوي للعلوم القرآنية والدينية بحي العمارات، ويضم المعهد ثلاث أقسام دراسية:

- قسم التجويد: ومدة الدراسة فيه سنتان، يمنح الطالب بعدها شهادة إجازة في التجويد.
- قسم القراءات: ومدة الدراسة فيه أربع سنوات، يمنح الطالب بعدها شهادة إجازة أهلية في القراءات.
- القسم الثانوي العلمي: ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات، يمنح بعدها الطالب شهادة إجازة أهلية في العلوم الدينية.

٢. معهد الإمام علي العلمي الثانوي للقراءات بمنطقة الفتيحاب بمحافظة أم درمان، والذي أسس في سنة ١٩٩٦م.

لكن سنة ٢٠١٣م ستعرف منحى آخر للسياسة الداخلية اتجاه مراكز وأنشطة السودانيين الشيعة، حيث قامت السلطات السودانية بمنع جميع الأنشطة الثقافية والاجتماعية الشيعية، لكنها لم تصدر قانونا في ذلك وإنما عن طريق إعمال تشديدات وعراقيل ومتابعات وغيره من الأساليب الأمنية المعروفة. وفي سنة ٢٠١٥م ستعرف مرحلة أخرى من التشديد والمنع، حيث أصدر االمجلس الوطني السوداني قانون يجيز تجريم الشيعة بالسودان،[١] طبعا القانون في ظاهره موجه ضد بعض الأعمال التي تصدر من الشيعة الغلاة في العالم، ومن بعض التيارات الشيعية المتطرفة والتي تصب في نفس مساعي وأهداف أعداء الوحدة الإسلامية. لكن هذا القانون جاء ليضع حدا لأي نشاط شيعي في السودان، كما تم غلق المراكز والممثليات الثقافية الإيرانية، وازدادت حدة الهجمة الإعلامية وأبواق التيارات السلفية والوهابية بموازات مع قرارات الدولة. طبعا هذا التغيير المفاجئ في السياسة الداخلية ليس بمنأى عن تغيير تموقع السياسة الخارجية للدولة.[٢]

٦. موريتانيا

ينتمي أكثر المسلمين في موريتانيا الى (بني حسان) وهم فرع من (قبائل بني معقل) الزينبيين الذين قدموا الى موريتانيا مع بني هلال من الجزيرة العربية أبان الحكم الفاطمي (٩٠٩ ـ ١١٧١م). والزينبيون نسبة (لعلي الزينبي) ابن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب،

---

١. www.altareeq.info ـ قانون لـ(تجريم نشاط الشيعة) بالسودان والشعبي يرفض إغلاق المراكز الإيرانية.

٢. حيث أجاز المجلس الوطني السوداني (البرلمان)، قانون يجرم كل من يسب أو يطعن في أي من أصحاب النبي محمد أو أي من زوجاته أو آل بيته بالسجن ٥ سنوات، كما تم تشديد العقوبة في حالة تكرار الجريمة لتصل إلى الإعدام. وقبل ذلك بسنة قامت السلطات السودانية بإغلاق المراكز الثقافية الإيرانية وإمهال موظفيها ٧٢ ساعة لمغادرة البلاد بتهمة «التبشير بالمذهب الشيعي» كما صرح خطيب ورئيس مجمع الفقه الإسلامي، الدكتور عصام أحمد البشير أن الدولة ستقوم بمصادرة الكتب الموجودة في المعارض والمراكز وستراجع كافة المدارس والمعاهد الخاصة المسماة بفاطمة الزهراء وجعفر الصادق وكل مدرسة لم تلتزم بمنهج الدولة ستغلق.



وأمه العقيلة زينب عليها السلام بنت أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام.[١] كما كان لقيام دولة الادارسة والفاطميين ودولة الحفصيين والعلويين أن ترك إرثا شيعيا كبيرا في المجتمع الموريتاني. ولازال الحضور الشيعي بموريتانيا قائما إلى يومنا هذا، ويمكن مشاهدته من خلال مجموعة من العادات الموريتانية وداخل المخيال الاجتماعي الموريتاني. وتعتبرموريتانيا الدولة الأقل كثافة سكانية بمنطقة شمال إفريقيا،[٢] لذلك فإن رصد أي ظاهرة ثقافية أو دينية في المجتمع الموريتاني يعد أمرا يسيرا، بسبب انعكاسه على الساحة الإعلامية بسرعة.

وموريتانيا ليست بدعا من دول المنطقة التي شهدت نمو النشاط الشيعي الإمامي، فهي بدورها عرفت محاولات لتأسيس مراكز ومدارس للعمل الثقافي الديني بموريتانيا، كما عرفت تأليب الرأي العام ضد الشيعة هناك، واتهامهم بنفس ما اتهم به إخوانهم في الدول المجاورة لها. لذلك فالإعلام المحرض للفتنة والفرقة نراه يتبع كل عمل أو كلمة منسوبة إلى الشيعة بموريتانيا، والهدف الأول والأخير من كل هذا هو منع الناس من التعرف على حقيقة الشيعة الإمامية التي تدعوا للوحدة، ومنح الفرصة للمتربصين وأعداء الدين أن يسودوا بعد أن فرقوا. هذا الامرنشاهده عندما قام مفتي الجمهورية الموريتانية أحمدو ولد حبيب الرحمن يطالب الرئيس الموريتاني الى اتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة التغلغل الشيعي داخل المجتمع الموريتاني، محذرا من خطورة التدخل الإيراني بالمنطقة،[٣] أيضا خطبة العلامة الموريتاني الشيخ محمد الحسن ولد الددو (يوم ٧ أكتوبر ٢٠١١) والتي تناول فيها الشيعة في إطار العقيدة وركز عليها، وكأن الشيعة يعتنقون ويعتقدون مذهبا وعقيدة غير إسلامية.[٤]

رغم كل هذه الأجواء المشحونة والمتوترة، كانت هناك مبادرات ذاتية لإنشاء مراكز علمية

---

١. http://www.aqacd.com ـ الشيعة في موريتانيا.

٢. ٤،٣٠١ مليون نسمة.

٣. http://www.raialyoum.com ـ مفتي موريتانيا يطالب بوضع حد للتغلغل الشيعي الإيراني في البلاد.

٤. http://kiffainfo.net ـ شيعة موريتانيا يدعون الشيخ الددو الي محاورتهم قبل الحكم عليهم.

ثقافية للشيعة الموريتانيين، هدفها الأساسي هو التعريف بالعقيدة الصحيحة للشيعة الإمامية من طرف أهلها لا ما تنفثه التيارات السلفية والوهابية ضدهم من تهم وأباطيل الغرض منها هو صد الناس عن المعرفة وملء قلوبهم بالكراهية والحقد، ونبذ اتجاه إخوانهم الموريتانيين الشيعة.

جمعية بكار للثقافة و العلوم

يشرف على إدارتها الشيخ بكار بالعاصمة نواكشوط، وتهتم بنشر تعاليم أهل البيت عليهم السلام في موريتانيا خاصة في اوساط المتشيعين، وتنظم ندوات ومهرجانات عند المناسبات الدينية ومن أبرزها (المهرجان الوطني لنصرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله)، كما تنظم الجمعية دورات تثقيفية حول المذهب الجعفري داخل مختلف ولايات الوطن.[1]

٧. ليبيا

تطلعنا الوقائع التاريخية أن الحضور الشيعي بليبيا يعود إلى مطلع القرن العاشر الميلادي، حيث كان دعاة الشيعة نشطين في ليبيا وشمال أفريقيا فجمعوا حولهم عددا كبيرا من الأعوان من الليبين الذين ثاروا على الحاكم الأغلبي، واستطاعوا في ٩١٠م أن ينتزعوا تونس من الأغالبة، وفي سنة ١٩٦٩م نجح جوهر الصقلي قائد جيوش الخليفة العبيدي الفاطمي الرابع المعز لدين الله في أخذ مصر من الإخشيديين، واختط مدينة القاهرة، التي أصبحت حاضرة الدولة الفاطمية التي انتقل إليها المعز لدين الله سنة (٩٧٣م) وترك المعزبلكين بن زيري واليا على ليبيا وشمال أفريقيا، بما في ذلك إقليم طرابلس أي كل (ليبيا)، كما قام الخليفة الفاطمي لاحقا بارسال قبائل بني هلال وبني سليم الشيعية ـ والتي كانت تقطن صعيد مصر ـ إلى ليبيا.[2]

أما اليوم ـ كما هو الحال في كل منطقة شمال إفريقيا ـ لا يمكننا من رصد دقيق لليبيين الشيعة،

---

١. http://www.aqacd.com ـ مؤسسات الشيعة ـ موريتانيا.

٢. ar.wikipedia.org، تاريخ ليبيا الوسيط.

نظرا لما عاشته الدولة طوال سنين حكم القذافي وما تعيشه اليوم من انعدام للأمن والاستقرار، وحرب أهلية طاحنة بين جماعات إسلامية جهادية تكفيرية وبين جهات رسمية وطنية نالت اعتراف المؤسسات الدولية. ورغم كل هذا فإن ماكينة الإعلام الوهابي لم تتوقف من قصف الشيعة في كل مكان بالعالم وفي ليبيا أيضا، فتطالعنا بأخبار وهمية عن انتشار كبير لتشيع الليبيين و استغلال إيران للوضع الليبي ومحاولتها للنفوذ إلى الوسط الللبيبي، كالتحذير الذي صرح به الشيخ صادق الغرياني مفتي الديار الليبية من نشاطات مشبوهة تقوم بها إيران لنشر التشيع في ليبيا عبر الكتب والمعارض.[1] لذلك وفي ظل هذه الظروف لا نستغرب من عدم وجود مراكز خاصة بالشيعة الليبيين أو إشارة للأنشطة الثقافية والدينية التي يقومون بها داخل ليبيا، نظرا للإعدام الفكري والديني الذي تمارسه جهات معلوم عنها عدم تقبل أي أفكار مغايرة لما لديها.

١. http://www.fnoor.com ـ مفتي الديار الليبية يحذر من نشر التشيع في ليبيا.

المصادر

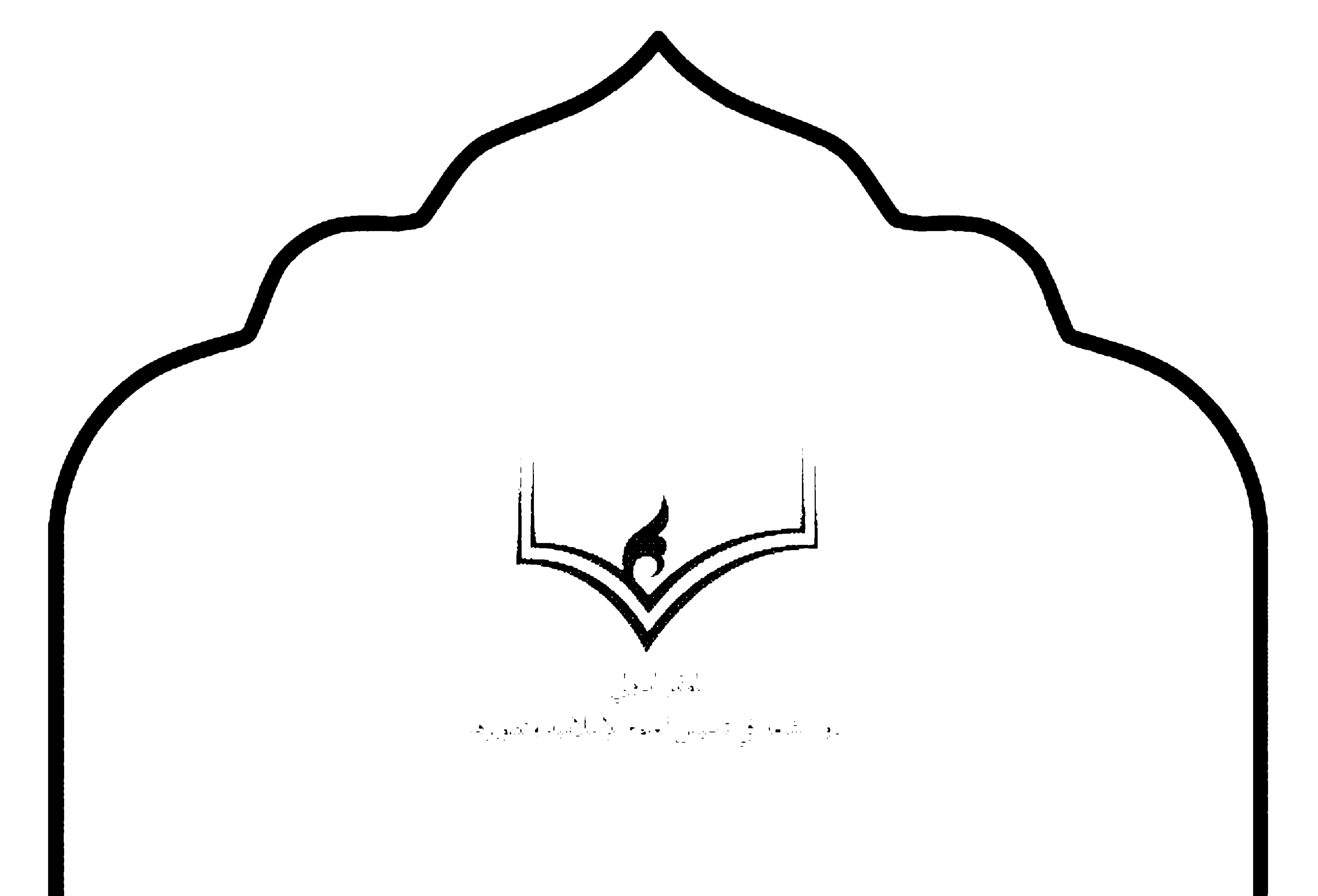
١. زبيب، نجيب، *دولة التشيع في بلاد المغرب*، بيروت: دار الأمير، ١٤١٣هـ.

٢. فضل الله، سيد محمدحسين، *سلسلة كتاب التوحيد*، العدد ٣، ١٩٩٥م.

٣. *مختارات من أقوال الامام الخميني*، ج٣، وزارة الارشاد الاسلامي، الطبع الأول، ١٤٠٢هـ.

٤. *جريدة الاتحاد الاشتراكي الصادرة بالمغرب* في تاريخ ٠٨/ ٠٧/ ٢٠١٦م.

1. http://m-mahdi.net.



المسؤولون والأعضاء في

المؤتمر الدولي

«دور الشيعة في تأسيس العلوم الإسلامية وتطويرها»

المؤتمر الدولي «دور الشيعة في تأسيس العلوم الإسلامية وتطوّرها»

المشرف الأعلى للمؤتمر: سماحة آية الله العظمى الشيخ مكارم شيرازي (دام ظله الوارف)

أ) هيئة السياسات والتخطيط

آية الله اعراقي؛ آية الله مقتداني؛ آية الله تسخيري؛ آية الله محسن اراكي؛ آية الله على اكبر صادق رشاد؛

الشيخ محمود رضا جمشيدى؛ الشيخ محسن قمى؛ الشيخ احمد احمدى؛ الشيخ عباس على اخترى؛ الشيخ محمد حسن زمانى؛ الشيخ حميد ملكى؛ الشيخ محمد على داعي نجاد؛ الشيخ مهدى مكارم؛ الشيخ رضا مختارى؛ الشيخ محمد حسيني قزويني؛ الشيخ احمد واعظى؛ السيد رضا مؤدب؛ الشيخ محمد على رضاني اصفهانى؛ السيد حسين ميرمعزى؛ عبدالكريم بهجت پور.

السادة الأكارم: علي أكبرولايتي؛ غلام علي حداد عادل؛ علي عسكري؛ محمد رضا مخبر دزفولي؛ مجيد معارف؛ حميد مكارم.

ب) الهيئة العلمية

الشيخ محمد على رضاني اصفهانى، الشيخ اكبر محمودى؛ الشيخ محمد حسن زمانى؛ السيد محمد على داعى نجاد؛ الشيخ حميد ملكى؛ الشيخ محمد مهدى گرجيان؛ السيد عيسى مسترحمى؛ الشيخ محمد جواد اسكندرلو؛ الشيخ عبد الحسين خسروپناه؛ الشيخ حميد جزائرى؛ الشيخ سعيد داوودى؛ الشيخ محسن الويرى؛ الشيخ حسين علوى مهر؛ الشيخ عبد الهادى مسعودى؛ الشيخ محمد صفر جبرئيلى؛ الشيخ حسين شيرافكن؛ الشيخ رضا مختارى؛ الشيخ محمد جواد دشتى؛ الشيخ احمد رضا تحيرى والسيدة نفيسة فقيهى مقدس.

ج) هيئة الشؤون الاستراتيجية

الشيخ مهدى مكارم؛ الشيخ محمد على رضاني أصفهاني؛ الشيخ محمد حسن زمانى؛ الشيخ حميد ملكي؛ الشيخ محمد على داعى نجاد؛ الشيخ اكبر محمودى؛ السيد محمد على موسوى نسب؛ الشيخ محمد رضا خوش خو؛ الشيخ محمد على موحدى پور.

د) الأمانة العامة

١. الأمين العام: حجة الاسلام والمسلمين محمد علي رضاني اصفهاني
٢. ممثل المشرف الأعلى: حجة الاسلام والمسلمين مهدي مكارم
٣. مسؤول القسم العلمي: حجة الاسلام اكبر محمودى
٤. مسؤول القسم التنفيذي: حجة الاسلام السيد محمد على موسوى نسب
٥. مسؤول القسم الدولي: حجة الاسلام محمد رضا خوشخو
٦. المساعد والمراقب: حجة الاسلام محمد على موحدى پور.
٧. مدير قسم الإعلام: حجة الاسلام محمد طوسى
٨. مدير القسم الثقافي: حجة الاسلام علي مولاني
٩. مدير الإنتاج والنشر: رمضان علي شيرزاد كمانگر

هـ) اللجان العلمية

١. لجنة القرآن: مدير اللجنة: حجة الاسلام حسين علوى مهر
الأعضاء: الشيخ محمد على رضايي اصفهاني، الشيخ محمد فاكر ميبدى، السيد رضا مؤدب، الشيخ عباس الهي، الشيخ محمد تقى ديارى، الشيخ حميد ملكى.

٢. لجنة علوم الحديث: مدير اللجنة: حجة الاسلام عبدالهادى مسعودى
الأعضاء: السيد محمد كاظم طباطبائي، السيد حيدر طباطبائي، الشيخ فرهاد عباسى، الشيخ أحمد غلام على، الشيخ محمد حسين بهرامى.

٣. لجنة الفقه واصول الفقه: مدير اللجنة: حجة الاسلام سعيد داوودى
الأعضاء: الشيخ أبو القاسم مقيمى حاجى، الشيخ احمد قدسى، الشيخ على رحمانى سبزوارى، السيد مجتبى نجفى يزدى و محمود حكمت نيا

٤. لجنة الكلام: مدير اللجنة: حجة الاسلام محمد صفر جبرئيلي

الأعضاء: السيد محمد علي داعي نجاد، الشيخ حميد رضا شاكرين، الشيخ رسول رضوى، الشيخ حسن طارمي راد، الشيخ محمد تقي سبحاني نيا، الشيخ محمد باقر پوراميني و قاسم جوادي صفري

٥. لجنة العلوم العقلية: مدير اللجنة: حجة الاسلام عبد الحسين خسروپناه

الأعضاء: الشيخ محمد عرب صالحي، السيد ابو الحسن غفاري، الشيخ محمد عبداللهي، الشيخ عبد الله محمدي، السيد احمد غفاري.

٦. لجنة الأخلاق والتربية والعرفان: مدير اللجنة: حجة الاسلام محمد مهدي گرجيان

الأعضاء: الشيخ علي همت بناري، الشيخ محمد جواد رودگر، السيد احمد فقيهي، الشيخ مهدي زنديه، السيد محمد رضا موسوي نسب كرماني، الشيخ محمد باقر اميني نجاد.

٧. لجنة العلوم الإنسانية: مدير اللجنة: حجة الاسلام الدكتور السيد حميد جزائري

الأعضاء: السيد مفيد حسيني كوهساري، الشيخ امير علي لطفي، الشيخ محمد رضا آقاني، غلام رضا بهروزي لك، عبد الوهاب فراتي

٨. اللجنة الأدبية: مدير اللجنة: حجة الاسلام حسين شيرافكن

الأعضاء: الشيخ هادي نصيري، الشيخ محمد عشايري منفرد و محمد جنتي فر

٩. لجنة التاريخ والحضارة: مدير اللجنة: حجة الاسلام الدكتور محسن الويري

الأعضاء: الشيخ محمد رضا جباري و الشيخ حسين عبد المحمدي و السادة: منصور داداش نجاد، نعمة الله صفري فروشاني و علي آقا نوري

١٠. لجنة العلوم الطبيعية: مدير اللجنة: حجة الاسلام الدكتور السيد عيسى مسترحمي

الأعضاء: الشيخ عباس علي واشيان؛ السيد رضا قلمكاريان اصفهاني و السادة: السيد حسين اميدياني، مهدي صيادي، وغلام رضا نورمحمدي

١١. لجنة الاستشراق: مدير اللجنة: حجة الاسلام الدكتور محمد جواد اسكندرلو

الأعضاء: الشيخ محمد حسن زماني، الشيخ محمد حسين محمدي، السيد مجيد پورطباطبائي، السيد مهدي اعتصامي، الشيخ احمد بهشتي مهر و حسن رضائي هفتادُر

١٢. لجنة الدراسات الإقليمية (شرق إيران): مدير اللجنة: حجة الاسلام محمد جواد دشتي

الأعضاء: السيد مفيد حسيني كوهساري، السيد محمد علي عون، السيد مجتبى رضوى اصيل، الشيخ غلام جابر جعفري محمدي، الشيخ احمد ذبيح افشاگر و السادة: محمد رضا يوسفي، رئيس اعظم شاهد و شريف كت سمبون

١٣. لجنة الدراسات الإقليمية (غرب إيران): مدير اللجنة: حجة الاسلام احمد رضا تحيري

الأعضاء: الشيخ احمد ازرقي، الشيخ تورگوت آتام، الشيخ ابوالفضل كجاداغ، الشيخ عبد المحسن بقشي، الشيخ محمد مهدي بغدادي، الشيخ نبيل الهلباوي، الشيخ علي رضا ميرجليلي، الشيخ عباس علي براتي و السادة: مهدي البطاط و علي باقروف

١٤. لجنة إحياء التراث: مدير اللجنة: حجة الاسلام رضا مختاري

الأعضاء: السيد صادق حسيني اشكوري، السيد محمود مرعشي ـ نجفي، الشيخ طاهر عباس اعوان، السيد محسن كشميري، الشيخ عباس رضا.

١٥. لجنة المرأة: مديرة اللجنة: الدكتورة نفيسة فقيهي

الأعضاء: معصومه شريفي، السيدة سعيده غروي، زهراء روح اللهي اميري، نرجس رودگر، ناهيد طيبي، انسية خزعلي.